رشاد محمود أحمد

بقية السبع الطوال
من النساء إلى الأنفال

وكيف تحفظها فى
١٠٠ يوم

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهــــر
مجمــع البحــوث الاســـلامية
الادارة العـــامة
للبحــوث والتــاليف والترجمـــة



الســيد / رشاد محمود أحمد ....

الســلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ــ وبعــد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب تقفية السبع الطوال من البقرة إلى الأنفال (مقاس 1/8) تاليفكم ......

نفيد بان الــكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مــانع من طبعــه على نفقتــكم الخــاصة .

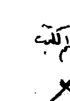
مع التــاكيد على ضرورة العنــاية التامة بكتــابة الآيات القــرآنية والاحاديث النبــوية الشريفــة .

واللــــه المــــوفق ،،،

والســـلام عليــكم ورحمــة اللــه وبركاته ،،،

قسم المصحف

قسم الكتب



مدير عــام
ادارة البحوث والتــاليف والترجمـــة

تحريرا فى / / ١٤ هـ
الموافق ٢٢ / ١١ / ٢٠٠٤م

يعتمد
الأمين العام للمجمع

٢٢/١١/٢٠٠٤

بقية السبع الطوال
من النساء إلى الأنفال

الطبعة الأولى
محرم ١٤٢٦ هـ - أبريل ٢٠٠٥ م

الطبعة الثانية
شعبان ١٤٢٦ هـ - سبتمبر ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٠٤٩٥
I. S. B. N. 977-226-189-2



المقدمة

الحمد لله الذى له الحمد كله ، وله الفضل كله ، وله الخلق والأمر كله ، الحمد لله الذى أنزل كتابه المبين ، هداية للعالمين ، ونورًا للمؤمنين ، ومحجّة للسالكين ، وحجَّة على خلق الله أجمعين ، والحمد لله الذى جعلنا بكتابه مؤمنين ، وله تابعين ، بصّرنا به من العمى ، وعلّمنا به من الجهالة ، وهدانا به من الضلالة ، وجعله لنا ذكرًا وعزة وشرفًا فى الدنيا والآخرة فالسعيد من خلق الله من تعلّمه وعمل به ، واتخذه قائدًا ، فائتمر بأمره ، ووقف عند نهيه ، وأسلم إليه قياده ، فأوصله إلى جنة الرضوان ، والشقى من أعرض عنه ، وجعله وراءه ظهريًا ، وخالفه فى أمره ونهيه ، فكبّه على وجهه فى دار الخسران .

وبعد فإنى رأيت تقديم هذا الجهد إلى إخوانى فى الله ليعينهم على فهم وتدبر القرآن الكريم ، ويعينهم على حفظ آياته .

وللوصول إلى هذا الهدف الشريف أضع بين يدى الراغبين فى حفظ القرآن أسلوبًا سهلاً وطريقة جديدة أسأل الله أن يتقبلها منى خالصة لوجهه الكريم ، وليعلم المحب فى الله أن الأمر يسير بعونه تعالى على من التزم بهذه الخطوات الموضحة فيما بعد ، وليسر فيها خطوة خطوة لا يتعدى إحداهما الأخرى وبنفس الترتيب .

وإلى البيان الموضح لهذا البرنامج . . . إلى التجارة التى لن تبور ، إلى حفظ وفهم كتاب الله ليشفع لنا يوم لا ظل إلا ظله .

أولاً: فكرة الكتاب:

قبل البدء تذكر : أن العلم نور ، ونور الله لا يُهدى لعاص ، واستعن بالله ليشرح صدرك ، وقل : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً .

١ ـ هذا الكتاب بُدئ بمقدمة عامة للتعرف على موضوعات السورة وخطوطها العريضة فى رحلة تشملها من أول آية إلى آخر آية .

٢ ـ تُقسم السورة إلى عدة موضوعات تطول أو تقصر حسب الموضوع .

٣ ـ لكل درس : عنوان ، وعدد آيات ، وبرنامج للحفظ تحديداً بعدد الأيام .
٤ ـ والخطوة الأخيرة هى : شرح الآيات كل على حدة ، آية . . آية .
٥ ـ فى أسفل الصفحة معانى الكلمات .

ثانياً: طريقة التطبيق:

١ ـ اقرأ : (هذه السورة) وفيها ستتعرف على موضوعاتها وشخصياتها لتعيش فى جوها .
٢ ـ اقرأ : الدرس الذى ستبدأ فى حفظه ولتتعرف على آياته وموضوعه .
٣ ـ انتقل بعد ذلك إلى المصحف فى الداخل لتقرأ شرح آيات الدرس فقط .

ثالثاً: كيف تحفظ:

١ ـ حاول أن تقرأ على شيخ أو معلم أو أخ لك يجيد أحكام التلاوة لتطمئن على الحفظ بطريقة صحيحة (ومن الممكن سماع شريط تسجيل لآيات الدرس من مقرئ) .

٢ ـ احضر كشكولاً وقسم الصفحة بداية ونهاية حسب صفحة المصحف الذى معك لتكتب الآية التى حفظتها ، فهذا الأسلوب يفيدك فى رسم الآية فى ذاكرتك .

٣ ـ احفظ من مصحف واحد (أى طبعة معينة) لأن صفحته سترتسم أمام عينيك .
٤ ـ ردد ما حفظته دوماً ـ فى صلاتك (الفرائض والنوافل) .
٥ ـ عند البدء فى درس جديد تأكد من مراجعة الدرس السابق .

وفى الختام نورد حديثاً عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ يوصى به على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما شكا له تفلت القرآن من صدره ، وهذا نصه :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاء علىّ بن أبى طالب فقال : بأبى أنت وأمى تَفَلَّتَ هذا القرآن من صدرى ، فما أجدنى أقدر عليه ، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن : أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وينفع بهنّ من علمته ، ويُثبت ما تعلمت فى صدرك ؟» قال : أجل يا رسول الله فعلمنى ، قال : «إذا كان ليلة الجمعة ، فإن استطعت أن تقوم ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة ، والدعاء فيها مستجاب ، وقد قال أخى يعقوب لبنيه : ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ ـ يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، فإن لم تستطع فقم فى وسطها ، فإن لم تستطع فقم فى أولها ، فصلّ أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم (الدخان) ، وفى الركعة

الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل (السجدة)، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله، وصلِّ علىَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك: اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يُرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تُنوِّر بكتابك بصرى، وأن تُطلق به لسانى، وأن تُفرِّجَ به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تغسل به بدنى، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جُمع، أو خمسًا، أو سبعًا، تُجَب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق ما أخطأ مؤمنًا قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمسًا، أو سبعًا حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله، إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسى تفلَّتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتها على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينى، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث؛ فإذا تحدثت بها لم أُخرِم منها حرفًا، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن»[1].

وفى الختام نسأل الله لنا ولكم التوفيق... فنعم المولى الذى يتولانا جميعًا بحسن ثوابه، وأن يجعل هذا العمل منى فيما يتقبله من صالح أعمال عباده وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب. وصلى الله وسلم وبارك على عبده المجتبى ورسوله المصطفى نبينا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

رشاد محمود أحمد

القاهرة فى ٢٧ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ

٢٥ أغسطس ٢٠٠٣م

ت: ٠١٠/٥٠٥٦٣١٤

E-mail : sabil_rashad@yahoo.com

---

(١) رواه الترمذى.

فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتعليمه

❖ فضل تلاوة القرآن:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[١]. وقال ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢]. وقال ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٣]. وقال ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٤]. وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى رب: منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم فى الليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان»[٥]. وقال ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان، فعملت مثل ما يعمل: ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل»[٦]. وقال أبو هريرة: «إن البيت الذى يتلى فيه القرآن، اتسع بأهله، وكثر خيره، وحضرته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذى لا يتلى فيه القرآن، ضاق بأهله، وقل خيره، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين[٧].

❖ فضل حفظ القرآن:

روى ابن عباس مرفوعًا: «إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب»[٨].

---

(١) متفق عليه: البخارى (٤٦٥٣)، مسلم (٧٩٨).

(٢) مسلم (٨٠٤) من حديث أبى أمامة.

(٣) أحمد (١٩٤٧)، الترمذى (٢٩١٤) من حديث ابن مسعود.

(٤) الترمذى (٢٩٢٦) من حديث أبى سعيد الخدرى.

(٥) أحمد (٦٦٢٦)، الحاكم (٢٠٣٦)، مجمع الزوائد ٨/ ١٨١و١٠/ ٣٨١ من حديث عبد الله بن عمرو وقال الهيثمى: وإسناده حسن.

(٦) البخارى (٤٦٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٧) البخارى (٤٧٣٨) من حديث أبى هريرة.

(٨) الترمذى (٢٩١٣) وقال: حسن صحيح.

وكان رسول الله ﷺ يكرم أصحاب القرآن وحملته ويعرف لهم منازلهم، ويقدمهم على غيرهم. فعن أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عدد فاستقرأهم: كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل من أحدثهم سنًا، فقال: «ما معك يا فلان؟» قال معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم»، فقال رجل من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن واقرأوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، كمثل جراب محشو مسكًا، يفوح ريحه في كل مكان، ومن تعلمه فيرقد - وهو في جوفه - فمثله كمثل جراب أوكي على مسك»[1].

وعنه ﷺ قال: «يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حَلِّه فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارْق، ويزداد بكل آية حسنة، وليست مثوبة الله في الآخرة مقصورة على صاحب القرآن وحده، بل إن نورها ليشمل أبويه، وينالهما قبس منه ببركة القرآن»[2].

فعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به، أُلبس يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن»[3]، وقال ابن مسعود: «إن أصفر البيوت: بيت ليس فيه شيء من كتاب الله»[4]. ومعنى أصفرها - بالفاء - أي أخلاها من الخير والبركة.

❖ تعليم القرآن:

روى البخاري في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[5] فالقرآن أفضل ما يتعلم، وأفضل ما يعلم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[6].

---

(١) الترمذي (٢٨٧٦) وقال: حسن.

(٢) الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم في المستدرك (٢٠٢٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٩٩٦) من حديث أبي هريرة، قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٢٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٩، والضعفاء للعقيلي ١/ ١٤٣ مقتصرًا على آخره.

(٤) ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٧).

(٥) البخاري (٤٧٣٨)، وأبو داود (١٤٥٢)، وغيرهما.

(٦) مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجة (٢٢٥).




سورة
النساء



سورة النساء

مدنية : وآياتها ١٧٦ آية

(مدة الحفظ : ٢٥ يومًا)

هذه السورة

الثلث الأول من السورة: حديث عن الأسرة وقضاياها (الأسرة هى المجتمع الصغير).

والثلثان الباقيان : حديث عن الأمة وشؤونها (والأمة هى المجتمع الكبير) .

فمحور السورة كلها (العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها)

إن سورة النساء استعرضت طوائف المجتمع، ولم يقف الحديث فيها عند شؤون الأسرة وحدها فالعنوان خاص ، وموضوع السورة عام ، وفيها التركيبة الاجتماعية التى تلحظ على العالم أجمع فى شتى أقطاره.

والسورة مدنية ؛ وهى أطول سور القرآن بعد سورة البقرة وتمثل جانبًا من الجهد الذى أنفقه الإسلام فى بناء الجماعة المسلمة، وإنشاء المجتمع الإسلامى، وفى حماية تلك الجماعة، وصيانة هذا المجتمع.

إن السورة تعمل بجد وجهد فى محو ملامح المجتمع الجاهلي، كما تعمل بجد وجهد فى استجاشته للدفاع عن كينونته المميزة، وفى الوقت ذاته تلمح رواسب الجاهلية وهى تتصارع مع المنهج الجديد.

ماذا نحن واجدون فى هذه السورة :

- إننا نجد مجتمعًا تؤكل فيه حقوق الأيتام - وبخاصة اليتيمات- فى حجور الأهل والأولياء والأوصياء.
- ونجد مجتمعًا يجار فيه على الصغار والضعاف والنساء.
- ونجد مجتمعًا يضع المرأة موضعًا غير كريم ويعاملها بالعسف والجور.
- ونجد مجتمعًا تؤكل فيه الأموال بالباطل فى المعاملات الربوية.

إنه لم يكن مجتمعًا بلا فضائل، فقد كانت له فضائله التى تهيأ بها لاستقبال هذه

الرسالة الكبرى، ولكن هـذه الفضائل إنما استنقذها الإسـلام استنقاذًا، ووجهها الوجهة البناءة، وكانت -لولا الإسلام- مضيعة تحت ركام هذه الرذائل.

(افتتحت السـورة بعد الأمر بالتقوى بأحكام اليتامى والبيـوت والأموال ومنها الميراث ومحرمات النكاح، وحقوق الرجـال على النساء، والنساء على الرجال، وفى أثناء أحكام القتال وآدابه شيئًا عن المنافقين، ثم كانت أواخرها فى محاجة أهل الكتاب إلا ثلاث آيات هن خاتمتها، وكل ذلك من شؤون الإسلام بعد الهجرة).

وفى هذه السورة نجـد بعض الملامح التى يتوخى المنهج إنشاءها وتثبيتها فـى المجتمع المسلم. بعد تطهـيره من رواسب الجاهليـة، وإنشاء الأوضاع والتـشريعات التنفـيذية التى تكفل حماية هذه الملامح وتثبيتها فى الواقع الاجتماعى.

- نجد فى مستهلها تقريرًا لحقيقة الربوبية ووحدانيتها.

- ونجد التشريعات العملية لتحقيق البناء التكافلى للجماعة مستندة إلى تلك الركيزة :

فى حماية اليتامى وفى حماية اليتيمات خاصة يتيمات صغيرات ونساء مستضعفات .

وفى تنظيم الأسرة وفى تنظيم علاقات الميراث والتكافل بين أفراد الأسرة الواحدة.

وفى حماية المجتمع من الفاحشة وتوفير أسباب الإحصان والوقاية.

وفى تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم كله.

وفى قطاع الجهـاد . . وفى غيره من التطاعـات الأخرى فى السورة - نلتـقى بالحرب المشبوبة على الجمـاعة المسلمة من أهل الكتاب -وبخاصة اليهـود- وحلفائهم من المنافقين فى المدينة والمشركين فـى مكة وما حولهـا ، ويتبين بعض أفاعـيل اليهود فـتكيد لهم هذا الكيد الذى لم ينقطع منذ أن اقتحم الإسلام المدينة عليهم إلى يومنا هذا .

– ثم ترد بعض مفردات العنصر الأخلاقى – إلى جانب ذلك الأصل الكبير فى السورة فهـو مجتمع يقـوم على الأمانة ، والعدل، وعـدم أكل الأموال بالباطل، وعـدم النجوى والتآمر إلا فى معـروف، وعدم الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم، والشـفاعة الحسنة، والتحـية الحسنة، ومنع الفـاحشة، وتحريم السـفاح والمخادنة، وعـدم الاختيال والفـخر، والرياء والبخل، والحسد والغل. . . كما يقوم على التكافل والتعاون والتناصح والتسامح، والنخوة والنجدة، وطاعة القيادة التى لها وحدها حق الطاعة . . . إلخ.

ثم كانت الآيات ذوات العـدد من القرآن تتنزل لإنصاف يهودى . . فـرد . . من اتهام ظالم، وجهته إليه عصبة من المسلمين من الأنصار، ممن لم ترسخ فى قلوبهم هذه المبادىء السامقة بعد .

تنزلت هذه الآيات ذوات العدد، فـيها عتاب شـديد للنبى ﷺ، وفيها إنحـاء باللائمة على العصبة من أهل المدينة الذين آووا النبى ﷺ وعزّروه ونـصروه. . . إنصافًا ليهودى، من تلك الفـئـة التى تؤذى رسـول الله ﷺ أشـد الإيذاء، وتنصب لدعـوته، وتكيـد له وللمسلمين هذا الكيد اللئيم!

لقد تنـزلت هذه الآيات كلها فى حـادث ذلك اليهـودى . . من يهود . . ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ . . . فماذا؟ ماذا يملك الإنسان أن يقول؟ إلا أنه المنهج الفريد.

وإلى استعراض النصوص فـى مكانها من السياق، لعلنا نبلغ شيئًا فى بيانهـا التفصيلى بإذن الله .

(سبب التسمية)

وسميت «سورة النساء». . لأنها افتتحت بذكر النساء وبعض الأحكام المتعلقة بهن.

الدرس الأول

تنظيم حياة المجتمع المسلم

من الآية رقم (١) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ..﴾ .

إلى الآية رقم (١٤) قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ..﴾ .

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

هذا الشوط من السورة يبدأ بآية الافتتاح التى تردُّ (الناس) إلى رب واحد وخالق واحد وأصل واحد وأسرة واحدة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾

وتستجيش فى النفس تقوى الرب ورعاية الرحم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾

وهذا الشوط يضم من التكاليف ومن هذه التشريعات ما يتعلق بالضعاف فى الأسرة وتنظيم طريقة القيام عليهم وعلى أموالهم، ويأمر الأوصياء على اليتامى أن يردوا لهم أموالهم كاملة: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ .

وعندما يكون الأولياء غير واثقين من قدرتهم على القسط مع اليتيمات اللواتى فى حجورهم فهناك النساء غيرهن، وفى المجال متسع للبعد عن الشبهة والمظنة: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ .

والإسلام لم ينشىء التعدد إنما حدده ، ولم يأمر بالتعدد إنما رخص فيه وقيده .

والعدل المطلوب هو العدل فى المعاملة والنفقة والمعاشرة والمباشرة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهذا هو الإجراء الثانى الذى تنص عليه الآية عند الخوف من عدم تحقق العدل.

ويستطرد السياق بعد ذلك فى تقرير حقوق النساء.

ثم يعود إلى أموال اليتامى يفصل فى أحكام ردها إليهم.

وقبل أن يأخذ السياق فى تحديد أنصبة الورثة ، يعود ليحذر من أكل أموال اليتامى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**.

ثم نصل إلى نظام التوريث : **﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾**.

والآية الثانية : **﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾**.

وهاتان الآيتان ، مضافًا إليهما الآية الثالثة التى فى نهاية السورة : **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾**.

هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض - أى علم الميراث- أما التفريعات فقد جاءت السنة ببعضها نصًا واجتهد الفقهاء فى بقيتها.

بعد ذلك يأتى توكيد بعد توكيد للقاعدة الأساسية فى العقيدة؛ قاعدة التلقى من الله وحده، وإلا فهو الكفر والعصيان والخروج من هذا الدين.

وهذا ما تقرره الآيتان التاليتان فى السورة تعقيبًا نهائيًا على تلك الوصايا والفرائض .

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

ويترتب على طاعة الله ورسوله فيها الجنة والخلود والفوز العظيم، كما يترتب على تعديها وعصيان الله ورسوله فيها النار والخلود فى العذاب المهين.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٤٢) إلى صفحة رقم (٤٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٧	١٢
	إلى	٦	١١	١٤

الدرس الثانى

تطهير المجتمع المسلم من الفاحشة

وعزل العناصر الملوثة

من الآية رقم (١٥) من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ..﴾

إلى الآية رقم (٢٣) إلى قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ..﴾

مدة الحفظ : (يوم واحد)

يمضى هذا الشوط فى تنظيم حياة المجتمع المسلم، واستنقاذه من رواسب الجاهلية بتطهير هذا المجتمع من الفاحشة، وعزل العناصر الملوثة التى تقارفها، من الرجال والنساء، مع فتح باب التوبة لمن يشاء من هذه العناصر أن يتوب ويتطهر، ويرجع إلى المجتمع نظيفًا عفيفًا. . ثم باستنقاذ المرأة مما كانت ترزح تحته فى الجاهلية من خسف وهوان، ومن عسف وظلم، حتى تقوم الأسرة على أساس سليم ركين، ومن ثم يقوم المجتمع - وقاعدته الأسرة- على أرض صلبة ، وفى جو نظيف عفيف. .

وأخيرًا ينظم جانبًا من حياة الأسرة ببيان المحرمات فى الشريعة الإسلامية:

﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ. .﴾ [الآية ١٥].

إن الإسلام يمضى على طريقه فى تطهير المجتمع وتنظيفه وقد اختار -فى أول الأمر- عزل الفاحشات من النسوة . وفى كل حالة وفى كل عقوبة يوفر التشريع الإسلامى الضمانات التى يتعذر معها الظلم والخطأ والأخذ بالظن والشبهة:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

- وهو الذى شرع العقوبة، وهو الذى يأمر بالكف عنها عند التوبة والإصلاح:

﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾

- واللمسة الأخرى، هى توجيه قلوب العباد للاقتباس من خلق الله والتعامل فيما بينهم بهذا الخلق.

والموضوع الثانى فى هذا الدرس هو موضوع المرأة: فلقد كانت الجاهلية العربية تعامل

المرأة معاملة لا تعرف لها حقوقها الإنسانية فتنزل بها عن الرجل نزولاً شنيعًا بالسلعة منها بالإنسان، وذلك فى الوقت الذى يتخذ منهـا تسلية ومتعة بهيمية وتطـلقها فتنة النفوس، وإغراء الغرائز، ومـادة للتشهى والغزل العـارى المكشوف. فجاء الإسـلام ليرفع هذا كله ويردها إلى مكانها الطبيعى فى كيان الأسرة وإلى دورها الجدى فى نظام الجماعة البشرية.

وتجىء الفـقرة الثالثـة فى هذا الدرس : تتناول سـائر أنواع المحرمات من الـنساء وهى خطوة فى تنظيم الأسرة وفى تنظيم المجتمع على السواء:

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ . . ﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ . . ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٤٥) إلى صفحة رقم (٤٦)

الدرس الثالث

(تنظيم شؤون الأسرة)

من الآية رقم (٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ .. ﴾

إلى الآية رقم (٣٥) قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا .. ﴾

مدة الحفظ : (يومان)

هذا الدرس تكملة لما جاء فى هذه السورة عن تنظيم الأسـرة، على قواعد الفطرة ولا يعود السـياق بعد ذلك إلا فى موضـعين لبيان بعض الأحكام التكميليـة فى هذا الموضوع الأساسى الهـام، الذى يترتب على تنظيـمه جريان الحـياة الإنسـانية فى مجراها الفطرى الهادىء الصالح، كما يترتب على انحرافها عنه فساد فى الأرض كبير.

وهذا الدرس يتضمن تكملة لبيان المحرمات من النساء:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾

ثم يحدد الطريقة التى يحب الله أن يجتمع عليه الرجال والنساء فى مؤسسة الأسرة النظيفة.

وإلى جـانب هذا التنظيم فى الأسـرة يتطرق إلى شىء من التـنظيم لبـعض علاقـات المجتمع المسلم فى الأموال فيبين حقوق الرجال والنساء فى المال المكتسب والمال الموروث، وما يُتَّبع كذلك فى تصفية ما كان من عقود التوريث بالولاء من غير الأقارب.

(لقـد جـاءت شقـوة الإنسـان فى الأرض كلمـا حاد عن منـهج العليم الحكيم وراح يتخـبط فى التيه بلا دليل، ويزعم أنه قـادر بجهله وطيشه وهواه، أن يخـتار لنفسه وحـياته خيراً مما يختاره الله)

إن منهج الله هذا أيسر على الإنسان وأخف وأقرب إلى الفطرة من المناهج التى يريدها البشر ويهوونها.

وهكذا نرى -فى هـذا الدرس- مـدى الجـدية والخطورة فى نـظرة الإسـلام إلى المرأة وعلاقات الجنسين ومؤسـسة الأسرة، وما يتصل بها من الروابط الاجتـماعية ... ونرى مدى اهتمام المنهج الإسلامى بتنظيم هذا الجانب الخطير من الحياة الإنسانية.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٧	١٢
	إلى	٦	١١	١٤

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٤٢) إلى صفحة رقم (٤٤)

الدرس الرابع

(جولة جديدة فى تنظيم حياة المسلم)

من الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا .. ﴾

إلى الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ .. ﴾

مدة الحفظ : (يوم واحد)

هناك أكثر من مناسبة واحدة تربط بين مطلع الدرس، وبين محور السورة كلها وموضوعاتها الأساسية من ناحية، وبينه وبين موضوعات الدرس السابق فى هذا الجزء من ناحية أخرى.

فهذا الدرس : بدء جولة جديدة فى تنظيم حياة المجتمع المسلم وتخليصه من رواسب الجاهلية وتثبيت الملامح الإسلامية الجديدة، والتحذير من أهل الكتاب -وهم اليهود بالمدينة- وما جبلوا عليه من شر ونكر، وما ينفثونه فى المجتمع المسلم، مما يبذلونه من جهود لتعويق نموه وتكامله وبخاصة من الناحية الأخلاقية، وناحيتَى التكافل والتعاون اللتين هما موضع القوة النامية فى هذا المجتمع الجديد .

ولأن الدرس الجديد جولة جديدة، فقد بدأ بالقاعدة الأولية التى يقوم عليها المجتمع المسلم -قاعدة التوحيد الخالص- التى تنبثق منها حياته، وينبثق منها منهج هذه الحياة فى كل جانب ، وفى كل اتجاه.

فجاء هذا الدرس يتناول علاقات إنسانية -فى المجتمع المسلم- أوسع مدى من علاقات الأسرة ومتصلة بها كذلك.

وبدأ هذا الدرس أيضًا بالقاعدة الأساسية التى تنبثق منها القيم والموازين .

وبسبب الحديث عن عبادة الله وحده -فى محيطها الشامل- جاءت الفقرة الثانية فى الدرس تبين بعض أحكام الصلاة والطهارة، وتتخذ خطوة فى طريق تحريم الخمر -ولم تكن قد حُرمت بعد- باعتبار هذه الخطوة جزءًا من برنامج التربية الإسلامية العامة الدائبة الخطى فى المجتمع الوليد . وباعتبار علاقتها بالعبادة والصلاة والتوحيد . .

حلقات متماسكة بعضها مع بعض ومع الدرس السابق ومع محور السورة كذلك .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٤٢) إلى صفحة رقم (٤٤)

الدرس الخامس

كشف أهداف أهل الكتاب

ونياتهم الماكرة بالجماعة المسلمة

من الآية رقم (٤٤) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ .. ﴾

إلى الآية رقم (٥٧) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ .. ﴾

مدة الحفظ : (يومان)

ابتداء من هذا الدرس فى السورة، تبدأ المعركة التى يخوضها القرآن بالجماعة المسلمة، فى مواجهة الجاهلية المحيطة بها -واليهود من أهل الكتاب خاصة- تلك المعركة التى شهدنا مواقعها ومجالاتها فى سورة البقرة وآل عمران من قبل .. وهى هى .. والمعسكرات المعادية هى هى كذلك! المعسكرات التى تحدثنا عنها فى تقديم سورة البقرة وفى تقديم سورة آل عمرن .. وفى تقديم هذه السورة كذلك.

ابتداء من هذا الدرس تبدأ المعركة الخارجية، معركة الجماعة المسلمة مع المعسكرات المعادية من حولها .. ولكن هذا فى الحقيقة ليس بدء المعركة وكل ما سبق إنما هو التمهيد الحقيقى لها، والاستعداد الحقيقى لمواجهتها .. كانت تلك معركة البناء ، بناء هذا المجتمع الجديد، على أسس المنهج الإسلامى الجديد ، كى يستطيع أن يواجه المجتمعات المعادية من حوله ويتفوق عليها .

ففى هذ الدرس نجد تعجبًا من حال اليهود وتصرفاتهم فى مواجهة الدين الجديد والجماعة التى تمثله.

* ﴿مِنَ الَّذينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعه﴾ وهذا من سوء أدبهم مع الله.

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ..﴾ ويعجب الله من هؤلاء لأنه سبحانه هو الذى يزكى من يشاء فهو أعلم بالقلوب والأعمال.

* ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ..﴾ فقد كان الأولى أن يتبعوا الكتاب.

* ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ..﴾ فيستنكر سبحانه موقفهم من الرسول ﷺ والمسلمين وغيظهم أن يمن الله عليهم هذه المنة. إنهم لا يطيقون أن ينعم الله على عبد من عباده بشيء من عنده .

ويجيء التعقيب بالقاعدة الشاملة للجزاء لينتهي هذا الدرس : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا..﴾ وفي المقابل نجد الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات ندية : ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا..﴾

تقابل في كل شيء . . .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٥٠) إلى صفحة رقم (٥٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤٤	٥٣
	إلى	٥٢	٥٧

الدرس السادس

طبيعة النظام الإسلامى

من الآية رقم (٥٨) قوله تعالى : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ . . ﴾

إلى الآية رقم (٧٠) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴾

مدة الحفظ : (يوم واحد)

هذا الدرس يتناول موضوعًا خطيرًا . . . الموضوع الأساسى فى حياة الأمة المسلمة. إنه يتناول بيان شرط الإيمان وحده، متمثلاً فى النظام الأساسى لهذه الأمة . . ومن الموضوع ذاته، ومن طريقة ارتباطه وامتزاجه بالنظام الأساسى للأمة يستمد خطورته وخطره . .

– إنه يتولى تحديد الجهة التى تتلقى منها الأمة المسلمة منهج حياتها، والطريقة التى تتلقى بها والمنهج الذى تفهم منه ما تتلقى وترد إليه ما يجد من مشكلات وأقضية لم يرد فيها نص وتختلف الأفهام فيها، والسلطة التى تطيعها وعلة طاعتها ومصدر سلطانها. .
ويقول : إن هذا هو شرط الإيمان وحده الإسلام.

* إن الله يقول للأمة المسلمة : إن الرسل أرسلت لتطاع لا لمجرد البلاغ **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** .

ويقول لها : إن الناس لا يؤمنون إلا أن يتحاكموا إلى منهج الله ممثلاً فى حياة وأحكام الرسول ﷺ. **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾**

ويقول لها : إن الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت لا يقبل منهم زعمهم أنهم آمنوا **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ . . ﴾**.

ويقول لها : إن علامة النفاق أن يصدوا عن التحاكم إلى ما أنزل الله والتحاكم إلى الرسول ﷺ **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾** .

ويقول لها : إن منهجها الإيمانى ونظامها الأساسي أن تطيع الله ورسوله **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾** .

ويقول لها : إن المرجع فيما تختلف فيه وجهات النظر هو الله ورسوله ﷺ؛ أى شريعة الله وسنة رسوله ﷺ ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾.

كما يتناول هذا الدرس وظيفة الأمة المسلمة في الأرض من إقرار مبادئ العدل والخلق على أساس منهج الله القويم السليم ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٥٢) إلى صفحة رقم (٥٤)

الدرس السابع

(توجيه الجماعة المسلمة لحماية المنهج)

من الآية رقم (٧١) قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ .. ﴾

إلى الآية رقم (٨٦) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ .. ﴾

مدة الحفظ : (يومان)

صورة الصف المسلم من خلال هذه الآيات توحى بوجود جماعات منوّعة داخل الصف لم تتضح بعد، أو لم تؤمن إنما هى تنافق، وتوحى بأن الصف فى حاجة إلى جهود ضخمة من التربية والتوجيه.

إنه من خلال هذه المجموعة من آيات هذا الدرس يبدو لنا أنه كان فى الصف المسلم يومذاك :

أ - من يُبطىء نفسه عن الجهاد فى سبيل الله ومن يُبطىء غيره.

ب - وكان فيه من المهاجرين أنفسهم من يأخذهم الجزع حينما كتب عليهم القتال فى المدينة.

جـ - ومن كان يرجع الحسنة حين تصيبه والسيئة حين تصيبه إلى تجريح القيادة والتطير بها.

د - ومن كان يقول ﴿طاعة﴾ فى حضرة الرسول ﷺ فإذا خرج بيَّتَ هو ومن لف لفه غير الذى يقول!

هـ - ومن كان يتناول الشائعات فيذيع بها فى الصف محدثًا ما يحدثه من بلبلة قبل التثبت منها.

و - ومن كان يشك فى أن مصدر هذه الأوامر والتوجيهات كلها هو الله سبحانه وتعالى ويظن أن بعضها من عند النبى ﷺ لا مما أُوحى له به.

ز - ومن كان يدافع عن بعض المنافقين حتى لتنقسم الجماعة المسلمة فى أمرهم فئتين مما يوحى بعدم التناسق فى التصور الإيمانى وفى التنظيم القيادى.

لقد كان القرآن يخوض المعــركة بالجماعة المسلمة فى ميادين كثيــرة، وكان أولها ميدان النفس ضد الهواجس والوســاوس وسوء التصور ورواسب الجاهلية والضــعف البشرى - حتى ولو لم يكن صادرًا عن نفــاق أو انحراف- وكان يسوسها بمنهــجه الربانى لتصل إلى مرتبة القوة ، ثم إلى مرتبة التناسق فى الصف المسلم .

فلابد من التناسق مع اختلاف المستويات . . وهى تواجه المعارك الكبيرة.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٥٤) إلى صفحة رقم (٥٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٧١	٧٩
	إلى	٧٨	٨٦

الدرس الثامن

(قواعد المعاملات الدولية)

من الآية رقم (٨٧) قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

الى الآية رقم (٩٤) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾

مدة الحفظ (يومان)

يبدأ هذا الدرس بقاعدة التصور الإسلامى الأساسية . . . التوحيد وإفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾** .ثم يبنى على هذه القاعدة أحكامًا شتى فى معاملة المجتمع المسلم مع المعسكرات المختلفة، وبعد التنديد بانقسام الصف المسلم إلى فئتين ورأيين فى معاملة المنافقين: **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾** ويبدو أنها جماعة خاصة من المنافقين من غير سكان المدينة -فتقوم هذه الأحكام-وهذا التنديد أيضا-على قاعدتها الأصيلة التى يقوم عليها بناء النظام الأساسى كله . . .والتى يتكرر ذكرها كلما اتجه المنهج الربانى إلى تشريع أو توجيه .

هذه الأحكام فى معاملة المعسكرات المختلفة ، هى طرف من القواعد التى أنشأها الإسلام -لأول مرة في تاريخ البشرية - لتنظيم المعاملات الدولية، واتخاذ قواعد أخرى لهذه المعاملات غير تحكيم السيف، ومنطق القوة، وشريعة الغاب.

ونستعرض ما جاء في هذه المجموعة من الآيات فى هذا الدرس وهى تتعلق بالتعامل مع الطوائف التالية:

أ- المنافقون غير المقيمين بالمدينة. **﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾** .

ب- الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق. **﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾** .

ج- المحايدون الذين تضيق صدورهم بحرب المسلمين أو حرب قومهم كذلك وهم على دينهم **﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾** .

د-المتلاعبون بالعقيدة الذين يظهرون الإسلام إذا قدموا المدينة ويظهرون الكفر اذا عادوا إلى مكة . **﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾** .

هـ- حالات القتل الخطأ بين المسلمين ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾.

وحالات القتل العمد على اختلاف المواطن والأقوام ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾.

وسنجد أحكامًا صريحة في جميع هذه الحـالات، التى تكوّن جانبًا من مبادئ التعامل في المحيط الدولى. شأنها شأن بقية الأحكام، التى تتناول شتى العلاقات الأخرى.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٥٧) إلى صفحة رقم (٥٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٨٧	٩٢
	إلى	٩١	٩٤

الدرس التاسع

(الهجرة إلى دار الإسلام)

من الآية رقم (٩٥) قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . . . ﴾

إلى الآية رقم (١٠٤) قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ . . . ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

إن موضوع هذا الدرس هو الهجرة إلى دار الإسلام والحث على انضمام المسلمين المتخلفين فى دار الكفر والحرب إلى الصف المسلم المجاهد في سبيل الله بالنفس والمال. وإطراح الراحة النسبية والمصلحة كذلك فى البقاء بمكة إلى جوار الأهل والمال.

– ولعل هذا هو المقصود بقوله تعالى: **﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾** وقد تلا هذه الفقرة فقرة أخرى فيها تحذير وتهديد لمن يظلون قاعدين هنالك فى دار الكفر. **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾** ثم تلتها فقرة أخرى عن ضمان الله سبحانه وتعالى لمن يهاجر فى سبيله، منذ اللحظة التى يخرج فيها من بيته قاصداً الهجرة إلى الله خالصة. **﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾** ..

فالحديث مطرد عن الجهاد والهجرة الي دار المجاهدين وأحكام التعامل بين المسلمين فى دار الهجرة وبقية الطوائف خارج هذه الدار بما فى ذلك المسلمون الذين لم يهاجروا والحديث موصول. كذلك –يلم الدرس بكيفية الصلاة عند الخوف –فى ميدان القتال أو فى أثناء طريق الهجرة– وتدل هذه العناية بالصلاة فى هذه الآونة الحرجة على طبيعة نظرة الإسلام إلى الصلاة.

وينتهى الدرس بلمسة قوية عميقة التأثير فى التشجيع على الجهاد فى سبيل الله فى وجه الآلام والمتاعب التي تصيب المجاهدين وذلك فى تصوير ناصع لحال المؤمنين المجاهدين، وحال أعدائهم المحاربين على مفرق الطريق.

﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا

لا يَرْجُونَ﴾

ويرسم هذا الدرس-بجملة الموضوعات التى يعالجها، وبطرائق العلاج التى يسلكها-ما كان يعتمل فى جسم الجماعة المسلمة، وهى تواجه مشاق التكوين الواقعية، ومشكلات التكوين العملية، وماكان يشتجر فى النفوس من عوامل الضعف البشرى ومن رواسب الماضى الجاهلى، ومن طبيعة الفطرة البشرية وهى تواجه التكاليف بمشاقها وآلامها مع ما يصاحب هذه المشاق والآلام من أشواق ومن تطلع إلى الوفاء كذلك، ونرى ذلك كله مرتسمًا من خلال الوصف للواقع.

ونرى طريقة المنهج القرآنى الربانى فى التعامل مع النفس البشرية فى قوتها وضعفها.

إنه منهج عجيب فى تكامله وفى تقابله مع النفس البشرية.

لقد كان التفوق فى منهج التربية، والتفوق فى التنظيم الاجتماعى الذى قام عليه هو الأمر البارز الظاهر فيما بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات حوله من فروق.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٥٩) إلى صفحة رقم (٦٠)

الدرس العاشر

(العدالة) فى قصة لم تعرف لها البشرية شبيهًا

من الآية رقم(١٠٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

إلى الآية رقم(١١٣) قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾

مدة الحفظ(يوم واحد)

هذه الآيات تحكى قصة لاتعرف لها الأرض نظيرًاولاتعرف لها البشرية شبيها . .وتشهد-وحدها-بأن هذا القرآن، وهذا الدين لابد أن يكون من عند الله، لأن البشر مهما ارتفع تصورهم، ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم-لايمكن أن يرتفعوا-بأنفسهم-الى هذا المستوى الذى تشير إليه هذه الآيات إلا بوحى من الله.

إنه فى الوقت الذى كان اليهود فى المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة، التي تحويها جعبتهم اللئيمة، على الإسلام والمسلمين، والتى حكت هذه السورة وسورة البقرة وسورة آل عمران جانبًامنها ومن فعلها فى الصف المسلم.

فى الوقت الذى كانوا فيه ينشرون الأكاذيب، ويؤلبون المشركين، ويشجعون المنافقين ويرسمون لهم الطريق، ويطلقون الاشاعات، ويضللون العقول، ويطعنون فى القيادة النبوية، ويشككون فى الوحى والرسالة، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل، فى الوقت الذى يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج والإسلام ناشئ فى المدينة، ورواسب الجاهلية مايزال لها آثارها فى النفوس، ووشائج القربى والمصلحة بين بعض المسلمين وبعض المشركين والمنافقين واليهود أنفسهم، تمثل خطرًا حقيقيًا على تماسك الصف المسلم وتناسقه. فى هذا الوقت الحرج، الخطر، الشديد الخطورة. . .كانت هذه الآيات كلها تتنزل على رسول الله ﷺ وعلى الجماعة المسلمة، لتنصف رجلاً يهوديا، اتهم ظلماً بسرقة، ولتدين الذين تآمروا على مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة. . . . ! إن المسألة لم تكن تبرئة برئ تآمرت عليه عصبة لتوقعه فى الاتهام، ولكن المسألة كانت هى تطهير هذا المجتمع الجديد، وعلاج عناصرالضعف البشرى فيه مع علاج رواسب الجاهلية والعصبية فى كل صورها حتى في

صورة العقيدة، إذا تعلق الأمر بإقامة العدل بين الناس. لقد كان هناك أكثر من سبب للإغضاء عن الحادث! كان هناك سببًا واضحًا عريضًا.. أن هذا المتهم يهودى من (يهود)..

وكان هناك سببًا آخر وهو أن الآمر فى الأنصار الذين آووا ونصروا...

وكان هناك سببًا ثالثًا هو عدم إعطاء اليهود سهمًا جديدًا يوجهونه للأنصار وهو أن بعضهم يسرق.

ولكن الأمر كان أكبرمن هذا كله، كان أكبر من كل هذه الاعتبارات الصغيرة...

واختار الله سبحانه وتعالى- هذا الحادث بذاته، فى ميقاته... مع يهودى من (يهود) التى يذوق منها المسلمون الأمرين إذ ذاك فى المدينة.

اختار الله هذا الحادث في هذا الظرف ليقول فيه -سبحانه وتعالى- للجماعة المسلمة ماأراد أن يقول، وليعلمها به ما يريد لها أن تتعلم!

ومن ثم لم يكن هناك مجال للباقة! ولا للكياسة! ولا للسياسة! ولا للمهارة فى إخفاء ما يحرج، وتغطية مايسوء!

ولم يكن هناك مجال لمصلحة الجماعة المسلمة الظاهرية! ومراعاة الظروف الوقتية المحيطة بها. فهذا الأمر أمر العدل بين الناس العدل فى هذا المستوى الذى لا يرتفع إليه الناس بل لا يعرفه الناس - إلابوحى من الله وعون الله.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٦٠) إلى صفحة رقم (٦١)

الدرس الحادى عشر

(النجوى وجزاؤها)

من الآية رقم(١١٤) قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ... ﴾

إلى الآية رقم(١٢٦) قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾

مدة الحفظ(يوم واحد)

يتصل هذا الدرس بالدرس السابق بأكثر من صلة:

فهو أولاً: نزلت بعض آياته تعليقًا وتعقيباً على الأحداث التى تلت حادث اليهودى من ارتداد (بشير بن ابيرق) ومشاقته للرسول ﷺ وعودته إلى الجاهلية. ويقرر أن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك -لمن يشاء-.

وهو ثانيًا: يتحدث عن النجوى والتآمر، وأنه لا خير فى كثير مما يتناجون به من أمثال ما بيتوا فى هذا الحادث وتناجوا ويحدد أنواع النجوى التى يحبها الله.

وأخيرًا: يقرر القواعد العادلة التى يجازى بها الله على الأعمال وأنها ليست تابعة لرغبات أحد من الناس وتمنياتهم، لاأمانى المسلمين ولا أمانى أهل الكتاب إنما هى ترجع الي عدل الله المطلق وإلى الحق الذى لو اتبع أهواءهم لفسدت السموات والأرض.

فالدرس كله -موضوعًا واتجاها- موصول الأسباب بالدرس السابق من هذه الناحية، ثم هو حلقة من حلقات المنهج التربوى الحكيم، فى إعداد هذه الجماعة لتكون الأمة التي تقود البشرية بتفوقها التربوى والتنظيمى، وليعالج فيها مواضع الضعف البشرى، ورواسب المجتمع الجاهلى، وليخوض بها المعركة في ميادينها كلها. وهو الهدف الذى نتوخاه بشتى موضوعاتها. ويتولاه المنهج القرآنى كله.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٦٢) إلى صفحة رقم (٦٣)

الدرس الثانى عشر
(علاج رواسب المجتمع الجاهلى
وربطها بنظام الكون كله)

من الآية رقم(١٢٧) قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ... ﴾

إلى الآية رقم(١٣٤) قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا ... ﴾

مدة الحفظ:(يوم واحد)

هذا الدرس تكملة لما بدأت به السورة من علاج رواسب المجتمع الجاهلى فيما يختص بالمرأة والأسرة، وفيما يختص بمعاملة الضعاف فى المجتمع كاليتامى والأطفال. وتنقية المجتمع المسلم من هذه الرواسب، وإقامة البيت فيه على أساس من كرامة شطرى النفس الواحدة، ورعاية مصالحهما معًا، وتقوية روابط الأسرة وإصلاح مايشجر فى جوها من خلاف، قبل أن يستفحل، فيؤدى إلى تقطيع هذه الروابط، وتحطيم البيوت على من فيها، وبخاصة الذرية الضعيفة الناشئة فى المحاض واقامة المجتمع كذلك على أساس من رعاية الضعاف فيه كى لايكون الأمر للأغلب، وتكون شريعة الغاب هى التى تتحكم.

وهذا الدرس يعالج بعض الشؤون، ويربطها بنظام الكون كله... مما يشعر المخاطب بهذه الآيات أن أمر النساء والبيوت والأسرة والضعاف فى المجتمع، هو أمر خطير كبير... وهى فى الحقيقة خطير كبير...

فهناك جهد مبذول فى هذا المنهج لتخليص المجتمع المسلم من رواسب الجاهلية، ومن رفع مستوى النفس، والاجتماعى، والخلقى، بما يكفل تفوقه على المجتمعات كلها من حوله وعلى كل مجتمع آخر لا يدين بهذا الدين ولايتربى بهذا المنهج ولايخضع لنظامه الفريد.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٦٣) إلى صفحة رقم (٦٤)

الدرس الثالث عشر

(الرعاية الإلهية فى تربية الجماعة المسلمة)

من الآية رقم(١٣٥) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ... ﴾

إلى الآية رقم(١٤٧) قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ... ﴾

مدة الحفظ:(يومان)

هذا الدرس حلقة من سلسلة التربية المنهجية التى تولتها يد الرعاية الإلهية لاخراج الأمة التى قال الله فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١١٠].

وهى حلقة من المنهج الثابت المطرد الخطو، المرسوم الأهداف لمعالجة النفس البشرية بالدواء الذى صنعه صانع هذه النفس -سبحانه وتعالى- الخبير بدوربها ومنحنياتها، البصير بطبيعتها وحقيقتها، العليم بضروراتها وأشواقها وبمقدراتها وطاقاتها.

وهى أيضا ترسم فيها حال الجماعة المسلمة الأولى، المخاطبة بهذا القرآن وتبرز من بين السطور صورة لهذه الجماعة المسلمة الأولى إذ ذاك-كما هى بكل مافيها من بشرية وبكل مافى بشريتها من ضعف وقوة ومن رواسب جاهلية ومشاعر فطرية وتبرز كذلك طريقة المنهج فى علاجها وتقويتها وتثبيتها على الحق الذى تمثله. بكل ما فى وقفتها مع الحق من جهد وتضحية.

ويبدأ الدرس بنداء الجماعة المؤمنة إلى النهوض بتكاليف دورها فى إقامة العدل بين الناس متخلصة من كل عاطفة أوهوى أو مصلحة متجردة من كل اعتبار غير تقوى الله ومرضاته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾.

هذا العدل الذى رأينا نموذجًا منه فى الدرس العملى فى حادث اليهودى الذى سلف ذكره .

ثم يدعوهم دعوة ثانية إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾.

وبعد هذين النداءين يأخذ السياق فى حملة منوعة الأساليب على المنافقين - من بقى منهم على حالة النفاق ومن أعلن كفره بعد إعلان إسلامه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾. ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وترد فى ثنايا هذه الحملة توجيهات للمؤمنين وتحذيرات تدل على مدى ماكان لأفاعيل المنافقين واجتنابهم من ذلك أمرهم باجتناب مجالس المنافقين!

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

ولم يأمرهم بمقاطعتهم البتة مما يدل على أن جبهة النفاق كانت ضخمة ومتغلغلة بصورة يصعب فيها على المسلمين مقاطعتهم.

كذلك ترد فى ثناياها تحذيرات للمسلمين من سمات النفاق ومقدماته كى لايقعوا فيها. وأخصها موالاة الكافرين، وابتغاء العزة عندهم والقوة بهم.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفى نهاية الدرس تجئ تلك اللفتة العجيبة إلى استغناء الله -سبحانه وتعالى- عن تعذيب العباد. فهو لا يطلب منهم إلا أن يؤمنوا ويشكروا وهو سبحانه غنى عن أيمانهم وشكرهم. ولكن ذلك إنما هو لصلاح حالهم.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٦٥) إلى صفحة رقم (٦٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٣٥	١٤١
	إلى	١٤٠	١٤٧

الدرس الرابع عشر

(جولة مع اليهود)

[وإنصاف عيسى وأمه، وحقيقة العقيدة فى صلب المسيح]

من الآية رقم(١٤٨) قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ... ﴾

إلى الآية رقم(١٧٠) قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ ... ﴾

مدة الحفظ(يومان)

هذا الدرس جولة مع اليهود وهم من أهل الكتاب ويتجه السياق إلى إنصاف الحق والعقيدة. وإنصاف عيسى بن مريم وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود وإنصاف العقيدة الصحيحة فى حكاية صلب المسيح-عليه السلام-وأنصف الحق نفسه من يهود، وأفاعيل يهود وعنت يهود.

لقد كان القرآن ينشئ أمة جديدة، ومن بين عوامل البناء تطهير ضمائر هذه الجماعة وتطهير جوالمجتمع الذى تعيش فيه، ورفع المستوى الخلقى والنفسى الذى تستوى عليه .

﴿لا يُحبُّ اللَّهُ الجهر بالسُّوء من القوْل إلاَّ من ظُلم﴾.

وهذا طرف من هذا التطهير للنفس والمجتمع.

﴿إن تُبدُوا خيْراً أوْ تُخفُوهُ أوْ تعْفُوا عنْ سُوء فإنَّ اللَّه كان عفُواً قديراً﴾

والجهر بالسوء من القول-سهل على اللسان مالم يكن هناك تحرج فى الضمير وتقوى الله وفى أول الأمر يبدأ باتهامات فردية -سبًا وقذفًا- وينتهى انحلالاً اجتماعيا. . لذلك كله كره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء.

ثم يأخذ السياق بعد ذلك جولة مع (الذين أوتوا الكتاب) بصفة عامة ثم ينتقل منها إلى اليهود فى شوط وإلى النصارى فى الشوط الأخير.

﴿وإن مّنْ أهْل الكتاب إلاَّ ليُؤْمننَّ به قبْل موْته ويوْم القيامة يكُونُ عليْهمْ شهيداً﴾ .

﴿فبظُلْمٍ مّنَ الّذين هادُوا حرَّمْنا عليْهمْ طيّبات أُحلّتْ لهُمْ وبصدّهمْ عن سبيل الله كثيراً﴾ .

والجولة كلها طرف من المعركة التى خاضها القرآن مع أعداء الجماعة المسلمة فى المدينة.

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٤٢) إلى صفحة رقم (٤٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٧	١٢
	إلى	٦	١١	١٤

الدرس الخامس عشر

(جولة مع النصارى)

من الآية رقم (١٧١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ . . . ﴾

إلى الآية رقم(١٧٥) قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ . . . ﴾

مدة الحفظ(يوم واحد)

فى هذا الدرس جولة مع النصارى من أهل الكتاب، كما كان الدرس الماضى جولة مع اليهود منهم، وهؤلاء وهؤلاء من أهل الكتاب الموجه إليهم هذا الخطاب.

وفى الدرس الماضى أنصف القرآن عيسى بن مريم وأمه الطاهرة من افتراءات اليهود وأنصف العقيدة الصحيحة فى حكاية صلب المسيح. وفى هذا الدرس يتجه السياق إلى إنصاف الحق والعقيدة، وإنصاف عيسى بن مريم كذلك من غلو النصارى فى شأن المسيح -عليه السلام- ومن الأساطير الوثنية التى تسربت إلى النصرانية السمحة من شتى الأقوام وشتى الملل التي احتكت بها النصرانية، سواء فى ذلك أساطير الإغريق والرومان وأساطير قدماء المصريين وأساطير الهنود.

ولقد تولى القرآن الكريم تصحيح عقائد أهل الكتاب التى جاء فوجدها مليئة بالتخريفات مشحونة بالأساطير، كما تولى تصحيح عقائد المشركين المتخلفة من بقايا الحنيفية دين ابراهيم -عليه السلام- فى الجزيرة العربية ومن ركام فوقها من أساطير البشر وترهات الجاهلية! لا بل جاء الإسلام ليتولى تصحيح العقيدة فى الله للبشر أجمعين، وينقذها من كل إنحراف وكل اختلاف، وكل غلو، وكل تفريط فى تفكير البشر أجمعين. . . فصحح فيما صحح -اختلالات تصور التوحيد فى آراء أرسطو في أثينا قبل الميلاد وأفلوطين فى الإسكندرية بعد الميلاد، ومابينهما وما تلاهما من شتى التصورات فى شتى الفلسفات التى كانت تخبط فى التيه، معتمدة على زبالة العقل البشرى الذى لابد أن تعينه الرسالة ليهتدى فى هذا التيه.

والقضية التي يعرض لها السياق فى هذه الآيات، هى (قضية التثليث) وما تتضمنه من أسطورة (نبوة المسيح) لتقرير وحدانية الله سبحانه على الوجه المستقيم الصحيح. وما تزال

فكرة التثليث تصــدم عقول المثقـفين من النصارى، فيـحاول رجال الكنيســة أن يجعلوها مقبـولة لهم بشتى الطرق، ومن بينها الإحــالة إلى مجهولات لاينكشف ســرها للبشر إلا يوم ينكشف الحجاب عن كل ما فى السماوات وما في الأرض!!!!

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٧٠) إلى صفحة رقم (٧١)

الدرس السادس عشر

(أحكام الكلالة)

الآية الأخيرة(١٧٦)وهى قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ... ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

وهكذا تختم السورة التى بدأت بعلاقات الأسرة، وتكافلها الاجتماعى، وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية فى ثناياها. تختم بتكملة أحكام الكلالة-وهى على قول أبى بكر-رضى الله عنه-وهو قول الجماعة :(ما ليس فيها ولد ولا والد) وقد ورد شطر هذه الأحكام فى أول السورة. وهو الشطر المتعلق بوراثة الكلالة من جهة الرحم حين لا توجد عصبة. وقد كان نصه هناك ضمن الآية(١٢) ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾.

فالآن يستكمل الشطر الآخر فى وراثة الكلالة... فإن كان للمتوفى الذى لاولد له ولاوالد أخت شقيقة أولأب. فلها نصف ماترك أخوها، وهو يرث تركتها -بعد أصحاب الفروض- إن لم يكن لها ولد ولاوالد كذلك. فإن كانتا شقيقتين أو لأب فلهما الثلثان مما ترك. وإن تعدد الأخوة والأخوات فللذكر مثل حظ الأنثيين-حسب القاعدة العامة فى الميراث- والأخوة والأخوات الأشقاء يحجبون الأخوة والأخوات لأب حين يجتمعون.

وتختم آية الميراث، وتختم معها السورة بذلك التعقيب القرآنى الذى يرد الأمور كلها لله، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات والأموال وغير الأموال بشريعة الله .

﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾.

تفسير آيات هذا الدرس صفحة رقم (٧١)

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

الدرس الأول
(تنظيم حياة المجتمع المسلم)
من الآية رقم (١/١٥)
مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

١ **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم..﴾** إنه خطاب (للناس) بصفتهم هذه لردهم جميعًا إلى ربهم الذى **﴿خلقكم من نفس واحدة﴾** وهو آدم **﴿وخلق منها زوجها﴾** وهى حواء وأنه تعالى **﴿وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾** واتقوا ربكم **﴿الذي تساءلون به﴾** أى يسأل أحدكم بالله ليعطيه أخيه كذا - واتقوا الأرحام أن تقطعوها **﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾**.

٢ **﴿وآتوا اليتامى أموالهم..﴾** أمر الله تعالى أوصياء اليتامى أن يعطوا اليتامى أموالهم إذا هم بلغوا سن الرشد. ونهاهم أن يستبدلوا أموال اليتامى الجيدة بأموالهم الرديئة ونهاهم أن يأكلوا أموال يتاماهم مخلوطة مع أموالهم وعلل ذلك بأنه إثم عظيم **﴿حوبا كبيرا﴾**.

سبب النزول: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم..﴾ قال مقاتل والكلبى: نزلت فى رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم: طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبى ﷺ فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله فقال النبى ﷺ: «ومن يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره» يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله تعالى، فقال النبى ﷺ: «ثبت الأجر وبقى الوزر» فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله؟ فقال: «ثبت الأجر للغلام وبقى الوزر على والده».

٣ **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى..﴾** أرشد الله تعالى أولياء اليتيمات إن هم خافوا أن لايعدلوا معهن إذا تزوج أحدهما وليته أرشدهم إلى أن يتزوجوا ماطاب لهم من النساء. وإن خاف المؤمن ألا يعدل فليكتف بواحدة.

سبب النزول: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى..﴾ عن عائشه قالت: أنزلت هذه فى الرجل يكون له اليتيمة وهو وليها ولها مال وليس لها أحد يخاصم دونها، فلاينكحها حبا لمالها، ويضربها ويسيئ صحبتها فقال الله تعالى: **﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾** يقول: ما أحللت لكم ودع هذه.

٤ **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة..﴾** يأمر الله تعالى المؤمنين بأن يعطوا النساء مهورهن فريضة منه تعالى فرضها على الرجل لامرأته فلايحل له أو لغيره أن يأخذ منها شيئًا إلا برضى الزوجة فإن هى رضيت فلا حرج.

٥ **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم..﴾** ينهاهم الله تعالى أن يعطوا أموالهم التي هى قوام معاشهم السفهاء من إمرأه وولد أو رجل وأمرهم أن يرزقوهم فيها ويكسوهم ويقولوا للسفهاء الذين منعوهم أموالهم قولا معروفا كالعدة الحسنة والكلمة الطبية.

٦ **﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح..﴾** يعطوهم بعض أموالهم اذا بلغوا سن الرشد ليختبروهم في البيع والشراء فلو وجدوا منهم حسن تصرف دفعوا إليهم أموالهم وأشهدوا عليهم حتى لايقول أحدهم فى يوم من الأيام ما أعطيتنى مالى. ونهاهم أن يأكلوا أموال اليتامى بطريقة

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

الإسراف، والمبادرة بالمسارعة قبل أن يرشد السفيه وأرشدهم إلى أقوم الطرق **﴿ومن كان غنيًا فليستعفف﴾** فليكف **﴿ومن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف﴾** بأن يستقرض منه ثم يرده بعد الميسرة.

٧ **﴿للرجال نصيبٌ ممّا ترك الوالدان والأقربون ..﴾** هذا هو المبدأ العام الذى أعطى الإسلام به (النساء) منذ أربعة عشر قرنًا. ولقد كانوا فى الجاهلية لايورثون البنات ولا الصبية إلا التافه القليل. ومن ثم أصبحت المرأة كالطفل الصغير يرثان كالرجال.

سبب النزول: ﴿للرجال نصيبٌ ممّا ترك الوالدان والأقربون..﴾ قال المفسرون: إن أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأه يقال لها: أم كجة وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه، يقال لهما: سويد وعرفجه، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته شيئا ولابناته وكانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرًا إنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون: لا يعطى إلامن قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فجاءت أم كجة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله: إن أوس بن ثابت مات وترك علىَّ بنات وأنا امرأته وليس عندى ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالاً حسنا وهو عند سويد وعرفجه ولم يعطيانى ولابناته من المال شيئا وهن فى حجرى ولايطعمانى ولايسقيانى ولايرفعان لهن رأسًا فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله ولدها لايركب فرسًا ولايحمل كلاً ولا ينكى عدوًا، فقال رسول الله ﷺ: «انصرفوا حتى أنظر ما يُحدث الله لى فيهن» فانصرفوا فأنزل الله الآيه

٨ **﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين ..﴾** اعطوهم شيئا من هذه التركة قبل قسمتها وإن تعذر قولوا لهم قولاً معروفا.

٩ **﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريّة ضعافا ..﴾** وهذا إرشاد الله تعالى للمؤمن الذى يحضر مريضا على فراش الموت بأن لايسمح له أن يحيف فى الوصية وعليهم أن يتقوا الله فى أولاد غيرهم وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولاً صائبًا لا حيف فيه ولا جور معه.

١٠ **﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى ..﴾** إن هذا المال نار (من يأكل مال اليتيم) وإنهم ليأكلون النار وإن مصيرهم لإلى النار فهى النار تشوى البطون وتشوى الجلود.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إنّ الذين يأكلون أموال اليتامى..﴾ قال مقاتل بن حيان: نزلت فى رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله (فأنزل الله الآية)

معاني الكلمات:

وبثّ: نشر.

الخبيث: الحرام، الطيب: الحلال.

حوبًا كبيرًا: إثمًا.

فإن آنستم: أبصرتم.

ألاّ تقسطوا: ألاتعدلوا.

صدُقاتهنّ نحلة: مهورهن فريضة.

إسرافًا وبدارًا: الإسراف: الإنفاق في غير الحاجة الضرورية **البدار**: المسارعة.

فليستعفف: أى يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال اليتيم.

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن
لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم
مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ
رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ
وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)
وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٤)

١١ ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ نزلت هذه الآية لتفصيل حكم الآية (٧) ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ والتى تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين. ففى هذه الآية(١١) يبين تعالى فيها توارث الأبناء مع الآباء ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يريد إذا مات الرجل وترك أولاداذكوراً وإناثا فإن التركة تقسم على أساس أن للذكر مثل نصيب الأنثيين وإن ترك بنتين أو أكثر ولم يترك معهن ذكرًا فللبنتين الثلثان والباقى للعصبة - وإن ترك بنتا واحدة فلها النصف والباقى للعصبة. وإن كان الميت قد ترك أبويه أى أمه وأباه وترك أولادًا ذكورًا أو إناثًا فإن لكل واحد من أبويه السدس والباقى للأولاد ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ فإن لم يكن له ولد ولاولد ولد فلأمه الثلث وان كان له أخوة اثنان فأكثر فلأمه السدس ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ أى تسقط من الثلث إلى السدس ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾فيقضى الدين الذى على الميت وتنفيذ وصيته إن كان الثلث أو أقل ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ ولا تحاولوا أن تفضلوا أحدًا على أحد بلا محاباة فهو سبحانه عليم بخلقه وبمايـنفعهم أويضرهم

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم..﴾ عن جابر قال: عادنى رسول الله ﷺ وأبو بكر فى بنى سلمة يمشيان، فوجدنى لا أعقل فدعا بماء فتوضأ ثم رش علي منه فأفقت، فقلت: كيف أصنع فى مالي يارسول الله؟ فنزلت ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾.

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ..﴾ الآية السابقة كانت فى بيان الوراثة بالنسب وجاءت هذه فى بيان الورثة بالمصاهرة والخطاب هنا للرجال والمراد بالولد (الابن أو البنت أوأولاد الابن سواء كانوا من الزوج أو الوارث أو من غيره) فللزوج مع عدم الولد النصف ومع الولد الربع. وللزوجة فى حالة وفاة زوجها فلها الربع مع عدم الولد. ولها الثمن مع الولد.. ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الكلالة: الميت الذى لاولد له ولاوالد ولاجد وهو الذى يرثه الإخوة أو الأعمام أو أبناء الأعمام. ﴿أو امرأة﴾ تورث كلالة ﴿وله أخ أو أخت﴾ وأجمع العلماء أن الإخوة ها هنا هم الإخوة لأم. أما الأشقاء فسيأتى بيانهم فى آخر السورة الآية (١٧٦) ولهؤلاء الاخوة لأم ﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ ذكرًا كان أو أنثى إذا انفرد ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك﴾ مختلطين ﴿فهم شركاء في الثلث﴾ ﴿غير مضار﴾ بالدين أو الوصية..

١٣ ﴿تلك حدود الله ..﴾هذه الأحكام المتقدمة لا تجوز مجاوزتها ولا يحل تعديها ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فى قسمة المواريث وغيرها من الأحكام فله جنات تجرى من تحتها الأنهار.

١٤ ﴿ومن يعص الله ورسوله..﴾ ويغير هذه الأحكام أو يترك العمل بها فله الخزى والإذلال.

معانى الكلمات:

فارزقوهم منه: اعطوهم شيئا يرزقونه.
يوصيكم: يعهد إليكم.
حظ: حصة أو نصيب.
لا تدرون: لاتعلمون.
فريضة من الله: فرض الله ذلك عليكم فريضة.
أزواجكم: الأزواج هنا الزوجات.
له ولد: ابن الصلب ذكراً كان أو أنثى وولد الولد مثله.
حليم: لا يعاجل بالعقوبة.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ
عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي
ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا
﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا
وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا
﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ
يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ
قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ
أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ
لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ
مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

الدرس الثانى

(تطهير المجتمع المسلم من الفاحشة)

من الآية (١٥/ ٢٣)

مدة الحفظ (يوم واحد)

١٥ ﴿واللاتي يأتين الفاحشة ..﴾ وهي فاحشة الزنا ووضع لها حدًا وهى الحبس فى البيوت حتى الموت أو إلى أن ينزل حكمًا آخر يخرجهن من الحبس. (كان هذا أول الإسلام ثم نسخ) عن ابن عباس قال: كانت المرأة إذا فجرت حبست في البيوت فإن ماتت ماتت، وإن عاشت عاشت حتى نزلت الآية فى سورة النور ﴿الزانية والزاني فاجلدوا ..﴾ فجعل الله لهن سبيلاً فمن عمل شيئا جلد وأرسل، أى ترك ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ طريقا بأن ينزل في شأنهن حكما آخر -والسبيل هو بنزول آية الحد للزانية والزانى- هذا فى المحصنات.

١٦ ﴿واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ..﴾ والأوضح أن المقصود هنا هما الرجلان يأتيان الفاحشة الشاذة وهو قول مجاهد -رضى الله عنه- وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما ﴿فآذوهما﴾ هو الشتم والتعيير والضرب بالنعال إلى أن يتوبا ويصلحا فحينئذ يعفى عنهما ويكف عن أذيتهما.

١٧ ﴿إنما التوبة على الله ..﴾ أي واجبة على الله فيقبل توبتهم إن تابوا إليه لهؤلاء الذين يعملون المعاصى جاهلين. فعن ابن عباس: «كل من عمل السوء فهو جاهل، من جهالته عمل السوء».

١٨ ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات ..﴾ هؤلاء الذين لا يتوبون حتى إذا مرض أحدهم وظهرت عليه علامات الموت وأيقن أنه ميت لا محالة قال إنه تائب ولم يبق له فى الحياة رجاء. ولا الذين يموتون وهم كفار فلا توبة لهم رأساً، ووجودها كعدمها.

١٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ..﴾ وهذه الآية لإبطال ما كان شائعًا بين الناس قبل الإسلام من الظلم اللاحق بالنساء. فبطل ذلك الحكم الجاهلى بهذه الآية الكريمة وأصبحت المرأة إذا مات زوجها اعتدت فى بيت زوجها فإذا انقضت عدتها ذهبت حيث شاءت ولها مالها وما ورثته من زوجها أيضا ﴿ولا تعضلوهن﴾ أى تمنعوهن أن يتزوجن غيركم لتأخذوا ميراثهن. وهذا حكم آخر وهو أنه يحرم على الزوج إذا كره زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تفتدى منه ببعض مهرها. هذا مالم ترتكب الزوجة فاحشة الزنى أو تترفع عن الزوج وتتمرد عليه وتبخسه حقه فى الطاعة والمعاشرة بالمعروف. أما لو أتت بفاحشة أو نشزت فللزوج أن يضايقها حتى تفتدى منه بمهرها أو بأكثر حتى يطلقها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ وإن فرض أن كره أحدكم زوجته وهى لم تأت بفاحشة مبينة فليصبر عليها ولايطلقها فلعل الله أن يجعل في بقائها فى عصمته خيراًكثيرا نتيجة الصبر عليها ﴿فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم﴾ عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها (فنزلت الآية).

معانى الكلمات:

تلك حدود الله: ما حده لنا وبيَّنه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه.

من نسائكم: المحصنات.

بجهالة: لامع العمد والإصرار وعدم المبالاة. ولا تعضلوهن: لا تمنعوهن.

ببعض ما آتيتموهن: أى من المهور.

مبينة: ظاهرة واضحة.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٢٠ ﴿وإنْ أردتُّمُ اسْتِبْدالَ زوْجٍ مَكانَ زوْجٍ ..﴾ إذا طلق الزوج لا لإتيان زوجته الفاحشة ولا لنشوزها ولكن لرغبة منه فى طلاقها ليتزوج غيرها فلا يحل له أن يضارها لتفتدى منه بشئ ولو قل. ولو كان قد أمهرها قنطارًا فلا يحل له أن يأخذ منه شيئًا ﴿أتأْخُذُونَهُ﴾ أى ظلما بغير حق كذبًا وافتراء وإثما مبيناً أى ذنبا عظيما

٢١ ﴿وكيف تأْخُذُونَهُ﴾ وبأى وجه ﴿وقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إلىٰ بَعْضٍ﴾ اى خلص الزوج إلى عورة زوجته والزوجة كذلك ﴿وأَخَذْنَ مِنكُم مِيثاقًا غليظًا﴾ وهو العقد وقول الزوج: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

٢٢ ﴿ولا تنكحُوا ما نكحَ آباؤُكم مِنَ النِّساءِ﴾ نهى عما كانت عليه الجاهلية من نكاح نساء آبائهم إذا ماتوا ﴿إلاَّ ما قدْ سلَفَ﴾ اى قبل نزول الآية

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تنكحُوا ما نكحَ آباؤُكُم﴾ الآية نزلت فى حصن ابن أبى قيس تزوج امرأة أبيه: كبيشة بنت معن وفى الأسود بن خلف تزوج امرأة أبيه وقال أشعث بن سوار: توفى أبو قيس وكان من صالحى الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فأخبرته (فأنزل الله تعالى هذه الآية)

٢٣ ﴿حُرِّمَتْ عليْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ..﴾ وهذه محرمات النسب: الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت فهؤلاء سبع محرمات من النسب ثم ذكر المحرمات بالرضاع: ﴿وأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أرْضَعْنَكُمْ وأخَواتُكُم مِنَ الرَّضاعَةِ﴾ ثم ذكر تعالى المحرمات بالمصاهرة ﴿وأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ﴾ ﴿ورَبائِبُكُمُ اللاَّتِي في حُجُورِكُم﴾ والربيبة هى بنت الزوجة اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له الزواج من بنتها. ومن المحرمات بالمصاهرة امرأة الابن بنى بها أم لم يبن ﴿وحَلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ﴾ اى ليس بالتبنى ومن المحرمات بالمصاهرة أخت الزوجة إلا اذا ماتت الزوجة حتى لا يجمع بين الأختين إلا ما قد سلف فى الجاهلية فإنه عفو بشرط عدم الإقامة عليه.

معانى الكلمات:

لا تَنكِحُوا: لاتتزوجوا.

إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ: إلاما قد مضى، مقتًا: ممقوتاً

الدرس الثالث

(تنظيم شؤون الأسرة)

من الآية رقم(٢٤ /٣٥)

مدة الحفظ(يومان)

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٤ ﴿والمُحصَنات من النِسَاء إلا ما ملكتْ أيمانُكُم﴾ فلا تحل المتزوجة لغير زوجها (المحصنات) أى محصنات بالزواج والاستثناء هنا لما ملكت أيمانكم يتعلق بالسبايا اللواتى كن يؤخذن أسيرات فى حروب الجهاد الإسلامى وهن متزوجات فى دار الكفر. ﴿كتاب الله عليكُم﴾ أى عهد الله عليكم وميثاقه وكتابه. ويبين السياق المجال الذى يملك فيه الناس أن يلبوا دوافع فطرتهم فى التزاوج ﴿وأحلَّ لكُم مَا وراءَ ذلكُم﴾ ففيما وراء هذه المحرمات المذكورة فالنكاح حلال وللراغبين فيه ان يبتغوا النساء بأموالهم- أى لأداء صداقهن ومن ثم جعلها قيدا ﴿مُحصنين غيْر مسافحين﴾ فالعلاقة الأولى يحبهاالله-علاقة النكاح-والعلاقة الثانية يكرهها وينفيها علاقة المخادنة أو البغاء. ويجعل الله سبحانه صداق المرأة فريضة لها مقابل الاستمتاع بها ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهنَّ فريضةً﴾ فهذا حق لها مفروض. ولاحرج عليهما أن تتنازل الزوجة عن مهرها -كله أو بعضه- ﴿ولا جُناح عليكُم فيما تراضيتُم به من بعْد الفريضة﴾ أو فى أن يزيدها الزوج على المهر. ثم يجئ التعقيب ﴿إنَّ الله كانَ عليما حكيما﴾ فهو الذى شرع هذه الأحكام وهو الذى شرعها عن علم وحكمة.

٢٥ ﴿ومن لَم يستطع منكُم طولاً أن ينكح المُحصَنات ..﴾ فإذا كانت ظروف المسلم تحول بينه وبين الزواج من حره فقد رخص له فى الزواج من غيرالحرة. فنجد في هذه الآية تنظيم طريقة نكاح من هن ملك اليمين (الرقيق المتخلف من الحروب) لمواجهة واقع فطرتهن. ويعين الإسلام الصورة الوحيدة التي يرضاها بين الرجال الأحرار وغير الحرائر:

فأولاً: يجب أن يكن مؤمنات: ﴿فمن مَّا ملكتْ أيمانكُم مَن فتياتكُم المؤمنات..﴾

ثانيا: يجب أن يعطين أجورهن فريضة: ﴿وآتوهُنَّ أجورهُنَّ﴾

ثالثا: يجب أن تكون هذه الأجور فى صورة صداق وأن يكون نكاحًا لا مخادنة ﴿مُحْصنات غير مسافحات ولا مُتخذات أخْدان﴾ ثم يقرر الاسلام هناعقوبة مخففة على من ترتكب الفاحشة من هؤلاء الفتيات بعد إحصانها بالزواج لأن ظروفها أقرب للسقوط فى الفاحشة وأضعف في مقاومة الإغراء من الحرة ﴿فإذا أُحْصنَّ فإنْ أتين بفاحشة فعليهنَّ نصفُ ما على المحْصنات من العذاب﴾ ثم تنتهى الآية ببيان أن الزواج من الإماء رخصة لمن يخشى المشقة أو الفتنة فمن استطاع الصبر في غير مشقة فهو خير ﴿ذلك لمنْ خشي العنت منكُم وأن تصبروا خيرٌ لَّكُم واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ﴾ فمغفرة الله ورحمته وراء كل خطيئة ووراء كل اضطرار.

٢٦ ﴿يُريدُ اللهُ ليُبيّنَ لكُمْ ..﴾ ليكشف لكم عن حكمته وأن تروا هذه الحكمة وأن تتدبروها ﴿ويتوب عليكُم﴾ ليأخذ بيدكم إلى التوبة من الزلل والتوبة من المعصية ﴿واللهُ عليمٌ حكيمٌ﴾ فعن العلم والحكمة تصدر هذه التشريعات.

معاني الكلمات:

مَا وراءَ ذلكُمْ: أى ماعداه.

غير مُسافحين: المسافح: الزانى.

طوْلاً: سعة وقدرة على المهر.

فإذا أُحصنَّ: بأن أسلمن و تزوجن.

سنن الذين من قبْلكُم: طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ
عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن
تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا
وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ
وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧ ﴿واللهُ يُريدُ أن يتُوب عليكُم ..﴾ يريد الله أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث والفساد إلى حياة الطهر والصلاح. وأن الذين ﴿يتّبعون الشّهوات﴾ من الزناة واليهود والنصارى وسائر المنحرفين فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم.

٢٨ ﴿يريدُ اللهُ أن يُخفّف عنكُم ..﴾ يريد الله بذلك التخفف والتيسير عن المؤمنين رحمة بهم لما يعلمه سبحانه من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء.

٢٩ ﴿يا أيُها الّذين آمنُوا لا تأكُلُوا أموالكم بينكم بالباطل ..﴾ النداء للذين آمنوا والنهى لهم عن أكل أموالهم بالباطل. وأكل الأموال بالباطل يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله، أو نهى عنها ومنها الغش والرشوة والقمار واحتكار الضروريات وجميع أنواع البيوع المحرمة. والربا فى مقدمتها -واستثنى العمليات التجارية التي تتم عن تراض بين البائع والمشترى. وتنتهى الآية بتعقيب يجئ بعد النهى. أن ما تعج به الجاهليات القديمة والحديثة سواء وقد كتب عليها أن تقتل نفسها وتتردى فى هاوية الدمار. ولذلك حرم الله قتل النفس.

٣٠ ﴿ومن يفعل ذلك عُدوانا وظُلما﴾ وهذا تهديد بعذاب الآخرة لكل من يقتل مؤمنا عدواناً وظلماً ﴿فسوف نصليه نارا﴾ أى ندخله نارًا عظيمة ﴿وكان ذلك﴾ ﴿على اللّه يسيرا﴾ لأنه -سبحانه وتعالى- لا يعجزه شئ.

٣١ ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ..﴾ إن اجتناب كبائر الذنوب يكفر صغائرها ويدخل صاحبها الجنة. وهذه الآية من مبشرات القرآن لهذه الأمة.

٣٢ ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل اللّهُ به بعضكُم على بعض﴾ سواء من علم أو مال أو صحة أو جاه أو سلطان. ونسجل هنا ما منحه الإسلام للمرأة فى هذا النص من حق الملكية الفردية: ﴿للرّجال نصيب ممّا اكتسبوا وللنساء نصيب ممّا اكتسبن﴾ فلا تنشغلوا بالتمني واسألوا الله الخير ﴿واسألوا الله من فضله﴾ فمن سأله وألح عليه موقنا بالإجابة أعطاه ﴿إنّ اللّه كان بكلّ شيء عليما﴾

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل اللّه به بعضكُم على بعض﴾ قالت أم سلمة: يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث (فأنزل الله الآية).

٣٣ ﴿ولكلّ جعلنا موالي ممّا ترك الوالدان ..﴾ الموالى: الأقارب الذين يرثون الميت ﴿والّذين عقدت أيمانكم﴾ المراد بها موالى الموالاة: كان الرجل يعاقد الرجل فيقول له ترثنى وأرثك ثم نسخ بعد ذلك بقوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ وبقى للحليف الوصية.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال سعيد بن المسيب: نزلت هذه الآية فى الذين كانوا يتبنون رجالاً غير أبنائهم ويورثونهم فأنزل الله تعالى فيهم: أن يجعل لهم نصيب فى الوصية ورد الله تعالى الميراث إلى الموالى من ذوى الرحم والعصبة وأبى أن يجعل للمدعين ميراثًا من ادعاهم ويتبناهم ولكن جعل لهم نصيبًافي الوصية

معاني الكلمات:

إن تجتنبوا: تبتعدوا. مُدخلا كريما: الجنة.

موالي: من يرثون الميت من أقاربه.

عقدت أيمانكم: حالفتموهم وتآخيتم معهم.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

٣٤ ﴿الرِّجالُ قوَّامون على النساء ..﴾ وهذا هو الموضوع الأخير فى الدرس هو تنظيم مؤسسة الأسرة وضبط الأمور فيها وتوزيع الاختصاصات وتحديد الواجبات. فللمرأة وظائف ضخمة خطيرة وليست هينة ولايسيرة وقد زودت بالرقة والعطف... وكذلك زود الرجل بالخشونة والصلابة... وقوامة الرجل ليست من شأنها إلغاء شخصية المرأة فى البيت ولافى المجتمع ولا إلغاء وضعها (المدنى) وإنما هى وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة وصيانتها وحمايتها. وبعد بيان واجب الرجل يجئ بيان طبيعة المرأة المؤمنة الصالحة فى محيط الأسرة ﴿فالصالحاتُ قانتاتٌ حافظاتٌ للغيب بما حفظ اللهُ﴾ والقنوت: الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة ومحبة ومن طبيعة المؤمنة الصالحة أن تكون حافظة لحرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها فى غيبته، أما غير الصالحات.. فهن الناشزات ... والإسلام هنا يبادر باتخاذ الإجراءات في علاج علامات النشوز منذ أن تلوح من بعيد: (فالموعظة) فإن لم تنفع فالهجرة ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ وعندما لايفلح الهجر ﴿واضربوهن﴾ ضرب تأديب. والذى قرر هذه الاجراءات هو الذي خلق ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿الرِّجالُ قوَّامون على النساء﴾ قال مقاتل: نزلت هذه الآية فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير وهما من الأنصاروذلك أنها نشزت عليه فلطمها. فقال النبى ﷺ: «ارجعوا هذا جبريل عليه السلام أتانى» أنزل الله تعالى هذه الآية فقال رسول الله ﷺ: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا والذى أراد الله خير».

٣٥ ﴿وإنْ خفتم شقاق بينهما ..﴾ وعندما لا تجدى الاجراءات التى فى الآية السابقة (٣٤) أن يبعث حكم من أهلها ترتضيه وحكم من أهله يرتضيه يجتمعان فى هدوء لمحاولة الإصلاح ﴿إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما﴾ وبعد ذلك يكون قدر الله يكون مايكون عن علم بالسرائر عن خبرة بالصوالح ﴿إنَّ الله كان عليما خبيرا﴾.

الدرس الرابع

(جولة جديدة فى تنظيم حياة المجتمع)

من الآية رقم ٤٣/٣٦

مدة الحفظ (يومان)

٣٦ ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ..﴾ الأمر الأول: بعبادة الله. والنهى الثانى: لتحريم عبادة أحد -معه- سواه نهياً باتاً ﴿ولا تشركوا به شيئا﴾ كائنًا من كان ثم ينطلق الأمر بالإحسان إلى الوالدين على التخصيص -ولذى القربى- على التعميم. وهنا يجعل الكافل يبدأ فى محيط الأسرة ويعقب على أمر الإحسان بتقبيح الاختيال والفخر والبخل والتبخيل ﴿إنَّ الله لا يحبُّ من كان مختالا فخورا﴾.

٣٧ ﴿الَّذين يبخلون ويأمرون النَّاس بالبخل ..﴾ وهؤلاء هم أهل الكتاب وكتمانهم الحق وقد كتموا نعوت النبى ﷺ وصفاته فى التوراة والإنجيل وبخلوا بأموالهم وأمروا بالبخل بها. ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾.

معانى الكلمات:

والجار ذي القُربى: القريب لنسب أو مصاهرة.

والجار الجُنُب: أى الأجنبى مؤمنا أو كافرًا.

والصاحب بالجنب: الزوجة والصديق.

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)

٣٨ ﴿والَّذين يُنفقُون أمْوالهُمْ رئَاء النَّاس﴾ هؤلاء هم الذين أنفقوا أموالهم رياءً ليتقوا بذلك المذمة ويحصلوا على المحمدة هؤلاءهم المنافقون ﴿ولا يؤْمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ هؤلاء الذين اتخذوا الشيطان قريناً ﴿ومن يكن الشَّيْطانُ له قرينا فساء قرينا﴾.

٣٩ ﴿وماذا عليهمْ لوْ آمنُوا بالله ..﴾ هنا سؤال استنكار أجل! ماذا عليهم؟ ما الذى يخشون من الإيمان بالله واليوم الآخر والإنفاق من رزق الله والله عليم بهم وبما أنفقوا وبما استقر فى قلوبهم.

٤٠ ﴿إنَّ الله لا يَظْلمُ مثْقَالَ ذرَّة ..﴾ فلا خشية من الجهل بإيمانهم وإنفاقهم ولاخوف من الظلم فى جزائهم بل هناك الفضل والزيادة بمضاعفة الحسنات.

٤١ ﴿فكيْف إذَا جئْنا من كُلّ أُمَّة بشهيد ..﴾ وهذا مشهد من مشاهد القيامة كيف يكون حال أهل الكفر والشر والفساد إذا جاء الله تعالى بشهيد من كل أمة ليشهد عليها وجئنا بك أيها الرسول شهيداً على هؤلاء أي على أمته. إذ يشهد أنه بلغ رسالته وأدى أمانته ﷺ.

٤٢ ﴿يوْمئذ يودُّ الَّذين كفرُوا وعصوُا الرَّسُول ..﴾ ومن هول يوم القيامة أن الذين كفروا يودون وقد عصوا الرسول لو يسوون بالأرض فيكونون ترابا حتى لايحاسبوا ولا يجازوا بجهنم.

٤٣ ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تقْربُوا الصَّلاة وأنْتمْ سُكارى ..﴾ وهنا فى هذه الآية بيان لبعض أحكام الصلاة وأحكام الطهاره الممهدة لها.. وفى البداية وفى موضوع الخمر عالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة، لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لاتدع فيها فراغاً تملؤه بنشوة الخمر وخيالات السكر وما يصاحبها من مفاخر وخيلاء.. فى الهواء ﴿ولا جنبا إلاَّ عابري سبيل﴾ حال السفر فتصلوا بالتيمم ﴿وإن كنتم مرْضى﴾ بجراحات يضرها الماء ﴿أوْ علىٰ سفر أوْ جاء أحدٌ منْكُم منَ الغَائط أوْ لامسْتُمُ النساء﴾ بمضاجعتهن أو مستموهن بقصد الخلوة ﴿فلمْ تجدُوا ماءً﴾ تغتسلون به ﴿فتيمَّمُوا صعيدا طيّبًا﴾ أي اقصدوا ترابا طاهرا ﴿فامْسحُوا بوُجُوهكُمْ وأيْديكُمْ﴾ مرة واحدة ﴿إنَّ اللَّه كان عفُواً غفُورا﴾ فيصف سبحانه وتعالى نفسه بالعفو عن عباده المؤمنين إذا خالفوا أمره وبالمغفرة لذنوبهم إن هم تابوا إليه.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تقْربُوا الصَّلاة وأنتم سكارى﴾ نزلت فى أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة وهم نشاوى فلا يدرون كم يصلون ولاما يقولون فى صلاتهم.

وقوله تعالى: ﴿فلمْ تجدُوا ماءً فتيمَّمُوا صعيدًا طيّبًا﴾ عن ابن عباس عن عمار ابن ياسر قال: عرس رسول الله ﷺ بذات الجيش ومعه عائشة زوجته فانقطع عقد لها من جذع ظفار، فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر وليس معهم ماء، فتغيظ عليها أبو بكر رضى الله عنه وقال: حبست الناس. فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ قصة التطهير بالصعيد الطيب فقام المسلمون فضربوا بأيديهم الأرض إلى المناكب وبطون أيديهم إلى الآباط.

الدرس الخامس
(كشف أهداف أهل الكتاب)
من الآية ٤٤ /٥٧
مدة الحفظ (يومان)

٤٤ ﴿ألمْ تر إلى الَّذين أُوتوا نصيبًا من الْكتاب﴾ وهم رفاعة بن زيد وإخوانه من اليهود ﴿يشْترُون الضَّلالة﴾ وهو

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

الكفر يشترونها بالإيمان ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ أيها المؤمنون سبيل الحق والرشد وهو الإيمان بالله ورسوله.

٤٥ ﴿والله أعلم بأعدائكم﴾ أيها المؤمنون وما يريدونه بكم من الإضلال ﴿وكفى بالله وليا﴾ لكم ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ ينصركم فى مواطن الحرب فلا تتولوا غيره.

٤٦ ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ..﴾ يمضى السياق فيعين يهود ثم يصف حالهم وتصرفاتهم وسوء أدبهم مع الرسول ﷺ فى هذه الفترة. فلقد بلغ من سوء أدبهم مع الله ان يحرفوا الكلام عن المقصود به وبلغ من سوء أدبهم مع الرسول أن يقولوا له: سمعنا يا محمد ما تقول ولكننا عصينا فلا نؤمن ولانتبع ولانطيع!

٤٧ ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ..﴾ فهنا يتجه الخطاب إلى الذين أوتوا الكتاب -اليهود- دعوة إلى الكتاب المصدق لما بين أيديهم وتهديدًا لهم بالمسخ واللعن ﴿من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ أى نطمس وجوهكم فيجعل الوجه كالقفا. ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ وكان لعن أصحاب السبت مسخهم قردة وخنازير. ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ لامحالة متى أراده كان.

٤٨ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ..﴾ أى لمن مات على شركه ولم يتب منه. وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

٤٩ ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ..﴾ وذلك بادعاء فضائل ليست لهم كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل: ثناء بعض الناس على بعض ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ فهو العليم بمن يستحق التزكية من عباده ﴿ولا يظلمون فتيلا﴾ أى لايظلمون بالزيادة على مايستحقون بقدر الفتيل ولاينقصون من الثواب شيئا ولو بقدر الفتيل أيضا.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ قال الكلبى: نزلت فى رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم. وقالوا: يامحمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا فقالوا: والذى تحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل وما ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار فهذا الذى زكوا به أنفسهم.

٥٠ ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب ..﴾ فى قولهم ذلك وكفى بهذا الكذب ﴿إثما مبينا﴾ يغمس صاحبه فى النار.

٥١ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿يؤمنون بالجبت﴾ السحر ﴿والطاغوت﴾ الكاهن وما عبد من دون الله ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أى يقول اليهود لكفار قريش أنتم أهدى من الذين آمنوا بمحمد سبيلاً.

سبب النزول: عن عكرمة قال: جاء حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم بمحمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء، ونسقى اللبن على الماء، ونفك العانى، ونصل الرحم، ونسقى الحجيج، وديننا القديم ودين محمد الحديث، قالا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا (فأنزل الله الآية).

معاني الكلمات: من لدنه: من عنده.
يود الذين كفروا: يحب.
لامستم النساء: جامعتموهن.
نطمس وجوها: نذهب أثارها.
فتيلا: الخيط الأبيض يكون وسط النواة.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ
يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ
جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ
لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞إِنَّ
ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ
ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا
بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي
ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ
تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٢ ﴿أولئك الذين لعنهم الله﴾ لأنهم فضلوا قريشاً مع كفرهم بالله وعبادتهم الأصنام على رسول الله والمؤمنين ﴿ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ حتى ولو كانت دولاً تملك القنابل الأيدرجينية والصواريخ. إنما الناصر الحق هو الله.

٥٣ ﴿ أم لهم نصيب من الملك ..﴾ هؤلاء لو كان لهم نصيب لضنوا أن يعطوا الناس ﴿نقيرا﴾ وهو مقدار نقرة نواة

٥٤ ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله ..﴾ أم لعله الحسد.. وإنه فعلاً الحسد من اليهود ولكن لماذا يحسدون وهم غارقون فى فضل الله من عهد إبراهيم. ﴿فقد آتينا آل إبراهيم﴾ أى ليس ما آتينا محمداً وأصحابه من فضلنا ببدع. فذكَّرهم الله بما كان من إبراهم وآله، كسليمان وداود، آتاهم الله الكتاب والحكمة والملك وكانت لهم زوجات أكثر من محمد ﷺ بكثير.

٥٥ ﴿فمنهم من آمن به ..﴾ يريدأن من اليهود المعاهدين للنبى ﷺ من آمن بالنبى محمد ﷺ وهم القليل ﴿ومنهم من صد عنه﴾ وهم الأكثرون ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ لمن كفر حسداً وصد عن سبيل الله بخلاً ومكراً .

٥٦ ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا﴾ سوف ندخلهم ناراً عظيمة ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ كلما احترقت بدلهم الله جلوداً غيرها ﴿ليذوقوا العذاب﴾ ليتجدد ذوقهم للعذاب وإحساسهم به.

٥٧ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ..﴾ وفى المقابل نجد الذين آمنوا وعلموا الصالحات فى جنات ندية ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ ﴿خالدين فيها أبدا﴾ ﴿لهم فيها أزواج مطهرة﴾ نساء من الحور العين مطهرات من كل ما يؤذى.

الدرس السادس
(طبيعة النظام الإسلامى
لحماية المنهج)
من الآية ٥٨/ ٧٠
مدة الحفظ (يوم واحد)

٥٨ ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ..﴾ هذه هي تكاليف الجماعة المسلمة، وهذا هو خلقها، أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين ﴿الناس﴾ بالعدل على منهج الله وتعليمه. ثم يجئ التعقيب الأخير فى الآية يعلق الأمربالله ومراقبته ﴿إن الله كان سميعا بصيرا﴾.

٥٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ..﴾ والطاعة لأولى الأمر مقيدة بماكان معروفا للشرع ﴿وأولي الأمر منكم﴾ أى من المؤمنين الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام.

سبب النزول: عن ابن عباس قال: نزلت فى عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدى. بعثه رسول الله ﷺ فى سرية.

معانى الكلمات:
نقيراً: دليل على الصغر.
فإن تنازعتم: اختلفتم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٦٠ ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ..﴾ هم قوم يزعمون الإيمان ثم يهدمون هذا الزعم فى آن؟ قوم يزعمون أنهم ﴿آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل الله. يتحاكمون إلى شئ آخر وإلى منهج آخر وإلى حكم آخر ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ إنه العمد والقصد! إنما هو الشيطان الذى يريد لهم الضلال الذى لايرجى منه مآب.

سبب النزول: عن الشعبى قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فدعا اليهودى إلى النبى ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودى إلى حاكمهم لأنه علم أنه يأخذ الرشوة فى أحكامهم فلما اختلفا على أن يحكما كاهنا فى جهينة فأنزل الله (الآية).

٦١ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ..﴾ وهنا يمضى السياق فى وصف حالهم ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾.

٦٢ ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة ..﴾ وهذه المصيبة قد تصيبهم بسبب انكشاف أمرهم وسط الجماعة المسلمة أو من ظلم وقع عليهم أو ابتلاء من الله فالنص القرآنى يسأل: كيف يكون الحال؟ كيف يعودون إلى الرسول؟ يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا!! إنها حجة الذين يزعمون الإيمان وهم غير مؤمنين وهي حجة المنافقين الملتوين.. هي هى دائما وفى كل حين.

٦٣ ﴿أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم ..﴾ والله -سبحانه وتعالى- يكشف عن هذا الرداء المستعار. إنه يعلم خبايا الضمائر ومكنونات الصدور.

٦٤ ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ..﴾ وهنا يرغبهم -سبحانه وتعالى- فى العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله. فالتوبة باب مفتوح، والله تواب فى كل وقت على من يتوب. والله رحيم فى كل وقت على من يؤوب.

٦٥ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ..﴾ هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان إن الأمر ليس كما يزعمون أنهم آمنوا ولكن لا بد أن يجعلوك حكمًا بينهم فى جميع أمورهم لا يُحكّمون أحداً غيرك لا مجرد التحكيم ولكن الرضا والاطمئنان والإذعان والانقياد.

سبب النزول: عن أبى سلمة عن أم سلمة: أن الزبير بن العوام خاصم رجلاً فقضى رسول الله ﷺ للزبير، فقال الرجل: إنما قضى أنه ابن عمته (فأنزل الله الآية).

معانى الكلمات:

يزعمون: يقولون كاذبين.

فأعرض عنهم: اصفح عنهم.

قولا بليغا: كلامًا قوياً.

فيما شجر بينهم: أى اختلفوا فيه.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٦٦ ﴿ولَوْ أنَّا كَتَبْنَا عليْهِمْ أن اقْتُلُوا أنفُسَكُمْ ..﴾ أى يقتل بعضكم بعضًا كما حصل ذلك لبنى اسرائيل. ثم قال تعالى داعيا ومرغبًا لهم فى الهداية ﴿ولَوْ أنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ لكان ذلك خيراً فى الحال والمال ﴿وأَشَدَّ تثْبيتًا﴾ للإيمان فى قلوبهم. وللطاعة على جوارحهم. لو فعلوا! لأعطيناهم من لدنا أجرًا عظيما.

٦٧ ﴿وإذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أجْرًا عَظيمًا﴾ فبمجرد البدء يتبعه العون من الله ويتبعه الأجر العظيم.

٦٨ ﴿ولهديْنَاهُمْ صِراطًا مُّسْتَقيمًا﴾ ويتبع الأجر العظيم الهداية إلى الصراط المستقيم.

٦٩ ﴿ومَن يُطِعِ اللَّهَ والرَّسُولَ﴾ وهنا نجد الترغيب واستجاشة القلوب، فتستجيش مشاعر كل قلب فيه ذرة من خير وفيه بذرة من صلاح وهذه الصحبة ﴿فأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أنْعَمَ اللَّهُ عليْهِم﴾ صحبة كريمة فى جوار الله الكريم وهذه الصحبة لهذا الرهط العلوى... إنما هى فضل من الله. وفى صحيح البخارى سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب» قال أنس: فما فرح المسلمون فرحهم بهذا الحديث.

٧٠ ﴿ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّه ..﴾ إنه سبحانه يعلم من يستحق أن يؤتيه فضله.

الدرس السابع

(توجيه الجماعة المسلمة لحماية المنهج)

من الآية ٧١/٨٦

مدة الحفظ (يومان)

٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ..﴾ إنها الوصية للذين آمنوا: الوصية من القيادة العليا خذوا حذركم من عدوكم وأخرجوا للجهاد مجموعات صغيرة أوالجيش كله ﴿فانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ حسب طبيعة المعركة.

٧٢ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ..﴾ إنهم يبطئون ويتلكأون ولا يصارحون ليمسكوا العصا من وسطها كما يقال! هؤلاء لايعرفون غاية أعلى من مصالحهم المباشرة. إنهم لا يخجلون وهم يعدون هذه النجاة مع التخلف نعمة ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾

٧٣ ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ ..﴾ غنيمة أوفتح ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق قول نادم حاسد يقول لِم لَمْ تشركونى فى غنيمتكم وفتحكم؟ كأننى لم أكن أحبكم وأعينكم!! ولا يشغله أي هدف آخر غير المشاركه فى الغنيمة.

٧٤ ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذا الأمر لعباد الله المؤمنين وهم ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ أى يبيعون الدنيا ليفوزوا بالآخرة.

معانى الكلمات:

خُذُوا حِذْرَكُمْ: أي الا حتراس.

لَيُبَطِّئَنْ: يتباطأ فى الخروج.

فَضْلٌ: نصر وغنيمة. يَشْرُونَ: يبيعون.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

٧٥ ﴿وما لكُمْ لا تُقَاتِلُون فِي سَبِيلِ اللّه ..﴾ وكيف تقعدون عن القتال فى سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين؟ ﴿والْمُسْتَضْعَفِين من الرِّجالِ والنِّساءِ والْوِلْدانِ﴾ مالكم لاتقاتلون حتى تخلصوا هؤلاء الضعفاء من الأسر وتريحوهم من الجهد. فقد كان المؤمنون بمكة تحت إذلال الكفار عاجزين عن الانتقال إلى بلد يكونون فيه أعزة.

٧٦ ﴿الَّذين آمنُوا يُقَاتِلُون فِي سَبِيلِ اللّه..﴾ وذلك لتحقيق منهجه واقرار شريعته. ﴿والَّذِين كَفَرُوا يُقَاتِلُون فِي سَبِيلِ الطَّاغُوت﴾ لتحقيق مناهج شتى- غير منهج الله. ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان. ﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة.

٧٧ ﴿أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِين قِيل لهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ..﴾ يعجب الله -سبحانه وتعالى- من أمر هؤلاء الناس، الذين كانوا يتدافعون حماسة إلى القتال ويستعجلون وهم فى مكة، يتلقون الأذى والاضطهاد والفتنة-فلما جاء الوقت المناسب الذى قدره الله ﴿فلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ اذا فريق منهم شديد الجزع شديد الفزع حتى ليخشى الناس ﴿كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ وقالوا لولا أمهلتنا مدة أخرى ولو قليلة لنستمتع بالحياة فيها ﴿قُلْ متاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ سريع الفناء لايدوم لصاحبه وثواب الآخرة خيرلكم من المتاع القليل ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾

سبب النزول: عن ابن عباس: أن عبد الرحمن ابن عوف وأصحابه أتوا إلى النبى ﷺ بمكة فقالوا: يانبى الله كنا فى عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة! فقال: «إنى أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم». فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، (فأنزل الله تعالى الآية).

٧٨ ﴿أيْنَمَا تكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْموْتُ..﴾ وهذه اللمسة لتصحح التصور عن حقيقة الموت والحياة. فالموت حتم فى موعده المقدر ﴿ولو كُنتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدةٍ﴾ ولاعلاقة له بالحرب والسلم.. إنما العلاقة بين الموت والأجل.

سبب النزول: قال ابن عباس فى رواية أبى صالح: لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم (أحد) قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فأنزل الله الآية

٧٩ ﴿ما أَصَابَكَ مِنْ حَسنَةٍ فمِنَ اللّهِ..﴾ بهذا التوكيد يرد الله على تلك الطوائف المنبثة فى المجتمع الاسلامى ﴿وإن تُصِبْهُمْ حسنَةٌ يقُولُوا هذه منْ عند اللّه وإن تُصِبْهُمْ سيِّئَةٌ يقُولُوا هذه من عندك﴾ فيرد الله عليهم ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عندِ اللّه﴾ ويجئ فى هذه الآية هذا التقرير ﴿ما أصَابَكَ من حسنَةٍ فمِن اللّه وما أصَابَكَ من سيِّئَةٍ فمن نَفْسِك﴾ ان تحقق الحسنة، وتحقق السيئة ووقوعهما لايتم إلا بقدرة الله وقدره.

معانى الكلمات:

كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ: أى عن القتال.

بُرُوجٍ مُشَيَّدةٍ: حصون مبنية.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠ ﴿من يُطعِ الرَّسُولَ فقد أطاعَ اللَّهَ ..﴾ لأن الرسول لايأمر إلا بما أمر الله به ولاينهى إلا عما نهى الله عنه ﴿ومن تولى﴾ أى أعرض عن طاعتك ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ إنما عليك البلاغ، وليس عليك أن تؤمن قلوبهم.

٨١ ﴿ويقولون طاعةٌ ..﴾ وهنا يحكى السياق عن حال طائفة أخرى لعلها طائفة المنافقين. وهنا يطمئن الله - سبحانه وتعالى- النبى ﷺ والمخلصين فى الصف بأن عينه على هذه الطائفة التي تبيت وتمكر ﴿والله يكتبُ ما يُبيِّتون﴾ ثم هى تهديد ووعيد للمتآمرين المبيتين، والخطة هنا فى معاملة المنافقين هى أخذهم بظاهرهم لابحقيقة نواياهم ﴿فأعرِض عنهم﴾ ومع هذا التوجيه التطمين بكلاءة الله وحفظه مما يبيتون ﴿وتوكّل على الله وكفى بالله وكيلا﴾.

٨٢ ﴿أفلا يتدبّرونَ القرآن ..﴾ كل أحد وكل جيل مخاطب بهذه الآية ومستطيع- عند التدبر فعن منهج مستقيم ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ أى تفاوتا وتناقضا وعدم المطابقة للواقع.

٨٣ ﴿وإذا جاءهُم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ..﴾ وهذه الصورة هى صورة جماعة فى المعسكر الإسلامى لم تألف نفوسهم النظام ولم يدركوا قيمة الإشاعة فى خلخلة المعسكر، وفى النتائج التى تترتب عليها، والقرآن يدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح ﴿ولو ردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمهُ الّذين يستنبطونه منهم﴾ أى يستخرجونه بتدبيرهم وصحة عقولهم.

٨٤ ﴿فقاتل في سبيل الله ..﴾ يامحمد بنفسك ﴿لا تُكلّفُ إلاّ نفسك﴾ حتى ولو كان وحيدًا ﴿وحرّضِ المؤمنين﴾ أى حضهم على القتال والجهاد ﴿عسى اللهُ أن يكُفَّ بأس الّذين كفروا﴾ فهذا وعد من الله وهو كائن لامحالة ﴿واللهُ أشدُّ بأسا﴾ أى أشد صولة وأعظم سلطانا ﴿وأشدُّ تنكيلاً﴾ تعذيبا.

٨٥ ﴿من يشفعْ شفاعةً حسنةً يكن لَهُ نصيبٌ منها ..﴾ وهذا تقرير قاعدة عامة فى الشفاعة فمن شفع الخير له نصيب منه ومن شفع فى الشر له نصيب منه ﴿وكان اللّه على كُلِّ شيءٍ مُقيتا﴾ حافظًا لمقادير أعمالكم فيجزيكم عليها.

٨٦ ﴿وإذا حُيّيتم بتحيّة فحيُّوا بأحسن منها أو ردُّوها ..﴾ وهذا الأمر برد التحية بخير منها أو مثلها ﴿إنّ الله كان على كُلِّ شيءٍ حسيبا﴾ يحاسبكم على كل شئ.

معانى الكلمات:

طاعةٌ : أى أمرنا طاعة لك.

فإذا برزُوا : خرجوا.

أذاعُوا به : أفشوه.

يستنبطُونَه : يستخرجون معناه الصحيح.

كِفلٌ منها : نصيب منها.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ
فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ
أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ
حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)
سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ
مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)

الدرس الثامن

(قواعد المعاملات الدولية)

من الآية ٨٧ / ٩٤

مدة الحفظ (يومان)

٨٧ ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ ..﴾ الجمع هنا: بالحشر إلى حساب يوم القيامة. ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (يوم القيام من القبور) إن الابتلاء فى الصغيرة والكبيرة فى الدنيا، والحساب على الكبيرة والصغيرة فى الآخرة.

٨٨ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم..﴾ إننا نجد فى النصوص استنكارًا لانقسام المؤمنين فئتين فى أمر المنافقين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ أى ردهم إلى الكفر ونكسهم (فالركس والنكس قلب الشىء على رأسه) . ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ للتقريع والتوبيخ. ومن أضله الله لاتنجع فيه هداية البشر.

سبب النزول: نزلت هذه الآية وما بعدها فى طائفة من المسلمين خرجوا من المدينة ولحقوا بالمشركين بمكة.

٨٩ ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..﴾ يحب هؤلاء المرتدون أن تكفروا كما كفروا فاحذروا أن تتخذوا منهم أصدقاء حتى يعودوا فيهاجروا إليكم فى سبيل الله فإن أصروا على ما هم فيه فاقتلوهم حيث وجدتموهم.

٩٠ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ..﴾ أى بينكم وبينهم عهد أوجاءوكم وقد ضاقت صدورهم عن قتالكم أو قتال قومهم. ولو شاء الله لقوى قلوبهم وسلطهم عليكم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم. فإن اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم واستسلموا لكم ثانية، فما جعل الله لكم سبيلاً إلى أخذهم وقتلهم .

٩١ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ..﴾ فيظهروا لكم الإسلام ويظهروا لقومهم الكفر، ليأمنوا من كلام الطائفتين ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ أى كلما عادوا إلى الكفر أو قتال المسلمين ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ أى عادوا اليها. فإن لم يتجنبوكم ويستسلموا إليكم ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي حيث صادفتموهم وهؤلاء ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ حجة بينة فى الايقاع بهم.

٩٢ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا ..﴾ ووجوه الخطأ كثيرة، ويضبطها عدم القصد، إذا لم يتعمد ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ أى فعليه تحرير رقبة -عبد مؤمن أو أمة مؤمنة- يعتقها كفارة عن قتل الخطأ ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ الدية: مال يعطى عوضًا عن دم المقتول إلى ورثته، والمُسَلَّمة: المدفوعة المؤداة، والأهل: الورثة. وأجناس الدية وتفاصيلها قد بيَّنتها السنة المطهرة. والدية هنا تلزم

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

عائلة القاتل وليس القاتل نفسه ﴿إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ أى إلا أن يتصدق أهل المقتول على أهل القاتل بالدية، سمى العفو عنها صدقة ترغيبًا فيه ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ وهم الكفار الحربيون فالمؤمن الذى يقتله المسلمون فى بلاد الكفار الذين كان منهم، ثم أسلم ولم يهاجر فلا دية على قاتله، بل عليه تحرير رقبة مؤمنة وسقطت الدية لأن هذا الذى آمن ولم يهاجر حرمته قليلة ﴿وَإِن كَانَ﴾ أى إن كان المؤمن المقتول ﴿مِن قَوْمٍ﴾ كفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ مؤقت أو مؤبد وهو مؤمن ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أى فعلى قاتله دية مؤداة إلى أهله من أهل الإسلام وهم ورثته ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ كما تقدم ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فلو أفطر استأنف ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ أى شرع ذلك قبولاً لتوبتكم.

٩٣ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ أى قاصدًا قتله وهو يعلم أنه إنسان مؤمن ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ يستحقها بسبب هذا الذنب مع كونه خالدًا فيها وأن غضب الله عليه ولعنته، وإعداده له عذابًا عظيمًا إلا من تاب، لكن لابد فى توبة قاتل العمد من الاعتراف بالقتل وتسليم نفسه للقصاص إن كان واجبًا، أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجبًا وكان القاتل غنيًا متمكنًا من تسليمها أو بعضها، وأما مجرد التوبة من القاتل عمدًا وعزمه على ألا يعود إلى قتل أحد، من دون الاعتراف ولا تسليم نفسه، فنحن لا نقطع بقبولها (كما يقول الشوكانى فى تفسير فتح القدير) والله أرحم الراحمين، هو الذى يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون. وقيل له توبة.

٩٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا..﴾ أى خرجتم للجهاد فتثبتوا لئلا يكون من تضربونه مؤمنًا ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ عن ابن عباس قال: مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنمًا له فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه وأتو بغنمه إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ طالبين الغنيمة ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ مما هو حلال ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أى كنتم كفارًا فحقنت دماؤكم لما تكلمتم بكلمة الشهادة.

معانى الكلمات :

الَّذِينَ يَصِلُونَ: يتصلون.

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ: ضاقت.

ضَرَبْتُمْ : سافرتم وذهبتم.

السَّلَامَ : الاستسلام أو تحية الإسلام.

عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : الغنيمة وهى مال زائل.

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً
وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩)
۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ
وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١)

الدرس التاسع
(الهجرة إلى دار الإسلام)
من الآية رقم ٩٥ / ١٠٤
مدة الحفظ (يومان)

٩٥ ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين ..﴾ إن الله تعالى ينفى أن يستوى فى الأجر والمنزلة وهو يعالج حالة خاصة فى المجتمع المسلم وما حوله -حالة من التراخى من بعض عناصره فى النهوض بتكاليف الجهاد بالأموال والأنفس. فيوضحها أكثر: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ وهي درجة فى الجنة. ثم وعد الجميع الحسنى. وتأكيد أخير للترغيب فيما وراءها ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾

سبب النزول: روى أن ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية بهذه الصيغة ﴿لا يستوي القاعدون﴾ الآية. أتى النبى ﷺ فقال: كيف وأنا أعمى يا رسول الله فما برح حتى نزلت ﴿غير أولي الضرر﴾.

٩٦ ﴿درجات منه ومغفرة ..﴾ وفى هذا تحريض للمؤمنين على العمل لإعلاء كلمة الدين حتى لا يركنوا جميعا إلي القعود.

٩٧ ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ..﴾ يتحدث هنا سبحانه وتعالى عن فريق من القاعدين، أولئك الذين يظلون قاعدين فى دار الكفر لا يهاجرون تمسك بهم أموالهم ومصالحهم أو ضعفهم وهم قادرون لو أرادوا واعتزموا التضحية. ولكن الملائكة يستنكرون أمرهم ويسألونهم ﴿قالوا فيم كنتم﴾ ويجيب هؤلاء المحتضرون، فى لحظة الاحتضار ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ ولكن الملائكة يجبونهم بالحقيقة ويؤنبونهم: ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة﴾ ثم يعلن سبحانه وتعالى عن الحكم فيهم بقوله فأولئك هم البعداء ﴿مأواهم جهنم﴾ وساءت مصيرا.

سبب النزول: نزلت هذه الآية فى ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق

٩٨ ﴿ إلا المستضعفين ..﴾ وهنا يستثنى سبحانه وتعالى أصحاب الأعذار كما استثناها عن الجهاد فى الآيات قبل هذه فقال عز من قائل: ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾

٩٩ ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ..﴾ ويمضى هذا الحكم إلى آخر الزمان متجاوزًا تلك الحالة الخاصة.

ويمضى السياق فى معالجة النفوس البشرية التي تواجه مشاق الهجرة:

١٠٠ ﴿ومن يهاجر في سبيل الله ..﴾ ويحدد الهجرة بأنها ﴿في سبيل الله﴾ ومع ضمانة الأجر التلويح بالمغفرة للذنوب والرحمة في الحساب وهذا فوق الصفقة الأولى: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ صفقة رابحة يقبض فيها المهاجر الثمن كله منذ اللحظة الأولى

سبب النزول: عن عكرمة قال: كان بمكة ناس قد دخلوا الإسلام ولم يهاجروا فلما كان يوم بدر وخرجوا بها كرها فقتلوا، أنزل الله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ إلى قوله تعالى ﴿عسى الله أن يعفو عنهم﴾ إلى آخر الآية قال: وكتب بذلك من كان بالمدينة إلى من بمكة ممن أسلم، فقال رجل من بني بكر كان مريضا: إلى (الروحاء) فخرجوا به فخرج يريد المدينة فلما بلغ الحصحاص مات فأنزل الله هذه الآية.

١٠١ ﴿وإذا ضربتم في الأرض ..﴾ وهنا يذكر سبحانه وتعالى رخصة قصر الصلاة فى السفر إن خيف أن ينالكم الذين كفروا بمكروه إذا لحقوا بكم إنهم لكم أعداء.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢) فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا (١٠٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥)

١٠٢ ﴿وإذا كُنت فيهم فأقمت لهُمُ الصلاة ..﴾ وهنا بيان لحكم صلاة الخوف فى أرض المعركة ولعل هذا الاحتياط، وهذه اليقظة، وهذا الحذر يكون أداة ووسيلة لتحقيق العذاب المهين للكافرين.

سبب النزول: عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ فلقى المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه، قال بعضهم لبعض: كان هذا فرصة لكم لوأغرتم عليهم ما عملوا بكم حتى تواقعوهم، فقال قائل منهم: فإن لهم صلاة أخرى هى أحب إليهم من أهلهم وأموالهم، فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها، فأنزل الله تعالى(الآية). وأعلم ما ائتمر به المشركون وذكر صلاة الخوف.

١٠٣ ﴿فإذا قضيتم الصلاة ..﴾ وهكذا يواجههم إلى الاتصال بالله في كل حال فأما حين الإطمئنان ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة ..﴾ كاملة تامه بلا قصر. ويختم هذا الدرس بالتشجيع على المضى فى الجهاد مع الألم والضنى والكلال:

١٠٤ ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم ..﴾ فلا بد للعصبة المؤمنة أن تحتمل ولا تنهار. وأن تعلم أنها إن كانت تألم، فإن عدوها كذلك يألم، والألم أنواع. والفرج ألوان.. ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ وهذا هو العزاء العميق. ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ يعلم كيف تعتلج المشاعر فى القلوب..

الدرس العاشر

(العدالة): فى قصة لم تعرف لها البشرية نظيرا

من الآية ١٠٥/١١٣

مدة الحفظ (يوم واحد)

١٠٥ ﴿إنَّا أنزلْنا إليْك الْكتاب بالحقِّ..﴾ والكتاب هو القرآن متلبساً بالحق لتحكم بين الناس بما عرفك الله وأوحى به إليك ولا تكن عن الخائنين مدافعًا لهم ولالهم محاميا.

سبب النزول: أنزلت كلها فى قصة واحدة، وذلك أن رجلاً من الأنصار يقال له: طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر بن الحارث سرق درعًا من جار له يقال له: قتادة بن النعمان، وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتشر من خرق فى الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق، ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم: والله ما أخذها وما له بها علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق. فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودى فأخذوه، فقال: دفعها إلى طعمة بن أبيرق، وشهد له ناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فكلموه فى ذلك، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى، فهم رسول الله ﷺ أن يفعل وكان هواه معهم وأن يعاقب اليهودى، حتى أنزل الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ الآية كلها (وهذا قول جماعة من المفسرين).

معانى الكلمات:

أولي الضرر: هم العميان والعرج والمرضى.

توفاهم: تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

مراغما: مكانا ودارًا لهجرته.

ضربتم في الأرض: أى مسافرين.

تقصروا من الصلاة: الصلاة الرباعية ركعتين ركعتين.

ولا جناح عليكم: لاتضييق عليكم.

فإذا اطمأننتم: ذهب الخوف.

ولا تهنوا: لا تضعفوا.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ
عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا
ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا
فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

١٠٦ ﴿واستغفر الله ..﴾ استغفر الله من خصامك عن بنى أبيرق، وكان ﷺ قد قال للمدعى : « عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة» فلما نزلت الآية ردوا السلاح.

١٠٧ ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ..﴾ أى لاتحاجج عن الذين يخونون أنفسهم لأن ضرر معصيتهم راجع إليهم.

١٠٨ ﴿يستخفون من الناس ..﴾ أى يستترون منهم ﴿ولا يستخفون من الله﴾ وهى صورة زرية داعية إلى الاحتقار والسخرية ﴿وكان الله بما يعملون محيطا﴾ فهم تحت عينه وفى قبضته؟ وتستمر الحملة التى يفوح منها الغضب على كل من جادل عن الخائنين :

١٠٩ ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم ..﴾ فما جدوى الجدال عنهم. فى الدنيا وهى لاتدفع عنهم ذلك اليوم الثقيل؟ ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ وبعد هذه الحملة الغاضبة على الخونة الآثمة يجئ تقرير القواعد العامة لهذه الفعلة وآثارها.

١١٠ ﴿ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ..﴾ وهذه الآية تفتح باب التوبة ﴿ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾

١١١ ﴿ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه ..﴾ وهذه الآية تقرر فردية التبعة فإنما يكسبه على نفسه.

١١٢ ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ..﴾ وهذه الآية تقرر تبعة من يكسب الخطيئة ثم يرمى بها برئ ﴿فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا﴾ وهذه الثلاث آيات ١١٠, ١١١, ١١٢ هي قواعد يرسم القرآن بها (ميزان العدالة) الذى يحاسب كل فرد على ما اجترح ولايدع المجرم يمضى ناجيا. ويفتح باب التوبة والمغفرة على مصراعيه. وأخيراً يمن الله على رسوله ﷺ أن عصمه من الانسياق وراء المتآمرين:

١١٣ ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته ..﴾ والله يمتن عليه بفضله ورحمته ويطمئنه فى الوقت ذاته أنهم لا يضرونه شيئا. ثم تجئ المنة الكبرى.. منة الرسالة وهي منة الله على (الإنسان) فى هذه الأرض. كما نشأ أول مرة بنفخة الروح الأولى.

معانى الكلمات:

تجادل : تخاصم.

يختانون : يخونون.

يستخفون : يتخفون من الناس.

احتمل بهتانا : تحمل بهتانا وهو الكذب.

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾
يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

الدرس الحادى عشر
(النجوى وجزاؤها)
من الآية ١١٤/١٢٦
مدة الحفظ (يومان)

١١٤ ﴿لا خير في كثير من نجواهم ..﴾ وفيها ينهى سبحانه عن النجوى، وهى أن تجتمع طائفة بعيداً عن الجماعة المسلمة وعن القيادة المسلمة لتبيت أمرًا. والحكمة تقتضى ألا تتكون (جيوب) فى الجماعة المسلمة. والنص هنا يستثنى نوعاً من النجوى ﴿إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ على شرط أن يكون الباعث هو ابتغاء مرضاة الله.

١١٥ ﴿ومن يشاقق الرسول ..﴾ ومن يخالف رسول الله من بعد ماتضح له الحق، ويتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين نوجهه الوجهة التى ارتضاها لنفسه وندخله فى الآخرة ناراً وما أقبحها مآلا ﴿وساءت مصيرا﴾

١١٦ ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ..﴾ إن مغفرة الله -سبحانه وتعالى- تتناول كل شئ إلا أن يشرك به... فهذه لامغفرة لمن مات عليها. ثم يصف بعض أوهام الجاهلية العربية فى شركها:

١١٧ ﴿إن يدعون من دونه إلاَّ إناثا ..﴾ ما يدعو الكافرون من دون الله إلا أصناماً سموها إناثا، بل مايدعون إلا شيطانا لايرجى منه خير.

١١٨ ﴿لعنه الله ..﴾ وعندما لعنه الله أقسم الشيطان قائلا لأتخذن من عبادك عددًا مقدرًا ممن يخضعون لسلطانى

١١٩ ﴿ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم ..﴾ ويواصل الشيطان تبجحه فلأضلنهم ولأجعلنهم يتمنون مالاينال ولأحملنهم على شق آذان الأنعام واعتبارها هبة للأصنام فلا يتعرض لها أحد. ولآمرنهم بتغيير خلق الله بالوشم ﴿ومن يتخذ الشيطان وليًا من دون الله﴾ فقد خسر خسرانا مبينا.

١٢٠ ﴿يعدهم ويمنيهم ..﴾ مواعيد باطلة وأمانى عاطلة ﴿وما يعدهم الشيطان إلاَّ غرورا﴾

١٢١ ﴿أولئك مأواهم جهنم ..﴾ هى جهنم لامحيص عنها لأولياء الشيطان.

معانى الكلمات:

نجواهم : المسارة بالكلام وهى أحاديثهم التى يسرها بعضهم إلى بعض.

يشاقق الرسول : يحاده ويقاطعه ويعاديه.

نوله ما تولى : نخذله ونتركه حتى يهلك فى الباطل والشر.

فليبتكن : فليقطعن.

ويمنيهم : بجعلهم يتمنون وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

١٢٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ ..﴾ وهى جنات الخلد لا خروج منها لأولياء الله ثم يعقب السياق بقاعدة الإسلام الكبرى في العمل والجزاء.

١٢٣ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ..﴾ جاء هذا النص ليرد على اليهود والنصارى، الذين يقولون ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ وكانوا يقولون ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ولعل بعض المسلمين كانت تراود نفوسهم كذلك أنهم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

سبب النزول: قال مروق وقتاده: احتج المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب نحن أهدي منكم، نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله، نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على الكتب التى قبله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٢٤ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى ..﴾ وفى النص تلك التسوية بين شقى النفس الواحدة فى موقفهما من العمل والجزاء كما أن فيه شرط الإيمان لقبول العمل.

١٢٥ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ..﴾ أى أخلص نفسه له حال كونه محسنًا أى عاملاً للحسنات وخلص ذاته من أسر الأوهام والأضاليل وأحسن فى عمله واتبع الدين الأصلى دين إبراهيم وهو الإسلام؟

سبب النزول: عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ياجبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام يا محمد». وعن القاسم بن أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإنه لم يكن نبيٍ إلا له خليل، ألا وإن خليلى أبو بكر».

وفى الختام يجئ التعقيب على قضية العمل والجزاء وقضية الشرك:

١٢٦ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ..﴾ ومتى شعرت النفس أن لله ما فى السموات وما في الأرض وأنه بكل شئ محيط لا يند شئ عن علمه وعن سلطانه... وكان هذا باعثها القوى إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والعبادة.

الدرس الثانى عشر

(علاج رواسب الجاهلية)

من الآية ١٢٧/١٣٤)

مدة الحفظ: (يوم واحد)

١٢٧ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ..﴾ قل الله يبين لكم حكم ماسألتم عنه ويطلبون حكمك في يتامى النساء اللاتى لا يؤتونهن ما كتب لهن من الميراث ويرغبون أن يتزوجوا بهن ليأكلوا أموالهن.

سبب النزول: عن عائشة قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ الآية.

معانى الكلمات :

بِأَمَانِيِّكُمْ: جمع أمنية.

نَقِيراً: نقرة فى ظهر النواة.

يستفتونك: يطلبون منك الفتيا.

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

١٢٨ ﴿وإن امرأةٌ خافتْ منْ بعْلها نُشُوزًا ..﴾ تخشى المرأة أن تصبح مجفوة، وأن تؤدى هذه الجفوة للطلاق فليس هناك حرج أن تتنازل له عن شئٍ من فرائضها وقد جبلت النفوس على شح ﴿وإن تُحْسنُوا وتتّقُوا فإنّ اللّهَ كانَ بما تعملُون خبيرًا﴾.

سبب النزول: عن عائشة فى قوله تعالى: ﴿وإنِ امْرأةٌ خافتْ منْ بعْلها نُشُوزًا﴾ الى آخر الآية: نزلت فى المرأة تكون عند الرجل فلا يستكثر منها ويريد فراقها. ولعلها أن تكون لها صحبة ويكون لها ولد فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقنى وأمسكنى وأنت فى حل من شأنى (فانزل الآية)

١٢٩ ﴿ولن تسْتطيعُوا أن تعْدلُوا﴾ .. ﴿فلا تميلُوا كُلّ الميْل﴾ من هذه الميول أن يميل الزوج بقلبه إلى إحدى زوجاته ويؤثرها على الأخريات فيكون ميله اليها أكثر من الأخرى أو الأخريات فهذا هو المنهى عنه، الميل فى المعاملة الظاهرة وأن تصلحوا ماكنتم ترتكبون من الجور ضدهن وتخشوا الله فإنه يغفرلكم ما سلف. فأما حين تجف القلوب، فلا تطيق الصلة فالتفرق إذن خير:

﴿وإن يتفرّقا يُغْنِ اللّهُ كُلاً منْ سعته﴾ فالله يعد كلا منهما أن يغنيه من فضله هو ومما عنده هو وهو سبحانه يسع عباده ويوسع عليهم بما يشاء ﴿وكانَ اللّهُ واسعًا حكيمًا﴾.

١٣١ ﴿ولله ما في السّمٰوات وما في الأرْض ..﴾ وهذه تربط الأحكام الخاصة بالأسرة والنظام الكونى كله. فصاحب السلطان الحقيقى هو الذى يُخشى ويُخاف ويُبين لمن يكفرون ضآلة شأنهم ﴿وإن تكفرُوا فإنّ لله ما في السّمٰوات وما في الأرْض﴾ إن كفرهم لن ينقص من ملكه شيئًا.

١٣٢ ﴿ولله ما في السّمٰوات وما في الأرْض ..﴾ ويكرر -سبحانه وتعالى- الإعلان عن استحقاق الحمد والغنى وذلك لملكه جميعْ مافى السموات وما فى الأرض ولقيوميته عليها وكفى به تعالى حافظًا ووكيلا.

١٣٣ ﴿إن يشأ يُذْهبْكُمْ أيُها النّاسُ ..﴾ فهو سبحانه وتعالى قادر على أن يذهب بهم ويستبدل قوما غيرهم

١٣٤ ﴿من كان يُريدُ ثواب الدُّنيا ..﴾ ويوجه هنا القلوب الطامعة فى الدنيا وحدها إلى أن فضل الله أوسع.

معانى الكلمات:

وأُحْضرت الأنفُسُ الشُّحّ: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبدًا.

مّن سعته: فى رزقه الواسع.

وصّيْنا: عهدنا.

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (١٣٥) يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (١٣٧) بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (١٤٠) ﴾

الدرس الثالث عشر
(التربية المنهجية)
من الآية رقم (١٣٥/١٤٧)
مدة الحفظ (يومان)

١٣٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط..﴾ إنها أمانة القيام بالقسط.. بالقسط علي إطلاقه. فى كل حال وفى كل مجال. القسط الذى يمنع البغى والظلم-فى الأرض-فيتساوى الجميع.

سبب النزول: عن السدى قال: نزلت فى النبى ﷺ اختصم اليه غني وفقير وكان ضلعه مع الفقير، رأى أن الفقير لا يظلم الغنى فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط فى الغنى والفقير.

١٣٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ..﴾ فهو بيان لعناصر الإيمان التي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا فهو إيمان بالله ورسوله.. وإيمان برسالة الرسول وتصديقه، وهو إيمان بالكتاب الذى نزل على رسوله. وبعد الأمر بالإيمان يجئ التهديد على الكفر بعناصر الإيمان، فالذى يكفر بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تكون فطرته قد بلغت من الفساد والتعطل والخراب الحد الأدنى الذى لا يرجى معه هدى ولا يرتقب بعده مآب. ﴿فقد ضل ضلالا بعيدا﴾

سبب النزول: قال الكلبى: نزلت فى عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمنى أهل الكتاب، قالوا: يارسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوارة وعزير، ونكفر بما سواهم من الكتب والرسل (فأنزل الله تعالى هذه الآية) وبعد هذين النداءين للذين آمنوا يأخذ السياق فى الحملة على النفاق والمنافقين:

١٣٧ ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ..﴾ الذين يرتدون بعد الإيمان مرة ومرة إنما يفترون على الفطرة، عن معرفة ويلجون فى الغواية عن عمد.. فعدل الا يغفر لهم وعدل الايهديهم سبيلاً.

١٣٨ ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما﴾ ومن هنا تبدأ الحملة على النفاق والمنافقين بهذا التهكم الواضح فى استعمال كلمة (بشر) مكان كلمة (أنذر) والله جل جلاله يسأل فى استنكار: لن يتخذوا الكافرين أولياء وهم يزعمون الإيمان؟ ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ وما يستعز المؤمن بغير الله وهو مؤمن.

١٣٩ ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء ..﴾ يتخذونهم أصدقاء ونصراء من دون المؤمنين. أيطلبون عندهم العزة والمنعة؟ فإن العزة جميعها لله وحده.

١٤٠ ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب ..﴾ وقد أوحى إليكم أنه إذا سمعتم آيات الله يكفر بها الكافرون أو يستهزئون بها فلا تجلسوا معهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ فإن استمراركم ماكثين معهم وهم على تلك الحالة ﴿إنكم إذا مثلهم﴾ إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا. والخلاصة أن أولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن هذا المجلس فيسكت ويتغاضى... يسمى ذلك تسامحاً أو دهاء أو سعة صدر

معاني الكلمات:

قوامين جمع قوام: وهو كثير القيام بالعدل. **بالقسط**: بالعدل.
تلووا: أى ألسنتكم باللفظ تحريفا له.
تعرضوا: تتركوا الشهادة.
يخوضوا: يتحدثوا فى موضوع آخر.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ
أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١ ﴿الَّذِين يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ..﴾ ومن هنا يأخذ السياق فى سمات المنافقين فيرسم لهم صورة زرية منفرة وهم يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه ويمسكون العصا من وسطها ويتلوون كالديدان والثعابين ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فأعطونا مما غنتموه من الكافرين ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ أى نصيب من النصر قالوا لهم ألم نستول عليكم ونمنعكم من بطش المسلمين بخذلنا إياهم؟ فاشركونا فيما أصبتموه. وهنا يكشف الستار عنهم ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويطمئن المؤمنين بوعد من الله قاطع ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

١٤٢ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ..﴾ وهنا يرسم السياق صورة زرية أخرى للمنافقين مصحوبة بالتهوين من شأنهم وبوعيد لهم وتزداد الصورة الزرية المنفرة فى موقف الذبذبة والأرجحة والاهتزاز ولذلك نجد التعقيب بأنهم قد حقت عليهم كلمة الله:

١٤٣ ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ..﴾ ولذلك يجئ التعقيب بأنهم قد حقت عليهم كلمة الله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾

١٤٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ..﴾ وهنا تحذير للمؤمنين أن يسلكوا طريق هؤلاء المنافقين، ويحذرهم أن يتولوا الكفار من دون المؤمنين كما يحذرهم من التعرض لغضب الله وبطشه ونقمته ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

١٤٥ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ..﴾ وهو مصيرهم الرهيب المفزع المهين ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ ثم يفتح لهم- بعد هذا المشهد المفزع باب النجاة... باب التوبة لمن أراد النجاة:

١٤٦ ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ..﴾ فيرتفع التائبون منهم إلى مصاف المؤمنين المعتزين بعزة الله وحده وجزاؤهم معروف ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيماً﴾

١٤٧ ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ ..﴾ هذه اللمسة لتشعر قلوب البشرأن الله فى غنى عن عذاب العباد وإنما هو صلاح العباد بالإيمان والشكر لله.

معانى الكلمات:

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون متى يحصل لكم انهزام أو انكسار.

نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: أى نستولى عليكم.

مُذَبْذَبِينَ: أى يترددون.

﴿ لَا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الدرس الرابع عشر

(جولة مع اليهود)

من الآية (١٤٨/١٧٠)

مدة الحفظ (يومان)

١٤٨ ﴿لا يُحبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بالسُّوءِ ..﴾ هنا أذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء فى ظالمه، وكان هذا هو الاستثناء الوحيد من كف الألسنة عن كلمة السوء ويعقب السياق القرآنى على ذلك البيان ﴿وكَانَ اللّهُ سَميعًا عَليمًا﴾ ليربط الأمر فى النهاية بالله.

١٤٩ ﴿إن تُبْدُوا خَيْرًا أوْ تُخْفُوهُ ..﴾ ويوجه السياق أيضا إلى العفو عن السوء ﴿فإنَّ اللّه كان عفُوًّا قديرًا﴾

١٥٠ ﴿إنَّ الَّذين يكْفُرُونَ باللّه ورُسُله ..﴾ وهؤلاء هم اليهود والنصارى والذين يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخيروا بين رسل الله!!!

١٥١ ﴿أُولَئكَ هُمُ الكافرُونَ حقًّا ..﴾ أى الكاملون فى الكفر كفرًا حقيقيًا وكذلك ﴿وأعْتَدْنَا للْكَافرينَ عَذَابًا مُهينًا﴾ فأعددنا لهم ولأمثالهم هذا العذاب المهين.

١٥٢ ﴿والَّذينَ آمَنُوا باللّه ورُسُله ..﴾ أما المسلمون فهم الذين يشتمل تصورهم الاعتقادى على الإيمان بالله ورسله جميعا بلا تفرقة فيستحق وعدهم به ربهم ﴿أُولَئكَ سَوْفَ يُؤْتيهمْ أُجُورَهُمْ وكَانَ اللّهُ غفُورًا رَّحيمًا﴾.

١٥٣ ﴿يسْألُكَ أهْلُ الْكتَاب ..﴾ ومن هنا يأخذ السياق فى استعراض بعض مواقف اليهود فى الحال، وفى مجال الجهر بالسوء ﴿فقَالُوا أرنَا اللّه جَهْرَةً﴾ وهو مطلب طابعه التبجح الذى لا يصدر عن طبع خالطته بشاشة الإيمان ﴿فأخَذَتْهُمُ الصَّاعقَةُ بظُلْمهمْ﴾ ولكن الله عفا عنهم وتقبل فيهم دعاء موسى عليه السلام ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعجْلَ منْ بعْد ما جاءَتْهُمُ الْبيِّنَاتُ﴾ ومنحنا موسى من لدنا تسلطاً ظاهراً عليهم ﴿وآتيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبينًا﴾

سبب النزول: نزلت فى اليهود قالوا للنبى ﷺ: إن كنت نبيـاً فأتنا بالكتاب جملة من السماء كما أتى به موسى. (فأنزل الله تعالى الآية)

١٥٤ ﴿ورفَعْنَا فوْقَهُمُ الطُّور بميثَاقهمْ ..﴾ مهددين إياهم بإسقاطه عليهم ليفوا بعهدهم وقلنا لهم ادخلوا الباب ساجدين تعظيمًا لله وأمرناهم ألا يعتدوا فى يوم السبت ﴿وأخَذْنَا منْهُم ميثَاقًا غَليظًا﴾ وهو العهد الذى أخذه عليهم فى التوراة

معانى الكلمات:

الْجَهْرَ بالسُّوء : كالسب والشتم والغيبة والنميمة.

أرنَا اللّهَ جَهْرَةً : عيانًا نشاهده ونراه.

الطُّورَ : أى جبل الطور بسيناء.

لا تعْدُوا : لاتعتدوا.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ ..﴾ نقضهم العهود والمواثيق وخاصة عهدهم بالعمل بما فى التوراة ﴿وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المنزلة على عبد الله عيسى ورسوله والمنزلة على محمد ﷺ ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ﴾ كزكريا ويحيى وغيرهم وهو كثير فى عهود متباينة ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ حتى لا يقبلوا دعوة الإسلام ﴿فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

١٥٦ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ ..﴾ كفرهم بعيسى وبمحمد ﷺ أيضا وقولهم على مريم حيث رموها بالفاحشة وقالوا : عيسى ابن زنا -لعنهم الله-.

١٥٧ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ..﴾ قولهم متبجحين متفاخرين أنهم قتلوا المسيح وكذّبهم الله فى ذلك بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ إنهم لم يجزموا أبدا بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح عليه السلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

١٥٨ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ..﴾ ليكون سبحانه وتعالى عاصمه من أن يقتله الكفار. والصحيح ان الله رفعه إلى السماء من غير موت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

١٥٩ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ..﴾ فيخبرنا سبحانه وتعالى أنه ما من يهودى ولا نصراني يحضره الموت ويكون فى انقطاع عن الدنيا إلا آمن بأن عيسى عبد الله ورسوله وليس هو ابن زنا ولا ساحرًا كما يعتقد. لكن هذا الإيمان لا ينفع صاحبه لأنه حصل عند معاينة الموت.

١٦٠ ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ..﴾ ويعود السياق إلى تعداد مناكر اليهود ومانالهم عليها من الجزاء الأليم فى الدنيا والآخرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٦١ ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ..﴾ وهى استباحتهم للربا وهو حرام وقد نُهوا عنه وثانيا: أكلهم أموال الناس بالباطل كالرشوة والفتاوى الباطلة.

١٦٢ ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ ..﴾ فالعلم الراسخ والإيمان المنير كلاهما يقود أهله إلى الإيمان بالدين كله. ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

معانى الكلمات:

فَبِمَا نَقْضِهِم: النقض: الحل بعد الإبرام.

قُلُوبُنَا غُلْفٌ: ما عليها غلاف.

الَّذِينَ هَادُوا: اليهود.

الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: أصحاب القدم الثابتة فى معرفة الله.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

١٦٣ ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ ..﴾ فهو إذن موكب واحد.. كلهم آت من ذلك المصدر الكريم... كلهم تلقى الوحى من الله فهم جميعا يبشرون وينذرون .

١٦٤ ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ..﴾ أى قص عليهم أسماءهم وبعض ماجرى لهم مع أممهم وهم يبلغون دعوة ربهم، وأرسل رسلاً لم يقصصهم عليه وفوق ذلك كلم الله موسى تكليما فأسمعه كلاماً بلا واسطة.

١٦٥ ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ..﴾ أى مبشرين لأهل الطاعات ومنذرين لأهل المعاصى. ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أى معذرة يُعذرون بها بعد إرسال الرسل.

١٦٦ ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ..﴾ فلينكروا.. وفى شهادة الله ثم فى شهادة الملائكة إسقاط لكل ما يقوله أهل الكتاب .. فمن هم والله يشهد؟

سبب النزول: قال الكلبى: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولاً (فنزلت هذه الآية).

١٦٧ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ..﴾ وهو تهديد رعيب للمنكرين. هؤلاء ضلوا عن هدى الله وضلوا طريقهم القويم فى الحياة ضلوا فكرًا وتصورا واعتقادا

١٦٨ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ..﴾ بجحدهم وظلمهم غيرهم بصدهم عن السبيل ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إذا استمروا على كفرهم وماتوا كافرين.

١٦٩ ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ..﴾ لكونهم اقترفوا مايوجب لهم ذلك بسوء اختيارهم وفرض شقائهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ أى خلودا دائما لانهاية له.

١٧٠ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ ..﴾ وهذه دعوة شاملة إلى الناس كافة وهى دعوة سبقها دحض مفتريات أهل الكتاب وكشف جبلة اليهود ومناكرهم ولم يكن بد من هذه الرسالة العامة ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ يكون الإيمان خيرًا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ أى تستمروا على كفركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

معانى الكلمات:

الأَسْبَاط: أولاد يعقوب عليهم السلام.

حُجَّةٌ: عذر. زَبُوراً: أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه داود عليه السلام.

كَفَرُوا وَصَدُّوا: جحدوا وصرفوا.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (١٧١) لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (١٧٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا (١٧٤) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا (١٧٥)

الدرس الخامس عشر
(جولة مع النصارى من أهل الكتاب)
من الآية ١٧١/١٧٥
مدة الحفظ (يوم واحد)

١٧١ ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ..﴾ الغلو هو تجاوز الحد والحق وهو مايدعو أهل الكتاب هؤلاء إلى أن يقولوا على الله غير الحق فيزعموا له ولدا -سبحانه وتعالى- كما يزعمون أن الله الواحد ثلاثة ﴿ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ﴾ كقول اليهود عزير ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله. إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمة منه بغير توسط، فآمنوا بالله ورسوله إيمانا ينطبق على العقل. ﴿ولا تقولوا ثلاثةٌ﴾ أى بالتثليث. ﴿انتهوا خيرًا لكم إنّما الله إلهٌ واحدٌ﴾ يتنزه عن أن يكون له ولد ﴿لّهُ ما في السّموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾.

سبب النزول: نزلت فى طوائف من النصارى حين قالوا عيسى ابن الله. فأنزل الله تعالى: ﴿لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ﴾

١٧٢ ﴿لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبدًا لّله ..﴾ ويمضى السياق ليصحح كل عقيدة تجعل نبوة كنبوة عيسى أو شركًا فى الألوهية كشركته فى الألوهية، فالمسيح عيسى ابن مريم لن يتعالى عن أن يكون عبدًا لله. فالعبوديه لله مرتبة لا يأباها إلا كافر بنعمة الخلق والإنشاء ﴿ومن يستنكفْ عن عبادته ويستكبرْ﴾ أى يرتفع فسيجمعهم إليه جميعا يوم القيامة فيجازيهم على ذلك بما يستحقون.

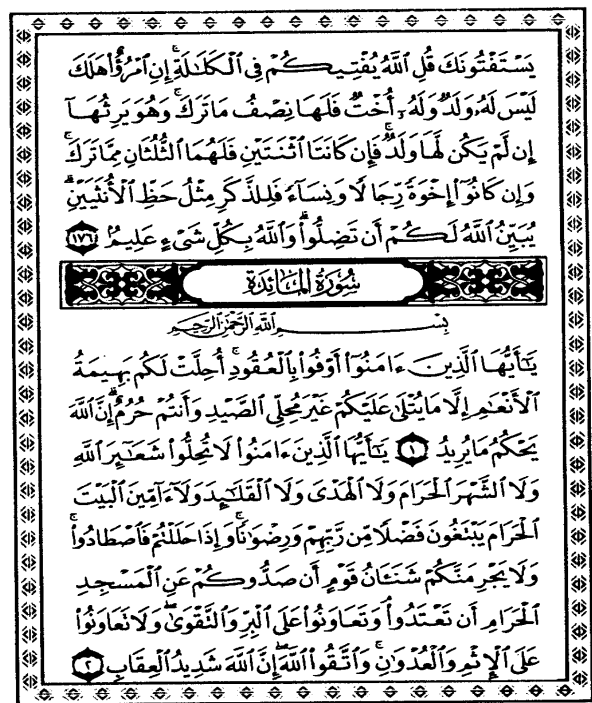
سبب النزول: قال الكلبى: إن وفد نجران قالوا: يا محمد تعيب صاحبنا؟ قال: «ومن صاحبكم؟» قالوا: عيسى. قال: «وأي شئ أقول فيه؟» قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله. فقال لهم: «إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبد الله» قالوا: بلى. فنزلت الآية. ﴿لن يستنكف المسيحُ أن يكون عبدًا لّله ..﴾

١٧٣ ﴿فأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ..﴾ هؤلاء يوفيهم أجور أعمالهم ويزيدهم من فضله إكرامًا وإنعامًا، وأما الذين أنفوا عن عبادته وترفعوا فيعذبهم عذاباً أليما ولايجدون لهم من دون الله ناصراً ولامعينا.

١٧٤ ﴿يا أيُّها النّاسُ قدْ جاءكُم بُرْهانٌ مّن رّبّكُمْ﴾ وهى دعوة إلى الناس جميعا أن الرسالة الأخيرة تحمل برهانها من الله ﴿وأنزلْنا إليْكُمْ نُوراً مُّبينًا﴾ نور تتجلى تحت أشعته الكاشفة حقائق الأشياء واضحة. والنور المبين هو القرآن وسماه نوراً لأنه يهتدى به من ظلمة الضلال.

١٧٥ ﴿فأمّا الّذين آمنوا بالله واعْتصمُوا به ..﴾ والاعتصام بالله ثمرة ملازمة للإيمان به.. متى صح الإيمان. فالذين آمنوا فى رحمة من الله وفضل. فى حياتهم الحاضرة وفى حياتهم الآجلة سواء ﴿ويهْديهمْ إليْه صراطًا مُّسْتقيمًا﴾ (إن من يعتصم بالله على ثقة يحس فى كل لحظة أنه يهتدى، وتتضح أمامه الطريق ويقترب فعلاً من الله كأنما هو يخطوا إليه فى طريق مستقيم).

معاني الكلمات: لا تغلوا: تجاوز الحد.
وروحٌ مّنْهُ: أى عيسى كان بنفخة جبريل روح الله فى كمّ درعها.
لن يستنكف: لن يرفض.
بُرْهانٌ مّن رّبّكُمْ: الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ.



يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم (١٧٦)

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد (١) يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٢)

الدرس السادس عشر
(أحكام الكلالة)
الآية (١٧٦)
مدة الحفظ (يوم واحد)

١٧٦ ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ وهكذا تختتم السورة التى بدأت بعلاقات الأسرة، وتكافلها الاجتماعي.. تختتم بتكملة أحكام الكلالة. وقد ورد شطر هذه الأحكام فى أول السورة. وهنا يستكمل الشطر الآخر في وراثة الكلالة وهذه الآية تسمى آية الكلالة، وآيات المواريث أربع: الأولى: فى شأن الولد والوالد ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ والثانية: في شأن الزوج والزوجة ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ إلخ... وفي شأن الإخوة لأم ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ الخ وهاتان الآيتان تقدمتا في أول السورة والثالثة: هي هذه ﴿يستفتونك..﴾ ..إلخ. وهى فى شأن ميراث الإخوة والأخوات عن موت أحدهم ولم يترك ولدًا ولا والد ولا ولد.. وهو معنى الكلالة، والرابعة: فى آخر سورة الأنفال وهي شأن ذوى الأرحام وهى قوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وهذه الآية تبين قسمة تركة من يورث كلالة من رجل أو إمراة فالأخت الواحدة لها من أخيها نصف ما ترك والأختان لهما الثلثان، والأخوة مع الأخوات للذكر مثل حظ الأنثيين يرث أخته إن لم يكن لها ولد ولاولد ولد، والإخوة والأخوات يرثون أختهم للذكر مثل حظ الأنثيين إذا لم تترك ولدًا ولا ولد ولد. والذى ورد شطر هذه الأحكام فى أول السورة. وهو الشطر المتعلق بوراثة الكلالة من جهة الرحم حين لاتوجد عصبة. أما هذه الآية التى ختم بها سورة النساء فقد أنزلها فى الإخوة والأخوات من الأب والأم. وتختتم آية الميراث وتختم معها السورة بذلك التعقيب القرآني الذى يرد الأمور كلها لله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾.

سبب النزول: عن جابر قال: اشتكيت فدخل عليّ رسول الله ﷺ وعندى سبع أخوات، فنفخ فى وجهى فأفقت، فقلت: يارسول الله أوصى لأخواتي بالثلثين، قال: «احبس» فقلت الشطر قال: «احبس» ثم خرج فتركني. قال: ثم دخل على وقال: «ياجابر إنى لا أراك تموت فى وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبين الذى لأخواتك، جعل لأخواتك الثلثين» وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيّ ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾

معاني الكلمات:

يفتيكم: يبين لكم.

الكلالة: أن يهلك الرجل (يموت) ولا يترك ولدًا ولا ولد ولد إنما يترك أخاً أوأختاً.

حظ الأنثيين: نصيب الانثيين.




سـورة
المـائدة



سورة المائدة

مدنية : وآياتها ١٢٠ آية

(مدة الحفظ : ٢٠ يومًا)

هذه السورة

سورة المائدة مدنية، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : هى آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه (تعنى أنه ليس فيها آية منسوخة).

وسورة المائدة تسمى كذلك سورة العقود. والتسمية الأخيرة أدلّ على موضوع السورة الواسع ! أما الأولى فهى تشير إلى اقتراح الحواريين على عيسى أن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها ويستبشرون بها. وقصة المائدة لا تستغرق من السورة سوى أربع آيات أما قضايا العقود فتشمل أغلب السورة.

وقد لوحظت فى السورة المباركة كثرة النداءات فهناك ستة عشر نداء للذين آمنوا أرقامها على التوالى فى السورة : ١، ٢، ٦، ٨، ١١، ٣٥، ٥١، ٥٤، ٥٧، ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦.

وهناك نداءات للنبى خاصة بوصف الرسالة أرقامها ٤١، ٦٧.

وهناك خمس نداءات لأهل الكتاب بعضها مباشر أرقامها ١٥، ١٩ وبعضها بواسطة الرسول الكريم أرقامها ٥٩، ٦٨، ٧٧ وهذه النداءات تعقبها إفادات واضاءات وتعليمات وتوجيهات تحتاج اليها الجماعات حتى تقوم بأمر الله وتستقيم على مناهجها. وقد عدها الشارع عقودا حقيقة بالوفاء ويحذرهم - سبحانه وتعالى - عواقب نقض الميثاق وخلف العقود كما وقع من بنى اسرائيل.

ويتضمن سياق السورة أحكاماً شرعية منوعة :

منها ما يتعلق بالحلال والحرام من الذبائح ومن الصيد. ومنها ما يتعلق بالطهارة وبالصلاة، ومنها مايتعلق بالقضاء وإقامة العدل فيه، ومنها مايتعلق بالحدود فى السرقة وفى الخروج على الجماعة المسلمة، ومنها مايتعلق بالخمر والميسر والأنصاب والأزلام، ومنها ما يتعلق بالكفارات فى قتل الصيد مع الإحرام وفى اليمين، ومنها ما يتعلق بالوصية عند الموت، ومنها ما يتعلق بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام من الأنعام، ومنها

ما يتعلق بشريعة القصاص فى التوراة.

وهكذا تتبين القضية.. إله واحد، وخالق واحد، ومالك واحد، واذن فحاكم واحد ومشرع واحد، ومتصرف واحد.... وإذن فشريعة واحدة. ومنهج واحد، وقانون واحد... وإذن فطاعة واتباع وحكم بما أنزل الله، فهو إيمان وإسلام أو معصية وخروج وحكم بغير ما أنزل الله، فهو كفر وظلم وفسوق... وهذا هو الدين كما أخذ الله ميثاق العباد جميعا عليه وكما جاء به كل الرسل من عنده... أمة محمد والأمم قبلها على السواء.

إننا نجد فى هذه السورة -كما وجدنا فى السور الثلاث الطوال قبلها- موضوعات شتى، الرابط بينها جميعا هو هذا الهدف الأصيل الذى جاء القرآن لتحقيقه:

إنشاء أمه، وإقامة دولة، وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين، وبناء جديد. الأصل فيه إفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان.

شأن آخر يتناوله سياق السورة : هو شأن هذه الأمة المسلمة، دورها الحقيقى فى الأرض، وموقفها تجاه أعدائها، وكشف هؤلاء الأعداء. ومن ثم فإن دور هذه الأمة هو أن تكون الوصية على البشرية تقيم العدل فى الأرض.

وفى السورة حملة كاشفة على أعداء الجماعة المسلمة، والتركيز فيها على اليهود والمشركين بصفة خاصة مع إشارات إلى المنافقين والنصارى أحيانا.

والطابع البارز لهذه السورة هو طابع التقرير والحسم فى التعبير... سواء فى ذلك الأحكام الشرعية، أو المبادئ والتوجيهات.

وقبل أن ننهى هذا التقييم للسورة لا يسعنا إلا أن نبرز الحقيقة التى تضمنتها الآية الثالثة منها فإن قول الله سبحانه لهذه الأمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ إن هذه الآية تقرر - بما لاجدال فيه - أنه دين خالد، وشريعة خالدة، وأن هذه الصورة التى رضيهاالله للمسلمين دينا هى الصورة الأخيرة. إنها شريعة ذلك الزمان وشريعة كل زمان، وليس لكل زمان شريعة ولا لكل عصر دين إنما هى الرسالة الأخيرة للبشر، قد اكتملت وتمت ورضيها الله للناس دينا فمن شاء أن يبدل أو يحور أو يغير أو يطور ! فليتبع غير الإسلام دينا : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾

الدرس الأول

(الوفاء بالعقود)

من الآية رقم (١) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ...﴾.

إلى الآية رقم (١١) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ...﴾.

مدة الحفظ : (ثلاثة أيام)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ .. إنه لابد من ضوابط للحياة.. حياة المرء مع نفسه ومع غيره من الناس ومن الأحياء والأشياء عامة.

والإسلام يقيم هذه الضوابط فى حياة الناس، يقيمها ويحددها بدقة ووضوح، هذه الضوابط يسميها الله (العقود) ويأمر الذين آمنوا به أن يوفوا بهذه العقود..

وما المقصود بالعقود؟ هى كل ضوابط الحياة التى قدرها الله.. وفى أولها عقد فى الإيمان بالله. هذا العقد الذى تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود وسائر الضوابط فى الحياة. هذا العقد أخذه الله ابتداء على آدم -عليه السلام. ولقد تكرر هذا العقد - أو هذا العهد - مع ذرية آدم. وهم بعد فى ظهور آبائهم. ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وكيف لم يفوا بالميثاق، وكيف نالهم من الله ما ينال كل من ينقض الميثاق والذين آمنوا بمحمد ﷺ قد تعاقدوا مع الله -على يديه تعاقداً عاماً على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وبعضهم وقعت له بعد ذلك عقود خاصة قائمة على ذلك التعاقد العام.

وعلى عقد الإيمان بالله والعبودية لله تقوم سائر العقود ثم يأخذ الدرس فى تفصيل بعض هذه العقود

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ (من الآية ١/ ٣) كلها عقود قائمة على عقد الإيمان ابتداء من (التحريم والتحليل فى الذبائح وفى الأنواع وفى الأماكن وفى الأوقات فالذين أمنوا يتلقون التحريم والتحليل من الله وحده. ثم يأخذ فى الاستثناء من هذا العموم، وأول المستثنيات الصيد فى حال الإحرام **﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾** وبعد ذلك يستأنف نداء الذين آمنوا لينهاهم عن استحلال حرمات الله : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾** والشعائر هنا شعائر الحج والعمرة وماتقتضيه من محرمات على المحرم

حتى ينتهى حـجه ثم أحل الصيد متى انتـهت فترة الإحرام، فى غير البـيت الحرام، فلا صيد فى البيت الحرام.

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ إنها منطقة الأمـان يقيمها الله فى بيـته الحرام كما يقـيم فترة الأمانة فى الأشهر الحرم. وفى جو الحـرمات وفى منطقة الأمانة يدعو الله الذين آمنوا به وتعاقدوا معه أن يفوا بعقدهم ويرتفعوا إلى مستوى الدور الذى ناطه بهم دور القوام على البشـرية بلا تأثر بالمشاعـر الشخصـية والعواطف الذاتيـة، والحذر من عـدم العدل تأثرًا بالمشاعر الشخصية والمودة والشنآن.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٩٠) إلى صفحة رقم (٩٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	٦	٩
	إلى	٥	٨	١١

الدرس الثانــــــى

(موقف أهل الكتاب من مواثيقهم)

من الآية رقم (١٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾

الى الآية رقم (٢٦) قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...﴾

مدة الحفظ : (ثلاثة أيام)

يستغرق هذا الدرس كله فى استعراض مواقـف أهل الكتاب من مواثيقهم واستعراض ماحل بهم من العـقاب نتيـجة نقضـهم لهذه المواثيق لتكون هذه - من جـانب - تذكرة للجماعـة المسلمة ماثلة من بطون التاريخ ومن واقع أهل الكتـاب قبلهم وليكشف الله - من جانب - عن سنته التى لا تتخلف ولا تحابى أحداً، ومن الجانب الثالث ليكشف عن حقيـقة أهل الكتاب وحقـيقة موقـفهم وذلك لإبطال كيدهم فى الصف المسـلم وإحباط مناوراتهم ومؤامراتهم.

ويحتوى هذا الدرس على :

* استعراض ميثاق الله مع قوم موسى.
* استعراض ميثاق الله مع الذين قالوا إنا نصارى.
* استعراض ميثاق موقف اليهود أمام الأرض المقدسة.

ويتخلل هذا الاستعراض للمواثيق مواقف أهل الكتاب :

منها كشف ما وقع فى عقائد اليهـود والنصارى من انحراف، كذلك يتضمن دعوتهم من جديد إلى الهدى... الهدى الذى جاءتهم به الرسـالة الأخيرة، وجاءهم به الرسول الأخيـر. ودحض كل ماقـد يدعونه من حجـة فى أنه طال عليه الأمـد ومرت به فـترة طويلة منذ آخر أنبيائهم فنسوا ولبس عليهم الأمر.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٩٣) إلى صفحة رقم (٩٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١٢	١٧	٢١
	إلى	١٦	٢٠	٢٦

الدرس الثالث

(الأحكام التشريعية فى الحياة البشرية) (وأول حادث قتل)

من الآية رقم (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾

إلى الآية رقم (٤٠) قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ .. ﴾

مدة الحفظ (يومان)

يأخذ هذا الدرس فى بيان بعض الأحكام التشريعية الأساسية فى الحياة البشرية وهى الأحكام المتعلقة بحماية النفس، والحياة فى المجتمع المسلم المحكوم بمنهج الله وشريعته وحماية النظام العام، وصيانتها من الخروج عليه. وتستغرق هذه الأحكام هذا الدرس.

* قصة ابنى آدم تتقدم هذه الأحكام لتقدم نموذجًا لطبيعة الشر والعدوان.
* ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذى لا مبرر له.
* كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة. * ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة.
* وتقفهما وجها لوجه كل منهما يتصرف وفق طبيعته.

وهذا الحادث وقع فى فترة طفولة الإنسان وإن كان أول حادث قتل عدوانى متعمد، وأن الفاعل لم يعرف طريقة دفن الجثث.

ثم يقدم لنا الدرس بعد ذلك التشريع الذى فرض لتلافى الجريمة فى نفس المجرم. كما يتعرض السياق بعد ذلك لجريمة الخروج على الإمام المسلم فى شكل عصيان (حد الحرابة) فإذا ارتدع هؤلاء الخارجون المفسدون عن غيِّهم وفسادهم وهم ما يزالون فى قوتهم لم تنلهم يد السلطان وتسقط جريمتهم. ثم يعقب على هذا الشوط بالدعوة إلى تقوى الله وخشيته والخوف من عقابه وفى نهاية الدرس يرد حكم السرقة، ثم يفتح باب التوبة لمن يريد أن يتوب على أن يندم ويرجع ويكف ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾ ويعقب السياق القرآنى بالمبدأ الكلى الذى تقوم عليه شريعة الجزاء فى الدنيا والآخرة ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير﴾.

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٩٦) إلى صفحة رقم (٩٨)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٢٧	٣٣
	إلى	٣٢	٤٠

الدرس الرابـــع

(قضية الحكم والشريعة والتقاضى)

من الآية رقم (٤١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ... ﴾

إلى الآية رقم (٥٠) قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ... ﴾

مدة الحفظ (يومان)

يتناول هذا الدرس أخطر قضـايا العقيدة الإسلاميـة والمنهج الإسلامى، ونظام الحكم والحيـاة فى الإسلام... وهى القضـية التى عولجـت فى سورتى آل عمـران والنساء من قبل... ولكنها هنا فى هذه السورة تتخذ شكلا محدداً مؤكداً، يدل عليها النص بألفاظه وعباراته، لا بمفهومه وإيحائه.

إنها قضية الحكم والشريعة والتقاضى ومـن ورائها الألوهية والتوحيد والإيمان والقضية فى جوهرها تتلخص فى الإجابة على هذا السؤال :

أيكون الحكم والشريعة والتقاضى حسب مواثيق الله على الرسل ؟

أم على الأهواء ؟ أو بمعنى آخر : أتكون الألوهية والربوبية لله ؟

أم تكون كلها أو بعضها للناس ؟

والله سبحـانه وتعالى يقول : إنه هو الله لا إله إلا هو، وأن شرائعه بمقتـضى ألوهيته هى التى يجب أن تحكم الأرض، وليس لأحد من عباده أن يقول إننى أرفض شريعة الله وإلا كفر لو قالها بلسانه.

والسياق القرآنى فى هذا الدرس يقـرر : توافق الديانات التى جاءت من عند الله كلها على تحتيم الحكم بما أنزل الله، وإقامة الحياة كلها على شريعة الله وجعل هذا الأمر مفرق الطريق بين الإيمان والكفر، وبين الإسلام والجاهلية، وبين الشرع والهوى.

* إن شريعة الله تمثل منهجاً شاملاً متكاملاً للحياة البشرية.

* وهو منهج قائم على العلم المطلق بحقيقة الكائن الإنسانى.

* وهو منهج قـائم على الـعدل المطـلق لأن الله يعلم حق العلم بم يتـحـقق العـدل المطلق، ولأنه سبحانه هو رب الجميع فهو الذى يملك أن يعدل بين الجميع.

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٩٨) إلى صفحة رقم (١٠٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤١	٤٦
	إلى	٤٥	٥٠

الدرس الخامس (أعداء الأمة)

من الآية رقم (٥١) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ... ﴾

إلى الآية رقم (٦٦) قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم ... ﴾

مدة الحفظ (يومان)

* هذا النص عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فنجد التحذير والتهديد بأن من يتولهم فهومنهم. وإن الذين فى قلوبهم مرض يوالونهم ويحتجون بأنهم يخشون الدوائر ﴿فترى الَّذين في قُلُوبهم مَّرضٌ يُسارِعُون فيهِمْ يقُولُون نخْشىٰ أن تُصيبنا دائرةٌ فعسى اللَّهُ أن يأتي بالْفتْح أوْ أمْرٍ مِّنْ عنده﴾

* ونجد فى هذا النص تنفيراً للمسلمين من الولاء لمن يتخذون دينهم هزوا ولعبا ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تتخذُوا الَّذين اتَّخذُوا دينكُمْ هُزُوًا ولعبًا مِّن الَّذين أُوتُوا الْكتاب من قبْلكُمْ والْكُفَّار أوْلياء﴾.

* ونجد أيضا أن هؤلاء يتخذون صلاة المسلمين إذا قام المسلمون إلى الصلاة هزوا ولعبا . . . ﴿وإذا ناديْتُمْ إلى الصَّلاة اتَّخذُوها هُزُوًا ولعبًا﴾ وتشير نصوص هذا الدرس إلى طريقة المنهج القرآنى فى تربية الجماعة المسلمة وإعدادها لدورها الذى قدره الله لها.

إن هذا القرآن يربى الفرد المسلم على أساس إخلاص ولائه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة. وأن موالاة غير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله.

ثم يربى القرآن وعى المسلم بحقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التى يخوضها معهم ويخوضونها معه.

* والنصوص فى هذا الدرس تكشف طبيعة هؤلاء الأعداء ومدى فسقهم وانحرافهم.

* كذلك تقرر النصوص الجزاء فى الحياة الآخرة ﴿ومن يتولَّ اللَّه ورسُولهُ والَّذين آمنُوا فإنَّ حزْب اللَّه هُمُ الْغالبُون﴾ كما تقر صفة المسلم الذى يختاره الله لدينه، ويمنحه هذا الفضل العظيم فى اختياره لهذا الدور الكبير ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا من يرْتدَّ منكُمْ عن دينه فسوْف يأتي اللَّهُ بقوْمٍ يُحبُّهُمْ ويُحبُّونهُ أذلَّةٍ على الْمُؤْمنين أعزَّةٍ على الْكافرين يُجاهدُون في سبيل اللَّه ولا يخافُون لوْمة لائمٍ﴾ وكل هذه التقريرات خطوات فى المنهج، وفى صياغة الفرد المسلم والجماعة المسلمة على الأساس المتين.

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥١	٥٨
	إلى	٥٧	٦٤

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١٠١) إلى صفحة رقم (١٠٣)

الدرس السادس

أهـــــل الكتـــــاب

بيان حالهم وكشف انحرافهم

من الآية (٦٧) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ... ﴾

إلى الآية (٨١) قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ ... ﴾

مدة الحفظ (يومان)

* يمضى هذا الدرس فى بيـان حال أهل الكتاب - من اليـهود والنصـارى - وكشف الانحراف فـيما يعتـقدون وكشف السوء فـيما يصـيغون، فى تاريخهم كله - وبخـاصة اليهود.

* كما يمضى فى تقرير نوع العلاقة بينهم وبين الرسول ﷺ والجماعة المسلمة وواجب الرسول ﷺ فى تعامله معهم وواجب المسلمين.

- لقد نادى الله سبحانه وتعـالى الرسول ﷺ وكلفه تبليغ ما أنزل إليه من ربه. . .كل ما أنزل إليه لا يستبقى منه شيئًا ولا يؤخـر منه شيئًا مراعاة للظروف والملابسات، أو تجنبا للاصطدام بأهواء الناس وواقع المجتمع وإن لم يفعل فما يكون قد بلغ. **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾**

- ومن هذا الذى كلف الرسول ﷺ تبليـغه أن يجابه أهل الكتاب بأنهم لـيسوا على شئ حتى يقيـموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليـهم من ربهم هكذا قاطعة جازمـة صريحة جاهزة .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾

- وأن يعلن كذلك كفر اليهود بنقضهم الميثاق وقتلهم الأنبياء **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**

- ويعلن أيضاً كـفر النصارى : بقولهم أن الله هو المسيـح ابن مريم -وقولهم إن الله ثالث ثلاثة **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾**

- كما يعلن أن المسيح - عليه السلام - أنذر بنى إسرائيل عاقبة الشرك وتحريم الله الجنّة على المشركين.

﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وأن بني إسرائيل لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم بعصيانهم وعدوانهم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾

- وينتهى الدرس بكشف موقف أهل الكتاب من مظاهرة المشركين على المسلمين ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ...﴾

- وإعلان أن هذا ناشئ من عدم إيمانهم بالله والنبي. وأنهم مدعوون إلى الإيمان بما جاء به محمد ﷺ وإلا فما هم بالمؤمنين. ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٣) إلى صفحة رقم (١٠٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
آيات الحفظ	من	٦٧	٧٥
	إلى	٧٤	٨١

الدرس السابع

(المواجهة)

(بين المعسكرات المتعددة والأمة الإسلامية فى المدينة)

من الآية رقم (٨٢) قوله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ... ﴾

إلى الآية رقم (٨٦) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

هذه البقية من الحديث عن اليهود والنصارى والمشركين ومواقفهم من الرسول ﷺ ومن الأمة المسلمة، ذلك لتقرير مواقف هذه الطوائف جميعا ولتقرير الجزاء الذى ينتظر الجميع فى الآخرة، لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التى قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة. وكان ذلك منذ اليوم الأول الذى جمع الله فيه الأوس والخزرج على الإسلام فلم يعد لليهود فى صفوفهم مدخل ولامخرج.

لقد استخدموا كل الأسلحة والوسائل التى تفتقت عنها عبقرية المكر اليهودية. ولقد ألبوا على الإسلام والمسلمين كل قوى الجزيرة العربية المشركة .

* إن الذى ألب الأحزاب على الدولة المسلمة الناشئة فى المدينة (يهودى) .

*و الذى ألب العوام وجمع الشراذم وأطلق الشائعات فى فتنة مقتل عثمان (يهودى).

* والذى قاد حملة الوضع والكذب فى أحاديث رسول الله ﷺ (يهودى) .

* وسائر ما تلا ذلك من الحرب المعلنة على طلائع البعث الإسلامى وراءه (يهود) .

* ثم إن الذى كان وراء إثارة النعرات القومية فى دولة الخلافة الأخيرة التى انتهت بإلغاء الخلافة على يدى (البطل) أتاتورك (يهودى) .

* ثم لقد كان وراء النزعة المادية الإلحادية... (يهودى) ووراء النزعة الحيوانية الجنسية (يهودى) ووراء معظم النظريات الهامة لكل المقدسات والضوابط (يهود)!

كذلك صدّق الواقع التاريخى ما حذر الله الأمة المسلمة إياه من اليهود ومن النصارى سواء. ولقد ظلت الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية حليفتين فى حرب الإسلام رغم كل ما بينهما من أحقاد. ثم هاهم أولاء يعيدون موقف اليهود القديم مع المسلمين

والوثنيين.

إن هذه المعسكرات لاتخشى شـيئا أكثر مما تخشى الوعى فى قلوب العـصبة المؤمنة - مهما قل عـددها وعدتها -. إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقـوم، وهو لايناقض بعضه بعضاً فلنقرأه إذن على بصيرة...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٥) إلى صفحة رقم (١٠٦)

الدرس الثـــامـن

(قضيـة التشــــريع)

من الآية رقم (٨٧) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ... ﴾

إلى الآية رقم (١٠٨) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ... ﴾

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

هذا القطاع بجملته يتناول قضية واحـدة - على تعدد الموضوعات التى يتعرض لها - ويدور حول محور واحد. . . . . إنه يتناول قضية التشريع فيجعلها هى قضية الألوهية.

الله هو الذى يحرم ويحلل * والله هو الذى يحظر ويبيح * والله هو الذى ينهى ويأمر

(ثم تتساوى المسائل كلها عند هذه القاعدة. . كبيرها وصغيرها) فشؤون الحياة الإنسانية بجـملتهـا يجب أن ترد إلى هذه القـاعـدة دون سواها. والذى يدعـى حق التشـريع أو يزاوله، فإنما يدعى حق الألوهية أو يزاوله. . . .

[وليس هذا الحق لأحد إلا الله]

وتبدأ كل فـقرة من فقرات هـذا القطاع بنداء واحد مكرر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذى معناه ومقـتضاه الاعتراف بألوهيـة الله وحده، والاعتراف له سـبحانه بالحاكمـية ثم بعد ذلك. . . المفاضلة بين الذين آمنوا ومن يضل عن طريقهم ولايتـبع منهجهم هذا فى ترك قضيـة التشريع لله فى الصغـيرة والكبيرة، والتخلى عن الاعـتداء على حق الله وسلطانه وألوهيـته : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُـرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَـدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا...﴾ فهم أمة واحدة لها دينها، ولها نهجـها، ولها شرعها، ولها مصدر هذا الشرع الذى لا تستمد من غيـره ولا على هذه الأمة - حين تبين للناس منهجها هذا ثم تفاصلهم عليه- من ضـلال الناس، ومضيهم فى جاهليتهم ومـرجعهم بعد ذلك إلى الله.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٠٦) إلى صفحة رقم (١٠٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٨٧	٩٥	١٠٣
	إلى	٩٤	١٠٢	١٠٨

الدرس التاسع

(تصحيح العقيدة)

من الآية رقم (١٠٩) قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ... ﴾

إلى الآية رقم (١٢٠) قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ... ﴾

مدة الحفظ : (يومان)

هذا الدرس بطوله بقية فى تصحيح العقيدة وتقويم ما دخل عليها عند النصارى من انحرافات أخرجتها عن أصلها السماوى عند قاعدتها الأساسية، إذ أخرجتها من التوحيد المطلق الذى جاء به عيسى -عليه السلام - وكما جاء به كل رسول قبله، إلى ألوان من الشرك، لا علاقة لها أصلاً بدين الله.

ومن ثم فإن هذا الدرس كذلك يستهدف تقرير حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية - كما هى فى التصور الإسلامى - .

تقرير هذه الحقيقة من خلال هذا المشهد العظيم الذى يعرضه. . . والذى يقرر فيه عيسى -عليه السلام- على ملأ من الرسل، ومن البشر جميعاً إنه لم يقل لقومه شيئا مما زعموه من ألوهيته ومن تأليه أمه وأنه ما كان له أن يقول من هذا الشرك كله شيئا !

وهذا المشهد من مشاهد القيامة : ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾

هؤلاء الرسل إلى شتى الأقوام فى شتى الأمكنة والأزمان. .

إنه الاستجواب المرهوب فى يوم الحشر العظيم.

أما الرسل فيعلنون أن العلم الحق له سبحانه وتعالى ﴿قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾

ثم يلتفت الخطاب إلى عيسى بن مريم - على الملأ ممن ألّهوه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه -مريم - التهاويل!

إنها المواجهة بما كان من نعم الله على عيسى ابن مريم وأمه.

ثم يستطرد السياق فى معرض هذه النعم إلى شئ من نعمه على قومه ومن معجزاته التى أيده الله بها وشهد بها الحواريون : ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى. .

يسكت السياق بعـد وعد الله وتهديده ﴿قال اللهُ إنّي مُنزّلُها عليكُمْ فمن يكفُرْ بعْدُ منكُمْ فإنّي أُعذّبُهُ عذابًا لاَّ أُعذّبُهُ أحدًا مّنَ العالمين﴾ .

يسكت ليمـضى إلى القضية الأسـاسية. . . . قضيـة الألوهية والربوبية وهى القـضية الواضحة فى الدرس كله ويجئ فى السياق فى صورة استجواب مباشر :

﴿وإذْ قال اللّهُ يا عيسى ابْن مرْيم أأنت قُلْت للنّاس اتّخذُوني وأُمّي إلهيْن من دُون اللّه﴾

وبعد الاستجواب يأتى الدفاع، يبدأ بالتـسبيح والتنزيه ويسرع إلى التبرؤ المطلق من أن يكون من شأنه هذا القول أصلاً :

﴿قال سُبْحانك ما يكُونُ لي أنْ أقُول ما ليْس لي بحقٍّ﴾

ويستشهد بذاته على براءته : ﴿إن كُنتُ قُلْتُهُ فقدْ علمْتهُ تعْلمُ ما في نفْسي ولا أعْلمُ ما في نفْسك إنّك أنت علاّمُ الْغُيُوب﴾ ثم يجرؤ على الإثبات والتقرير فيـما قاله وفيما لم يقله : ﴿ما قُلْتُ لهُمْ إلاّ ما أمرْتني به. . .﴾

ثم يخلى يده منهم بعد وفاته. ﴿ وكُنتُ عليْهمْ شهيدًا مّا دُمْتُ فيهمْ فلمّا توفّيْتني كُنت أنت الرّقيب عليْهمْ وأنت على كُلّ شيْءٍ شهيدٌ ﴾

وينتهى إلى التفويض المطلق فى أمرهم ﴿إن تُعذّبْهُمْ فإنّهُمْ عبادُك وإن تغْفرْ لهُمْ فإنّك أنت الْعزيزُ الْحكيمُ﴾

ونشهد فى ختام الموقف ﴿ قال اللّهُ هذا يوْمُ ينفعُ الصّادقين صدْقُهُمْ لهُمْ جنّاتٌ تجْري من تحْتها الأنْهارُ خالدين فيها أبدًا رّضي اللّهُ عنْهُمْ ورضُوا عنْهُ ﴾

درجات بعـد درجات. . . الجنات والخلود ورضا الله ورضـاهم بما لقوا من ربهم من التكريم: ﴿ذلك الْفوْزُ الْعظيمُ﴾

* وهو منهج متناسق مع ناموس الكون كله. لأن صاحبه هو صاحب هذا الكون كله.

* ثم إن المنهج الوحيد الذى يتـحرر فيه الإنسان من العبـودية للإنسان فإذا هم كلهم أحرار متساوون لايحنون جباههم إلا لله، ولايعبدون إلا الله.

ومن هنا خطورة هذه القضية فى حياة بنى الإنسان، وفى نظام الكون كله.

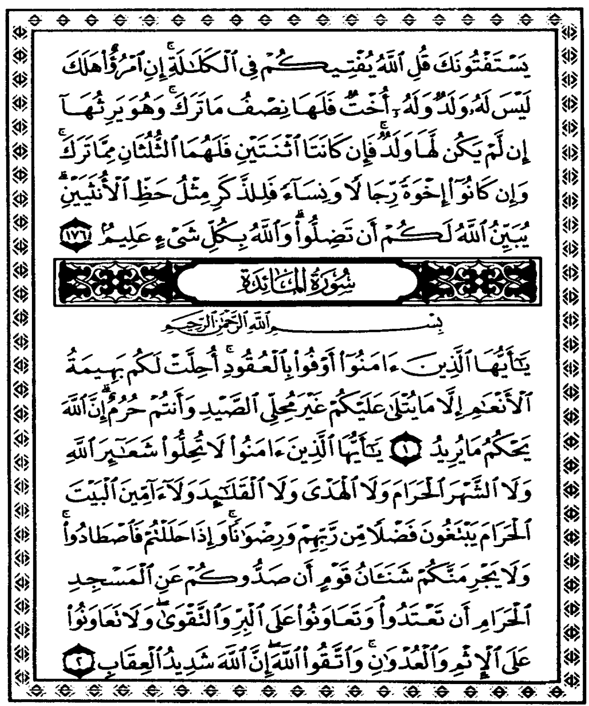
﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ .

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١١٠) إلى صفحة رقم (١١١)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١١٠	١١٦
	إلى	١١٥	١٢٠



يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)

الدرس الأول

(الوفاء بالعقود)

من الآية رقم ١ إلى ١١

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ وأول هذه العقود هو عقد الإيمان وهذا العقد أخذه الله ابتداء على آدم عليه السلام - وهو يسلمه مقاليد الخلافة. وعلى عقد الإيمان بالله، والعبودية لله تقوم سائر العقود..... ثم يأخذ السياق فى تفضيل هذه العقود : أحل لكم أكل الأنعام إلا ما قرئ عليكم تحريمه، غير محلين للصيد وأنتم محرمون، إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم.

٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ وهنا يستأنف النداء للذين آمنوا لينهاهم عن استحلال حرمات الله وهى: شعائر الله: هى شعائر الحج الشهر الحرام: يعنى الأشهر الحرم والهدى: وهو الذبيحة التى يسوقها الحاج أو المعتمر والقلائد: وهى الأنعام المقلدة التى يقلدها أصحابها - علامة على نذرها لله، آمين البيت الحرام: وهم الذين يقصدون البيت الحرام للتجارة حجاجاً وغير حجاج وفى النهاية يوضح السياق متى يحل الصيد: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ إنها منطقة الأمان يقيمها الله فى بيته الحرام كما يقيم فترة الأمان فى الأشهر الحرام. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ إنها قمة فى ضبط النفس وفى سماحة القلب، إنه نموذج من السلوك الذى يحقق الإسلام وبهذا يقدم للناس نموذجاً من السلوك، ويؤدى للإسلام شهادة طيبة تجذب الناس إليه.

(لا يجرمنكم شنآن: لا يحملنكم بغضكم لهم على الاعتداء عليهم)

سبب النزول: قال زيد بن أسلم: كان رسول الله ﷺ وأصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: صدوا هؤلاء كما صدنا أصحابهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لا تحلوا شعائر الله﴾.

معانى الكلمات :

العقود : العهود.

الأنعام : الابل والبقر والضأن والماعز.

لا تحلوا : لاتنتهكوا

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ
السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم
مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ
﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ
لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ هذه الآية الكريمة هى تفسير لقوله تعالى فى الآية الأولى من هذه السورة وهو قوله ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ حيث ذكر فى هذه الآية سائر المحرمات من اللحوم وهي عشر كما يلى: ﴿الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ واستثنى ﴿إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أى أدركتم فيه الروح فذكيتموه بذبحه. وأيضا ولايحل لكم الاستقسام بالأزلام، والأزلام للعرب ثلاثة : أحدها مكتوب من (افعل) والأخر مكتوب فيه (لاتفعل) والثالث (مهمل لاشئ) ومعنى الاستقسام هو طلب القسم والنصيب وقد حرمه الله لأنه تعرض لدعوى الغيب وضرب من الكهانة.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ وهو كل ماذكر لكم من المحرمات عليكم إتيانه فاتركوه لأنه فسق. ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ من ابطال دينكم ورجوعكم عنه فلاتخافوهم وخافونى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالتنصيص على قواعد العقائد وأتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق أو بفتح مكه ورضيت لكم الاسلام دينا. ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ أى فى مجاعة غير مائل لارتكاب إثم بتعاطيها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

سبب النزول : نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع سنة عشر والنبىﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء.

عن عمار بن أبى عمار قال : قرأ بن عباس هذه الآية ومعه يهودى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ فقال اليهودى : لو نزلت هذه الآية علينا فى يوم لأتخذناه عيداً فقال ابن عباس : فإنها نزلت فى عيدين اتفقا فى يوم واحد يوم الجمعة وافق ذلك يوم عرفة

٤ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ راحوا يسألون بعد ما سمعوا آيات التحريم ليكونوا على يقين من حله قبل أن يقربوه وجاءهم الجواب : ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ ويضيف إلى الطيبات -وهى عامة - نوعاً منها يدل على طيبته، تخصيصه بالذكر بعد التعميم وهو ما تمسكه الجوارح المعّلمة المدربة على الصيد. ثم يردهم فى نهاية الآية إلى تقوى الله ويخوفهم حسابه السريع ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ عن أبى رافع قال: أمرنى رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها (فأنزل الله الآية).

٥ ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ..﴾ ويستطرد فى بيان ما أحل لهم من الطعام ويلحق به ما أحل لهم من النكاح وهى ألوان المتاع الحلال مرة أخرى وهنا نطلع على صفحة من صفحات السماحة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ وهكذا يبدو أن الاسلام هو المنهج الوحيد الذى يسمح بقيام مجتمع عالمى لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية. وشرط حل المحصنات الكتابية، هو شرط حل المحصنات المؤمنات وهو أن تؤدى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ
أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)
وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم
بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)

المهور بقصد النكاح ﴿إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ ويعقب على هذه الأحكام تعقيباً فيه تشديد وفيه تهديد: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾

٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ والحديث هنا عن الصلاة والطهارة إنها أولاً: لفتة إلى لون آخر من الطيبات طيبات الروح الخالصة. ثم اللفتة الثانية إن أحكام الطهارة والصلاة كأحكام الطعام والنكاح كلها عباده لله وكله دين الله. إن الصلاة لقاء مع الله ولابد له من استعداد غسل الوجه والأيدى والمرافق ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين. وفى ختام الآية يجئ هذا التعقيب: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ وتقودنا حكمة الوضوء والغسل والتيمم التي كشف النص عنها هنا: ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾

عن عائشة رضى الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى. فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضعًا رأسه على فخذى قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت عائشة فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى ولا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء. فأنزل الله آية التيمم، فقال أسيد بن خضير ما هى بأول بركاتكم يا آل أبى بكر؟ قالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه، فإذا العقد تحته». [فتح البارى ٤٦٠٧].

٧ ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ وهى نعمة الإيمان وبميثاق الله معهم على السمع والطاعة وهو الميثاق الذى دخلوا به فى الإسلام. كما يذكرهم تقوى الله وعلمه بما تنطوى عليه الصدور ﴿واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور﴾

٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله﴾ وهو الميثاق الذى واثق الله به الأمة المسلمة، القوامة على البشرية بالعدل، ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا﴾ ولقد قامت هذه الأمة بهذه القوامة وأدت تكاليفها هذه يوم استقامت على الإسلام.

٩ ﴿وعد الله الذين آمنوا﴾ فمصير الذين آمنوا المغفرة والأجر الكبير.

معانى الكلمات:

وما أهل لغير الله به: ماذكر عند ذبحه اسم غير الله.
المنخنقة: الميتة بالخنق.
الموقوذة: الميتة بالضرب.
المتردية: الميتة بالسقوط من علو.
النطيحة: الميتة بالنطح.
إلا ما ذكيتم: ما ادركتموه وفيه حياة فذبحتموه. صعيدا: تراباً.
النصب: حجارة حول الكعبة
الأزلام: قداح معلمة معروفة فى الجاهلية. مخمصة: مجاعة شديدة.
محصنين: متعففين.
لامستم النساء: واقعتموهن
ولا يجرمنكم: لا يحملنكم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

١٠ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا﴾ هذه الآية تضمنت وعيداً شديداً للكافرين المكذبين بآيات الله وحججه التى أرسل بها رسله وأيدهم بها.

١١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهى نجاة نبيهم محمد ﷺ من قتل أعدائه وأعدائهم وهم اليهود. وسبب النزول يوضح ذلك.

سبب النزول: عن ابن عباس رضى الله عنه: أن بنى النضير هموا أن يطرحوا حجراً على النبى ﷺ - ومن معه فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه. وهذه الآية بمثابة تقوية روح العدل والقسط والسماحة فى الجماعة المسلمة ويكفكف فيها شعور العدوان والميل والانتقام فيذكر المسلمين بنعمة الله عليهم فى كف المشركين عنهم.

الدرس الثانى

(مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم)

من الآية رقم ١٢ / ٢٦

١٢ ﴿ولَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أى عهداً عليهم أن يقاتلوا الكنعانيين فى أنحاء من الشام ويحتلوها وبعث موسى اليهم اثنى عشر نقيبا ليكفلوا تنفيذ هذا العهد الالهى، وأوحى اليهم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ما دمتم قائمين بما فرضته عليكم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان برسله ونصرهم وبذل المال فى سبيل الخير.

١٣ ﴿فبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لعَنَّاهُمْ﴾ فنقض المواثيق هى سمات يهود التى لاتفارقهم. فهم لا يكفون عن محاولة خيانة الرسول. بالفعلة الخائنة، والنية الخائنة، والكلمة الخائنة، والنظرة الخائنة. وكان توجيه الرسول فى ذلك الحين ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ﴾

معانى الكلمات:

يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ: يبطشوا بكم بالقتل والهلاك.

عَزَّرْتُمُوهُمْ: نصرتموهم.

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ: يغيرونه.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

١٤ ﴿ومنَ الَّذينَ قالُوا إنَّا نَصارَىٰ﴾ وأيضا أخذ الله على هؤلاء النصارى ميثاقًا ولكنهم نقضوا ميثاقهم فنالهم هذا النقض للميثاق ﴿أخَذْنَا ميثاقَهُمْ﴾ فكان الجزاء لهذا النقض ﴿فأغْرَيْنا بيْنَهُمُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ إلىٰ يوْم الْقيامَة﴾

١٥ ﴿يا أهلَ الْكتاب قَدْ جاءَكُمْ رسُولُنا يُبَيِّنُ لكُم﴾ وهنا تسجيلٌ على أهل الكتاب أنهم مدعون إلى الإسلام وبأن هذا النبى هو رسول إليهم، كما أنه رسول إلى العرب وإلى الناس كافة. ولقد أخفى اليهود والنصارى كثيراً من أحكام الشريعة وأخفوا جميعا خبر بعثة النبى الأمى ﴿ ويَعْفُو عَن كثيرٍ﴾ يعفو عن كثير مما أخفوا أو حرفوه ﴿قَدْ جاءَكُم مِّنَ اللَّه﴾ ربكم ﴿نُورٌ﴾ هو رسولنا محمد ﷺ ﴿وكتابٌ مُّبين﴾ هو القرآن إذ بين كل شئ من أمور الدين والدنيا.

١٦ ﴿يهْدي به اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رضْوانَهُ﴾ وذلك بالرغبة الصادقة فى الحصول على رضا الله عز وجل ﴿سُبُلَ السَّلام﴾ أى طرق السعادة والكمال ﴿ويُخْرجُهُم مِّنَ الظُّلُمات﴾ وهى ظلمات الكفر والشرك والشك إلى نور الإيمان الصحيح والعبادة الصحيحة.

ويهديهم أولئك الراغبين حقا فى رضا الله ﴿ويَهْديهِمْ إلى صراط مُّسْتَقيم﴾ لايضلون معه ولايشقون أبداً.

١٧ ﴿لقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ووجه كفرهم أنهم جعلوا المخلوق المربوب هو الله الخالق – وهو كفر من أقبح أنواع الكفر. ويثير فيهم منطق العقل والفطرة والواقع ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّه شَيْئًا﴾ والجواب طبعاً: لا أحد قل فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن فى الأرض جميعاً وأخبر تعالى أنه له ﴿مُلْكُ السَّمَوات والأرْض﴾ وأنه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشاءُ واللَّه﴾ وهو سبحانه ﴿عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ .

معانى الكلمات :

فَأغْرَيْنَا : هيجنا وحرشنا أو الصقنا

نُورٌ : هو محمد ﷺ.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٨ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ وهو تبجح وسفه وضلال فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ وهذه ضربة حاسمة للرد على هذا الفساد فى التصور. ثم يكرر أن الله هو المالك لكل شئ وأن مصير كل شئ اليه ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

١٩ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ حتى لا تعود لهم حجة فى أنهم لم ينبهوا ولم يبشروا ثم يذكرهم أن الله لا يعجزه شئ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

٢٠ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وهذا هو الموقف الأخير لبنى اسرائيل مع رسولهم ومنقذهم -موسى عليه السلام- إنها حلقة من قصة بنى اسرائيل التى قصها القرآن بأوسع تفصيل ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لقد جربهم فحق له أن يشفق عليهم وهو يدعوهم دعوته الأخيرة. ولكن اسرائيل هى إسرائيل !!! الجبن والنكوص على الأعقاب .

٢١ ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ هذه الأرض قد كتب لكم فيها السكن والاستقرار فاقتحموا باب المدينة وباغتوا العدو فإنكم تغلبون ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ أى ولا ترجعوا إلى الوراء منهزمين فتنقلبوا بذلك خاسرين.

٢٢ ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قوم عظام الأجسام طوال متعاظمون، وهم العماليق ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ أى أن هذا هو السبب فى عدم دخولهم!!!

٢٣ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما : يُوشع وكالبه وكانا من الإثنى عشر نقيبا ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ قيل : يخافون الله وقيل : يخافون ضعف بنى إسرائيل وجبنهم ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالايمان واليقين قال: لو دخلتم عليهم الباب ﴿ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ ثقة بوعد الله .

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
(٢٦) ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ
قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ
لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ
مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ
لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي
سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا
الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)

٢٤ ﴿قالوا يا موسى إنَّا لن نَّدخُلها أبدًا﴾ قالوها بكل وقاحه ودناءة وخسة لن ندخلها ﴿مَّا داموا فيها﴾ أى ما دام أهلها يدافعون عنها ولو لم يدافعوا ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ أما نحن فها هنا قاعدون. أىُّ تمردٍ وعصيان أكثر من هذا ؟؟

٢٥ ﴿قال ربِّ إنِّي لا أملكُ إلاَّ نفسي وأخي﴾ يريد هارون ﴿فافرُق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فأجابه ربه:

٢٦ ﴿قال فإنها مُحرَّمةٌ عليهم أربعين سنةً﴾ فهى استجابة لنبيه وقضى الله بالجزاء العدل على الفاسقين أربعين سنة لا يدخلونها وفعلاً ما دخلوها إلا بعد مضى الفترة المذكورة وكيف كانوا فيها ؟ يتيهون فى أرض سيناء متحيرين فى سيرهم... وعليه فلا تحزن ولا تأسف على القوم ﴿الفاسقين﴾

[فائدة] لقد وعى المسلون هذا الدرس حين واجهوا الشدة أمام نفير قريش فى غزوة بدر وقالوا لنبيهم ﷺ إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا فإننا معكما مقاتلون.

الدرس الثالث

(أول حادث قتل فى الحياة البشرية)

من الآية ٢٧ إلى الآية ٤٠

٢٧ ﴿واتلُ عليهم نبأ ابني آدم بالحقِّ﴾ وهذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان الصارخ الذى لامبرر له إنها قصة هابيل وقابيل ابنى آدم ليعلموا بذلك عاقبة جريمة القتل الذى هموا به ﴿إذ قرَّبا قُربانًا﴾ فتقبل الله قربان أحدهما لأنه كان من أحسن ماله ﴿ولم يُتقبَّل من الآخرِ﴾ وهو قابيل لأنه كان من أردأ ماله فقال لأخيه ﴿لأقتُلنَّك﴾ وكان ذلك منه غيرة وحسدًا ﴿قال إنما يتقبَّلُ اللَّهُ من المتَّقين﴾

٢٨ ﴿لئن بسطت إليَّ يدك﴾ إن قصدت بذلك ﴿لتقتُلني﴾ ﴿ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتُلك﴾ وعلل ذلك بقوله ﴿ إني أخافُ اللَّهَ ربَّ العالمين﴾

٢٩ ﴿إني أُريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمكَ﴾ أى ترجع إلى ربنا بإثم قتلك إياى وإثمك الذى قد صار عليك بذنوبك من قبل قتلى.

٣٠ ﴿فطوَّعتْ له نفسُهُ قتلَ أخيهِ﴾ وأن ذلك فيه كسباً له وشرفاً ﴿فأصبحَ من الخاسرين﴾ أى النادمين.

٣١ ﴿فبعثَ اللَّهُ غُرابًا يبحثُ في الأرض﴾ أى ينبش فى الأرض برجليه ومنقاره وينشر التراب على ميت معه حتى واراه. فقال متندما متحسراً ﴿ويلتَى أعجزتُ أنْ أكُونَ مثلَ هذا الغُراب﴾ فأصبح من النادمين على قتل أخيه وعدم دفنه.

معانى الكلمات :

فافرُق : فافصل بحكمك.
فلا تأسَ : فلا تحزن.
فطوَّعتْ : زينت.
سوءةَ أخي : جيفته أو عورته.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

٣٢ ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾ اى من أجل قبح جريمة القتل وما يترتب عليها من مفاسد ومضار شددنا عليهم فى العقوبة ﴿أنه من قتل نفسا بغير نفس﴾ وذلك لكثرة سفك بنى إسرائيل الدماء وقتلهم الأنبياء ﴿بغير نفس﴾ أى بغير نفس توجب القصاص ﴿أو فساد في الأرض﴾ هو الشرك وقيل: الفساد فى الأرض قطع الطريق وسفك الدماء وهتك العرض ونهب الأموال والبغي على عباد الله بغير حق. ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ لأن له جهنم وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا أليما فقتل الناس جميعا لم يزد عذابه على هذا !!! وكذلك دفع القتل عن نفس واستحياؤها بهذا الدفع هو استحياء للنفوس جميعا.

٣٣ ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ وهنا فى هذه الآية يقرر عقوبة هذا العنصر الخبيث وهو المعروف فى الشريعة الإسلامية بحد الحرابة. وهذه الآية تعم المشرك وغيره (فمحاربة الله) : عصيانه (ومحاربة رسوله) : حمل السلاح ضده. ومن بعد عصر الرسول: إذا خرجوا على الناس بالسلاح وقطعوا الطريق لأخذ الأموال والفتك بالنفوس. ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾.

سبب نزول قوله تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ عن أنس: أن رهطاً من عكل وعرنية أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بزود راع وأمرهم أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها فلما صحوا وكانوا بناحية الحرة قتلوا راعى رسول الله ﷺ واستاقوا الزود فبعث رسول الله ﷺ فى آثارهم، فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم فتركوا فى الحرة حتى ماتوا على حالهم.

٣٤ ﴿إلا الذين تابوا﴾ فهذا استثناء متصل من أولئك المحاربين بأن من عجز عنه فلم نتمكن من القبض عليه ﴿من قبل أن تقدروا عليهم﴾ وبعد فترة جاءنا تائبًا فإن حكمه يختلف عمن قبله ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾.

٣٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ وهو تعقيب على هذا الشوط بالدعوة إلى تقوى الله وخشيته والخوف من عقابه. ﴿اتقوا الله﴾ فالخوف ينبغى أن يكون من الله ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ وتلمسوا ما يصلكم به من الأسباب ﴿لعلكم تفلحون﴾.

٣٦ ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا﴾ وهذا المشهد هو مشهد الكفار الذين لا يتقون الله ولايبتغون إليه الوسيلة ولا يفلحون وهو مشهد شاخص متحرك ذو مناظر وحركات متواليات منظرهم ومعهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ومنظرهم وهم يعرضون ليفتدوا به ﴿ما تقبل منهم﴾ وليس هذا فقط بل ﴿ولهم عذاب أليم﴾.

معاني الكلمات :

خزي : ذل وفضيحة وعقوبه.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ
قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ
يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا
وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٧ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ وهذا ما يتمنونه بكل قلوبهم أن يخرجوا من النار ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا يبرح ولا يزول.

٣٨ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ إن المجتمع المسلم يوفر مايدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية :

١- إنه يوفر ضمانات العيش والكفاية.
٢- وضمانات التربية والتقويم.
٣- وضمانات العدالة فى التوزيع.
٤- ويجعل كل ملكية فردية تنبت من حلال.
٥ - ويجعل الملكية الفردية وظيفة اجتماعية تنفع المجتمع .

وعقوبة قطع يد السارق تؤدى إلى تقليل الجرائم وتأمين المجتمع وهى أفضل العقوبات وأعدلها. وهى رحمة بمن تحدثه نفسه لان يكفه عنها.

سبب نزول قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ نزلت فى طعمة بن أبيرق سارق الدرع وقد مضت قصته (فى سورة النساء) من الآية ١٠٥ / ١١٤.

٣٩ ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ وهنا يفتح الله باب التوبة لمن يريد أن يتوب على أن يندم ويرجع ويكف ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٤٠ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذا هو المبدأ الكلى الذى تقوم عليه شريعة الجزاء فى الدنيا والآخرة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ فالحكم له تعالى لاينازع فيه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

الدرس الرابع
(قضية الحكم والشريعة والتقاضى)
من الآية ٤١ / ٥٠

٤١ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ابتداء من هذه الآية وحتى الآية رقم ٤٧ يعزى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ويواسيه ويهون عليه فعال القوم ويكشف للجماعة المسلمة حقيقة المسارعين فى الكفر من هؤلاء وهؤلاء . وروى أن هذه الآيات نزلت فى قوم من اليهود ارتكبوا جرائم - تختلف الروايات فى تحديدها - منها الزنا ومنها السرقة ثم تهاونوا فيها وتآمروا على الرسول ليستفتوه ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ وهكذا بلغ بهم العبث والاستهتار والالتواء فى التعامل مع الله ومع رسوله ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فهؤلاء دنست قلوبهم . فلم يرد الله أن يطهرها وأصحابها يلجون فى الدنس ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ وسيجزيهم بالخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة. فلا عليك منهم، ولا يحزنك كفرهم، ولاتحفل بأمرهم. فهو أمر مقضى فيه.

معانى الكلمات :

نَكَالًا : عقوبة تمنع من العود.
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ : يبدلونه.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢ ﴿سَمَّاعُون لِلْكَذِب أَكَّالُون لِلسُّحْت﴾ هذه صفات اليهود كثرة استماع الكذب مضافاً إليه كثرة أكلهم السحت وهو المال الحرام ﴿فإن جاءُوك﴾ أى للتحاكم عندك فأنت مخير بين أن تحكم بينهم بحكم الله أو تعرض عنهم. وإن حكمت بينهم فاحكم ﴿بالقِسْط﴾ أى بالعدل .

٤٣ ﴿وكيف يُحكِّمُونك وعندهُمُ التَّوْرَاةُ فيها حُكْمُ اللَّه﴾ وهو سؤال استنكارى على موقف يهود. ولايكتفى السياق بالاستنكار ولكنه يقرر الحكم الإسلامى فى مثل هذا الموقف عندما ﴿ثمَّ يتولّوْن منْ بعْد ذلك﴾ فيقرر الله سبحانه أنهم ﴿وما أُولْئك بالْمُؤْمنين﴾ فما يمكن ان يجتمع الإيمان وعدم تحكيم شريعة الله.

٤٤ ﴿إنَّا أنزلْنا التَّوْراةَ فيها هُدًى ونُورٌ﴾ وفى هذه الآية يجئ حكم الله على الحاكمين الذين لا يحكمون بما أنزل الله. والتوارة هداية بنى إسرائيل ﴿يحكُمُ بها النَّبيُّون﴾ من بنى اسرائيل ﴿للَّذين هادُوا﴾ من أهل العلم والحكمة ﴿بما اسْتُحْفظُوا﴾ أى استحفاظهم لكتابة التوراة فلا يبدلونه ولا يغيرون فيه ﴿وكانُوا عليْه شُهداء﴾. بأحقيته وسلامته ولاتخشوا الناس فى ذلك فقد حرفتم الكلم عن مواضعه وتركتم الحكم به فما بالكم ؟

﴿فلا تخْشوُا النّاس﴾ واخشوا الله تعالى فهو أحق أن يخشى ولا تشتروا بآيات الله مقابل ثمن قليل.

﴿ومن لَمْ يحكُم بما أنزل اللّهُ فأُولئك هُمُ الكافرُون﴾ والعلة فى ذلك أن الذى لايحكم بما أنزل الله إنما يرفض ألوهية الله .

٤٥ ﴿وكتبْنا عليْهمْ فيها أنّ النّفْس بالنَّفْس﴾ وهنا يعود السياق لعرض نماذج من شريعة التوراة وقد استبقيت هذه الأحكام التى نزلت بها التوراة فى شريعة الإسلام وقد أضيف إليها فى الإسلام حكم آخر فى قوله تعالى: ﴿فمن تصدَّق به فهُو كفَّارةٌ لَّهُ﴾ ثم يعقب بالحكم العام: ﴿ومن لَّمْ يحكُم بما أنزل اللّهُ فأُولْئكَ هُمُ الظَّالمُون﴾ ووصفهم بالظالمين يعنى إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله.

معانى الكلمات :

أَكَّالُونَ لِلسُّحْت: للمال الحرام.

بالقِسْط : بالعدل.

الرَّبَّانِيُّون : عباد اليهود أو العلماء أو الفقهاء.

الأحْبَارُ : علماء اليهود.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ
أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن
بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)

٤٦ ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ ويمضى السياق فى بيان إطراد هذا الحكم العام فيما بعد التوراة. وقد آتى الله عيسى ابن مريم الإنجيل ليكون منهج حياة وشريعة حكم.

٤٧ ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ وأهل الإنجيل كانوا إذاً مطالبين أن يتحاكموا إلى الشريعة التى أقرها وصدقها الإنجيل من شريعة التوراة. ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ وصفة الفسق تضاف إلى صفتى الكفر والظلم من قبل فهى صفات يتضمنها الفعل الأول وتنطبق جميعا على الفعل ويبوء بها جميعا دون تفريق.

٤٨ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ ويصل السياق إلى الرسالة الأخيرة لتعرض (الإسلام) فى صورته النهائية ﴿بالحق﴾ الحق فى صدوره من جهة الألوهية ﴿مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾ فهو المرجع الأخير فى منهج الحياة، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل. ويترتب على هذه الحقيقة مقتضياتها المباشرة ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ والأمر موجه ابتداء إلى رسول الله والأمر عام وإلى آخر الزمان طالما أنه ليس هناك رسول جديد ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ ولكنه سبحانه جعل لكل منهم طريقا ومنهاجا من أجل أن يبتليكم فيما أعطاكم وأنزل عليكم ليتبين المطيع من العاصى ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ أى بادروا بالأعمال الصالحه فإلى الله ﴿مرجعكم جميعا﴾

٤٩ ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ والمعنى هو تأكيد هذه الحقيقة أى الحكم بما أنزل الله ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ فالتحذير هنا أشد وأدق لأنها فتنة يجب أن تحذر.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ قال ابن عباس: إن جماعة من اليهود قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يامحمد قد عرفت أنا أحبار وأشرافهم وإنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولن يخالفونا وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم اليك، فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيهم ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾.

٥٠) ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة فى ضمير المسلم وألا يتردد فى تطبيقها على واقع الناس فى زمانه، على الأعداء والأصدقاء.

معانى الكلمات :

وقفينا على آثارهم : اتبعنا.

شرعة ومنهاجا : شريعة وطريقا واضحا فى الدين.

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

الدرس الخامس

(طبيعة أعداء الأمة المسلمة)

من الآية رقم ٥١ إلى ٦٦

٥١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء﴾ هذا النداء موجه إلى الجماعة المسلمة في المدينة – ولكنه في الوقت ذاته موجه لكل جماعة مسلمة تقوم في أى ركن من أركان الأرض إلى يوم القيامة ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ فهو ظالم لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾

سبب النزول: قال عطيفة العوفى: جاء عبادة بن الصامت فقال: يارسول الله إن لى موالى من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإنى أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية اليهود وآوى إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبى: إنى رجل أخاف الدوائر وإنى أبرأ من ولاية اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحباب ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه» فقال: قد قبلت فأنزل الله تعالى فيها (الآية).

٥٢ ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾ هؤلاء المنافقون الذين لا يخلصون لله اعتقادهم ولاولاءهم ولا اعتمادهم. ﴿يسارعون فيهم﴾ فى موالاتهم. يقولون كالمعتذرين ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ من تقلب الأحوال فنجد أنفسنا مع أحلافنا ننتفع بهم وقوله تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾ وهى تفيد تحقيق الوقوع فهى بشرى لرسول الله والمؤمنين بقرب النصر والفتح ﴿فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم﴾ من النفاق وبغض المؤمنين وحب الكافرين ﴿نادمين﴾ حيث لاينفعهم ندم.

٥٣ ﴿ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ عندما يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده فيه نصرة المؤمنين وهزيمة الكافرين ويصبح المنافقون نادمين يقول المؤمنون مشيرين إلى المنافقين ﴿أهؤلاء الذين أقسموا بالله﴾ أغلظ الأيمان ﴿إنهم لمعكم حبطت أعمالهم﴾ لأنها لم تكن لله ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ .

٥٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ ويرسل الله النداء الثانى يهدد من يرتد منهم عن دينه. فلدينه سبحانه وتعالى أولياء وناصرون مدخرون فى علم الله ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ رحماء بالمؤمنين أشداء على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لوم من يلوم ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ يعطى عن سعة ويعطى عن علم وما أوسع هذا العطاء.

٥٥ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ ويحدد الله للذين آمنوا جهة الولاء الوحيدة التى تتفق مع صفة الإيمان ويبين لهم من يتولون وصفاتهم إقامة الصلاة تعنى أداءها أداءًا كاملاً وأداء حق الله فى المال وهم راكعون ذلك شأنهم كأنه الحالة الأصليه لهم.

سبب نزول الآية: جاء عبد الله بن سلام إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله إن قوما من قريظة والنضير قد هاجرونا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا ولانستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل وشكى مايلقى من اليهود فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء .

٥٦ ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ فهؤلاء حزب الله وهم غالبون، وإن خسرت العصبة المؤمنة بعض المعارك والمواقف.

٥٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾ وهذا هو النداء الثالث فى هذا الدرس للذين آمنوا يثير فى نفوسهم الحمية لدينهم ولعبادتهم ولصلاتهم التى يتخذها أعداؤهم هزوا ولعبا.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ۚ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

سبب نزول الآية: قال ابن عباس: كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما (فأنزل الله تعالى هذه الآية).

٥٨ ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا﴾ فبعضهم يقول ماهذا الصوت وآخر يقول هذا نهيق حمار – قبح الله قولهم – ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾.

سبب النزول : قال الكلبي : كان منادى رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود : قاموا لاقاموا صلوا لاصلوا، ركعوا لاركعوا على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٥٩ ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ ويتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ ليواجه أهل الكتاب فيسألهم : ماذا ينقمون من الجماعة المسلمة ؟ وهل ينقمون منها إلا الإيمان بالله، وما أنزل إلى أهل الكتاب وما أنزله الله للمسلمين بعد أهل الكتاب وهى مواجهة مخجلة ولكنها كذلك كاشفة وحاسمة ومفرق الطريق.

سبب النزول: قال ابن عباس: أتى نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال: أؤمن ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ونحن له مسلمون﴾ فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولادينا شراً من دينكم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠ ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك﴾ والله سبحانه وتعالى هنا يوجه رسوله ﷺ لمجابهة أهل الكتاب بهذا التاريخ بأن هذا شر عاقبة وأين نقمة البشر الضعاف من نقمة الله وعذابه ﴿أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾.

٦١ ﴿وإذا جاءوكم قالوا آمنا﴾ ويمضى السياق فى التنفير من موالاتهم وعرض صفاتهم ﴿جاءوكم﴾ يريد : غشوكم فى مجالسكم ﴿قالوا آمنا﴾ وما آمنوا ولكنهم ينافقون ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾.

٦٢ ﴿وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾ ترى كثرا منهم يرتكبون الذنوب ويغشون المعاصى يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت علناً لايستترون به ولايخفونه ثم ذمهم الله تعالى على ذلك وقبح فعلهم فقال ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾.

٦٣ ﴿لولا ينهاهم الربانيون﴾ أى: لم لا ينهونهم؟ وذم سكوت العلماء عنهم ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾.

٦٤ ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ يريدون أن الله -تعالى - أمسك عنهم الرزق وضيق عليهم، فرد الله عليهم ﴿غلت أيديهم﴾ ﴿ولعنوا بما قالوا﴾ وكذبهم تعالى فى قولهم ﴿يد الله مغلولة﴾ فقال: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ ﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ اى من اليهود ﴿ما أنزل إليك﴾ من الآيات التى تبين خبثهم ﴿طغيانا وكفرا﴾ اى إبعاداً فى الظلم والشر وكفراً بتكذيبك وتكذيب ماأنزل إليك. وأخبر سبحانه وتعالى بتدبيره فيهم انتقاما منهم فقال: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ ثم أخبر عن اليهود أنهم ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ فلم يفلحوا فيما أرادوه.

معاني الكلمات :

تصيبنا دائرة : يدور علينا الدهر.
حبطت أعمالهم : بطلت وضاعت
هزوا ولعبا : سخرية وهزلاً.
تنقمون : تكرهون.
الطاغوت : الشيطان.
مغلولة : مقبوضة.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)

٦٥ ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَاب آمنُوا واتَّقَوْا ...﴾ وهنا فى نهاية الدرس تجئ القاعدة الإيمانية الكبرى – أن إقامة دين الله في الأرض معناها الصلاح والكسب والفلاح فى حياة المؤمنين فى هذه الدنيا وفى الآخرة على السواء. لو انهم اختاروا الطريق ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ﴾ فلم يؤاخذهم ولم يفضحهم ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّات النَّعيم﴾ .

٦٦ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجيل وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ومعنى أقاموا ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة فى تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة، لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ لم تغل ولم تجف ولكن قالت أن عيسى عبد الله ورسوله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد .

الدرس السادس

(بيان حال أهل الكتاب)

من الآية ٦٧ / ٨١

٦٧ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ويقول له أيضا: ﴿وإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أى قصرت فى شئ لم تبلغه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ أى كأنك لم تبلغ شيئا وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أى يمنعك من أن يمسوك بشئ من الأذى ولذا فلا عذر لك.

سبب النزول: قال الحسن : إن النبى ﷺ قال: «لما بعثنى الله تعالى برسالتى ضقت بها ذرعاً وعرفت أن من الناس من يكذبنى» وكان رسول الله ﷺ يهاب قريشا واليهود والنصارى، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

٦٨ ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَاب لَسْتُمْ عَلَىٰ شيْءٍ﴾ والمعنى أن من لم يعمل بما أنزل الله فى كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع وكان سبحانه وتعالى يعلم أن مواجهتهم بهذه الحقيقة الحاسمة ستؤدى إلى هذا الموقف: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ أى علواً وعتواً وكفراً فوق كفرهم ولذا ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ أى لاتحزن على عدم إيمانهم بك وبما جئت به.

٦٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ وينتهى هذا المقطع بذلك البيان الأخير عن (الدين) الذى يقبله الله من الناس أولئك ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾ ومن هنا يبدأ فى عرض طرف من تاريخ بنى إسرائيل اليهود يتبين فيه كيف أنهم ليسوا على شئ ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ إنه تاريخ قديم.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا
يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ
ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ
ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾
لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ
إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ
ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ
ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١ ﴿وَحسبُوا ألاَّ تكُون فِتنَةٌ ...﴾ أى ألا يؤاخذوا بذنوبهم فعموا عن الحق وصموا عن سماع المواعظ فابتلاهم ربهم وسلط عليهم من سامهم سوء العذاب.

٧٢ ﴿لقدْ كفر الذين قالُوا إنَّ اللَّهَ هُو المسيحُ ابنُ مرْيَمَ﴾ وحاشا عيسى عبد الله ورسوله أن يرضى أن يقال له أنت الله.

٧٣ ﴿لقدْ كفرَ الَّذين قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثَة﴾ مازال السياق يبين كفر النصارى ﴿ثالثُ ثلاثة﴾ : يعنون الأب والابن والروح القدس وبعضهم يقول الأب والابن والأم والثلاثة إله واحد. ثم قال الله تعالى متوعداً هؤلاء الكفرة الكذبة: ﴿وإن لَّمْ ينتهُوا عمَّا يقُولُونَ ليمسَّنَّ الَّذين كفرُوا منْهُمْ عذابٌ أليمٌ﴾

٧٤ ﴿أفلا يتُوبُونَ إلَى اللَّه﴾ ويدعوهم إلى التوبة ليتوب عليهم ويغفر لهم والله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين.

٧٥ ﴿مَا المَسيحُ ابْنُ مَرْيَم إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خلَتْ من قَبْله الرُّسُلُ﴾ فلم يكن رباً ولا إلهاً وإنما هو رسول مفضل قد خلت من قبله رسل مفضلون كثيرون وأمه إنما هى إمرأة من نساء بنى إسرائيل صديقة وأنها وولدها كسائر البشر.

٧٦ ﴿قُلْ أتعْبُدُونَ من دُون اللَّه مَا لا يمْلكُ لكُمْ ضراً ولا نفْعاً﴾ وهو عيسى وأمه وتتركون عبادة من يملك ذلك وهو الله السميع العليم.

معانى الكلمات :

الصَّابئُونَ : عبدة الكواكب أو عبدة الملائكة.

أنَّى يُؤْفكُونَ : كيف يُصرفون.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

٧٧ ﴿قُل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾ **والمراد هنا بالنصارى لاتتشددوا فى غير ما هو حق شرعه الله تعالى لكم** ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ **وهم اليهود، وضلوا أى وهم اليوم ضالون.**

٧٨ ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ **حيث مسخ منهم نفر خنازير، وقردة كما لعنوا على لسان محمد ﷺ فى غير آيه من القرآن الكريم** ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾.

٧٩ ﴿كانوا لا يتناهون عن مُنكرٍ فعلوه﴾ **ولا ينهى بعضهم بعضاً**

٨٠ ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا﴾ **لقد كان اليهود هم الذين يتولون المشركين ويؤلبونهم على المسلمين والفريق الآخر من أهل الكتاب فهو يتعاون مع المادية الإلحادية كلما كان الأمر أمر المسلمين والحصيلة التى قدمتها لها أنفسهم** ﴿أن سخط الله عليهم﴾ **وخلودهم فى العذاب.**

٨١ ﴿ولو كانوا يؤمنون﴾ **ما اتخذوا الكفار والمشركين والمنافقين أولياء وما الدافع لتولى الذين كفروا ؟ إنه عدم الإيمان بالله والنبى.**

الدرس السابع
(معسكرات الأعداء)
من الآية ٨٢ / ٨٦

٨٢ ﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ **لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التى قامت فيها دولة الاسلام بالمدينة** ﴿ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ **وهذه تصور حالة فريق من أتباع عيسى – عليه السلام– وتقرر أنهم أقرب مودة للذين آمنوا فمنهم من يعرفون حقيقة دين النصارى فلا يستكبرون على الحق حين يتبين لهم.**

سبب نزول الآية : **هذه الآية وباقى الآيات حتى رقم ٨٦ نزلت فى النجاشى وأصحابه قال ابن عباس : كان رسول الله ﷺ وهو بمكة يخاف على أصحابه من المشركين فبعث جعفر بن أبى طالب وابن مسعود في رهط من أصحابه إلى النجاشى وقال إنه ملك صالح لايظلم ولايُظلم عنده أحد فأخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً، فلما وردوا عليه أكرمهم وقال لهم : تعرفون شيئاً مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم، قال: اقرأوا، فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان، فكلما قرأوا آية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق قال الله تعالى** ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون (٨٢) وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ **الآية**

معانى الكلمات :

لا تغلوا : **لاتجاوزوا الحد ولاتفرطوا.**

غير الحقّ : **غلواً باطلاً**

سخطَ اللهُ : **غضب الله عليهم.**

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٣ ﴿وإذا سمعُوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسُولِ ..﴾ اهتزت مشاعرهم ولانت قلوبهم وفاضت أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق العنيف بالحق الذى سمعوه وهم لا يقفون موقف المتأثر إنما يتقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفا إيجابيا صريحا موقف القبول لهذا الحق يقولون: ﴿ربَّنا آمنَّا فاكتبنا مع الشاهدين﴾

٨٤ ﴿وما لَنا لا نُؤْمنُ باللَّهِ﴾ ويستنكرون أن يعوقهم معوق عن الإيمان بالله ﴿وما جاءنا من الْحقِّ﴾

٨٥) ﴿فأثابهمُ اللَّهُ...﴾ لقد علم الله صدق قلوبهم وألسنتهم وصدق عزيمتهم على المضى فى الطريق، وصدق تصميمهم على أداء الشهادة لهذا الدين الجديد الذى دخلوا فيه.

٨٦) ﴿والَّذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا ..﴾ ويمضى السياق ليميزه عن الفريق الآخر ممن يسمعون الحق فيكفرون به ﴿أولئك أصحاب الْجحيم﴾ ولتظهر التفرقة بين مصير هؤلاء وأولئك عند الله، هؤلاء لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين. وأولئك أصحاب الجحيم.

الدرس الثامن
قضية التشريع
من الآية ٨٧ / ١٠٨

٨٧) ﴿يا أيُّها الَّذين آمنُوا لا تُحرِّمُوا طيِّبات ما أحلَّ اللَّهُ لكُمْ ..﴾ ليس لكم أن تحرّموا ما أحل الله من الطيبات وليس لكم أن تمتنعوا عن الأكل مما رزقكم الله حلالاً طيبا. فالله هو الذى رزقكم بهذا الحلال الطيب.

سبب النزول: عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبى ﷺ وقال: إنى إذا أكلت هذا اللحم انتشرت إلى النساء، وإنى حرمت علىّ اللحم، فنزلت الآية.

٨٨) ﴿وكُلوا ممَّا رزقكُمُ اللَّهُ﴾ وقيل ان الآيتين الأولى (٨٧) والثانية (٨٨) نزلتا فى بعض الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون وغيرهما كانوا قد حضروا موعظة وعظهم إياها رسول الله ﷺ فزهدوا فى الدنيا، ورغبوا فى الآخرة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخطب فى الناس وقال: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا وإنى أنا رسول الله لآكل اللحم وأصوم وأصلى وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت هذه الآية.

٨٩ ﴿لا يؤاخذكم اللَّهُ باللَّغْو في أيْمانكُمْ﴾ وهذه الآية بخصوص الحلف والأيمان ويبدو أنها نزلت لمواجهة الحلف على الامتناع عن المباح فردهم الرسول ﷺ إلى القرآن.

أما اليمين المعقوده التى وراءها قصد ونية فإن الحنث بها تقتضى كفارة ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان فكفَّارتُه إطْعامُ عشرة مساكين من أوسط ما تُطْعمُون أهْليكُمْ﴾ الآية. والكفارة هى رد لاعتبار العقد المنقوض، وحفظ للأيمان من الاستهانة بها وهى (عقود) وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - بالوفاء بالعقود.

معانى الكلمات:

تفيضُ من الدَّمْعِ: تمتلئ أعينهم بالدمع.

باللَّغْوِ في أيْمانكُمْ: أن يحلف على الشئ معتقدًا صدقه والأمر بخلافه أو ما يجرى على اللسان مما لا يقصد به اليمين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾ لقد كانت هذه كلها من معالم الجاهلية ومن التقاليد المتغلغلة فى المجتمع الجاهلى ولم يكن تحريم الخمر وما يتصل بها من الميسر أمراً مفاجئًا فلقد سبقت هذا التحريم القاطع مراحل وخطوات فى علاج هذه التقاليد. ولذلك لما نزلت آيات التحريم هذه لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد فى نوادى المدينة: «ألا أيها القوم إن الخمر حرمت».

٩١ ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم﴾ ويكشف السياق أيضاً دنسها وأنها من عمل الشيطان والشيطان عدو الانسان القديم فالخمر تنسى، والميسر يلهى. وغيبوبة الميسر لاتقل عن غيبوبة الخمر.

٩٢ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ ثم أعلمهم أنهم إن تولوا عن الحق بعدماعرفوه فالرسول ما عليه إلا البلاغ المبين ويكون جزاؤهم جزاء الكافرين وهو الخلود فى العذاب المهين.

٩٣ ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ وقد نزلت لقول بعض الأصحاب لرسول الله ﷺ «يارسول الله ما بال الذين ماتوا من إخواننا وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر؟» فأنزل الله هذه الآية فأعلم أنهم ليس عليهم جناح أى إثم أو مؤاخذة فيما شربوا وأكلوا قبل نزول التحريم بشرط أن يكونوا قد اتقوا الله فى محارمه وآمنوا به وبشرائعه ﴿إذا ما اتقوا وآمنوا ...﴾.

٩٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد ..﴾ هذا الابتلاء اختبار لهم ليظهر المطيع من العاصى فحرم عليهم الصيد وهم حرم ثم ابتلاهم بوجوده بين أيديهم بكل يسر وسهوله كذلك بلاهم ربهم بما كانوا يفسقون بيد أن المسلمين استجابوا لربهم وامتثلوا أمره على خلاف بنى اسرائيل فإنهم عصوا وصادوا فمسخهم قردة خاسئين.

٩٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ إن النهى ينصب على قتل المحرم للصيد عمداً. وينص السياق على حكمة هذه الكفارة ﴿ليذوق وبال أمره﴾ ويعقب عليها بالعفو عما سلف والتهديد بانتقام الله ممن لايكف.

معانى الكلمات :

جُنَاحٌ : إثم وحرج.

طعِمُوا : شربوا وأكلوا المحرم.

لَيَبْلُوَنَّكُمُ : ليختبركم ويمتحنكم.

عَدْلُ ذَلِكَ : معادل الطعام ومقابله.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

٩٦) ﴿أُحلَّ لكُم صيدُ البحرِ...﴾ فأما صيد البحر فهو حلال فى الحل والإحرام ثم عاد وذكر جرمة صيد البر للمجرم ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما﴾ ثم يختم هذا التحليل وهذا التحريم بهذا التعقيب باستجاشة مشاعر التقوي في الضمير : ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾.

٩٧ ﴿جعل اللهُ الكعبة البيت الحرام ..﴾ هى منطقة الأمان يقيمها الله للبشر فى زحمة الصراع.. إنها الكعبة البيت الحرام فيأمن الآتى إليه والداخل فى حرمه وكذا الشهر الحرام وهى أربعة أشهر القعدة والحجة ومحرم ورجب وكذا الهدى مايهدى إلى الحرم وكذا مايقلده الذاهب إلى الحرم، والقلائد تقوم مقام السلطان بين العرب فتحقق الأمن والرخاء فى ديارهم ﴿ذلك لتعلموا أنَّ الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾

٩٨) ﴿اعلموا أنَّ اللهَ شديدُ العقاب﴾ شديد العقاب لمن انتهك محارمه ولم يتب عن ذلك وأنه لمن تاب وأناب غفور رحيم.

٩٩ ﴿ما على الرسول إلاَّ البلاغُ﴾ ولقد فعل الرسول ﷺ مايجب عليه وقام بما أمره الله به.

١٠٠ ﴿قل لاَّ يستوي الخبيثُ والطَّيِّبُ ولو أعجبك كثرةُ الخبيث..﴾ والكثرة هنا خبث. وخبث الشئ يبطل فائدته، ويمحق بركته، ويذهب بمنفعته فاختاروا ﴿يا أولي الألباب﴾ صالح الأعمال.

سبب النزول : عن جابر قال: قال النبى ﷺ: «إن الله عز وجل حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن فى الأنساب إلا أن الخمر لعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها».

فقام أعرابى فقال : يارسول الله إنى كنت رجلاً كانت هذه تجارتى، فاعتقبت من بيع الخمر مالاً فهل ينفعنى ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله ؟ فقال له النبى ﷺ إن انفقته فى حج أو جهاد أو صدقه لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب فأنزل الله - سبحانه - تصديقا لقوله هذه الآية.

١٠١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ ويتجه السياق من هذه الآية إلى شئ من تربية الجماعة المسلمة وتوجيهها إلى الأدب الواجب مع رسول الله ﷺ اى لاتسألوا عن أشياء عفا الله عنها وترك فرضها أو تفصيلها ليكون فى الإجمال سعة.

سبب النزول : عن ابن عباس قال : كان قوم يسألون النبى ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبى؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتى؟ فأنزل الله تعالى الآية.

١٠٢ ﴿قد سألها قومٌ من قبلكم ..﴾ سألوا عن مثلها فى كونها مما لاحاجة إليه ولاتوجيه الضرورة الدينية. ثم لما كُلفوا لم يعملوا بها.

١٠٣ ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ..﴾ وهى عادات جاهلية وأن الله لم يشرع هذه الطقوس... فمن الذى شرعها إذن لهؤلاء الكفار. الناقة : البحيرة تشق أذنها، والسائبة تُسيب والوصيلة أول إنتاجها أنثى والحام الجمل يحمى ظهره للآلهة !!!

معاني الكلمات :

للسيارة : للمسافرين.

سائبة : الناقة تُسيب للأصنام.

وصيلة : الناقة تترك للطواغيت إذا بكرت بأنثى ثم ثنت بأنثى.

حام : الفحل لايركب ولايحمل عليه.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ..﴾ أى أنهم إذا دعوا للأخذ بما أنزل أو دعوا لمقابلة الرسول قالوا كفانا ما كان عليه آباؤنا، أكفاهم ولو كان آباؤهم جهلاء ضالين.

١٠٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ أى الزموا أنفسكم أو احفظوها ﴿لا يضركم﴾ لايضركم ضلال من ضل من الناس إذا اهتديتم للحق ﴿إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ والوعد لمن أطاع الله والوعيد لمن عصاه وينتهى إلى دعوة الجميع إلى تقوى الله ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾.

١٠٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ..﴾ أى حضرته علامات الموت وأراد أن يوصى فى ماله فعليكم بالإشهاد فى الوصية فانتخبوا لذلك شاهدين من أقاربكم ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾ وإن كنتم على سفر فيصح أن يكونا من غير أقاربكم ﴿أو آخران من غيركم﴾ وذلك فى حالة السفر ﴿إن أنتم ضربتم فى الأرض﴾ وإن ارتبتم فى شهادتهما فقفوهما بعد الصلاة فيقسمان لكم قائلين: لانستبدل بالقسم عرضا من الدنيا ولانكتم شهادة الله ﴿إنا إذا لمن الآثمين﴾.

١٠٧ ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما ..﴾ فليقم شاهدان آخران مقامهما ﴿من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ أى: من أقرب الناس إلى الميت ﴿فيقسمان بالله﴾ على أن شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿وما اعتدينا﴾ أى: ما حلفنا هذا زورا عليهما.

١٠٨ ﴿ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ..﴾ هذا أقرب أن يأتوا بالشهادة على صحتها أو يخشوا أن ترد اليمين على المدعين بعد إيمانهم فيفتضحوا لظهور الخيانة واليمين الكاذبة.

معانى الكلمات :

حسبنا : كافينا.

عليكم أنفسكم : الزموها واحفظوها من المعاصى.

الدرس التاسع

تصحيح وتقويم

من الآية ١٠٩ / ١٢٠

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) ﴾

١٠٩ ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ إنه الاستجواب المرهوب فى يوم الحشر العظيم ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ فيعلنون أن العلم الحق لله ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾

١١٠ ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ..﴾ وهنا يلتفت الخطاب إلى عيسى بن مريم -على الملأ ممن ألهوه وعبدوه وصاغوا حوله وحول أمه -مريم - التهاويل !! إنها المواجهة بما كان من نعم الله على عيسى ابن مريم وأمه فيقول سبحانه وتعالى يا عيسى بن مريم تذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ قويتك وشددت أزرك بجبريل عليه السلام، تكلم الناس وأنت فى المهد فى حالة الطفولة. وتكلمهم فى حالة الكهولة كذلك وتذكر إذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، و (الآية) فقال كفارهم ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ .

١١١ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أوحيت على لسانك أن يؤمنوا بى وبك ياعيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ أى منقادون مطيعون .

١١٢ ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ..﴾ سألوه أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء مما يدل على شك فى نفوسهم وعدم يقين فى قدرة ربهم. قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ويكشف هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى المستخلصين منهم وهم الحواريين بينهم وبين أصحاب رسولنا -صلى الله عليه وسلم - فرق بعيد فهم آمنوا بعيسى بعدما رأوا الخوارق وأما أصحاب رسول الله محمد ﷺ فلم يطلبوا خارقة واحدة بعد إسلامهم. ذلك مستوى وهذا مستوى .

١١٣ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ كان معه جمع كبير ولم يجدوا طعامًا يكفيهم ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فى نبوتك ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ممن لم يحضرها من بنى إسرائيل أرض سائر الناس.

معانى الكلمات :

بِرُوحِ الْقُدُسِ : جبريل عليه السلام.

الأَكْمَهَ : الأعمى خلقة.

الْحَوَارِيِّينَ : أنصارعيسى عليه السلام وخواصه.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٤ ﴿قالَ عيسى ابنُ مريمَ اللّهُمَّ ربَّنا﴾ وهذا قول عيسى ابن مريم عليه السلام - ضارعاً - إليه.

١١٥ ﴿قالَ اللّهُ إنِّي مُنزِّلُها عليكُمْ﴾ فأجابه ربه -تعالى- قائلا: ﴿إنِّي مُنزِّلُها عليكُمْ﴾ وحقا أنزلها فمن ينكر توحيدى أو رسالة رسولى أو عظيم قدرتى ﴿فإنِّي أُعذِّبُهُ عذابًا لا أُعذِّبُهُ أحدًا منَ العالَمين﴾

١١٦ إلى ١١٩ ﴿وإذْ قالَ اللّهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قُلْتَ للنّاسِ﴾ ويمضى السياق إلى القضية الأساسية... قضية الألوهية والربوبية... وهى القضية الواضحة فى الدرس كله ويجئ فى السياق فى صورة استجواب مباشر ﴿أأنتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخِذُوني وأُمّيَ إلهيْنِ من دُونِ اللّهِ﴾ وبعد هذا الاستجواب الطويل... يأتى الدفاع يبدأ بالتسبيح والتنزيه ﴿قالَ سُبْحانَكَ﴾ ويسرع إلى التبرؤ المطلق ﴿ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بحَقٍّ﴾ ويستشهد بذات الله على براءته ﴿إن كُنتُ قُلْتُهُ فقدْ علِمْتَهُ﴾ ثم يجرؤ على الإثبات والتقرير ﴿ما قُلْتُ لهُمْ إلاّ ما أمرْتَني بهِ﴾ ثم يخلى يده منهم بعد وفاته ﴿وكُنتُ عليْهِمْ شهيدًا ما دُمْتُ فيهِمْ فلمّا توفَّيْتَني كُنتَ أنتَ الرّقيبَ عليْهِمْ وأنتَ على كُلِّ شيْءٍ شهيدٌ﴾ وينتهى إلى التفويض المطلق فى أمرهم ﴿إن تُعذِّبْهُمْ فإنّهُمْ عبادُكَ وإن تغْفِرْ لهُمْ فإنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ﴾ عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: «إنكم محشورون، وإن ناسًا يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وكُنتُ عليْهِمْ شهيدًا ما دُمْتُ فيهِمْ فلمّا توفَّيْتَني كُنتَ أنتَ الرّقيبَ عليْهِمْ وأنتَ على كُلِّ شيْءٍ شهيدٌ * إن تُعذِّبْهُمْ فإنّهُمْ عبادُكَ وإن تغْفِرْ لهُمْ فإنّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ﴾ [فتح البارى ٤٦٢٦] ونشهد ختام الموقف ﴿قالَ اللّهُ هذا يوْمُ ينفَعُ الصّادقينَ صدْقُهُمْ لهُمْ جنّاتٌ تجْري من تحْتها الأنْهارُ..﴾ الآية. إنها كلمة رب العالمين ومعها الجزاء الذى يليق بالصدق والصادقين درجات بعد درجات الجنات والخلود ورضا الله ورضاهم ﴿رَضيَ اللّهُ عنْهُمْ ورضُوا عنْهُ﴾ بما لقوا من ربهم من التكريم: ﴿ذلكَ الفوْزُ العظيمُ﴾ ويجئ نهاية الدرس، يجئ الإيقاع الأخير فى السورة يعلن تفرد الله -سبحانه- بملك السموات والأرض:

١٢٠ ﴿للّهِ مُلْكُ السّمواتِ والأرْضِ وما فيهِنَّ﴾ وقدرته سبحانه على كل شئ بلا حدود ﴿وهُوَ على كُلِّ شيْءٍ قديرٌ﴾ إنه المالك الذى لـه ملك السموات والأرض ومن فيهن، والمالك هو الذى يحكم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

معانى الكلمات:

سُبْحانَكَ: تنزيها لك.

عيدًا: سرورًا وفرحًا.

توفَّيْتَني: أخذتنى إليك وافيا برفعى إلى السماء حيًا.




سورة
الأنعام



سورة الأنعام

مكية : وآياتها ١٦٥ آية

(مدة الحفظ : ٢٠ يومًا)

هذه السورة

سورة الأنعام: هى السورة المكية الأولى فى السبع الطوال التى بدأ بها المصحف الشريف. وظاهر أن السورة الكريمة نزلت فى ذروة المعركة المحتدمة بين الحق والباطل. والمشهور من أقوال العلماء أنها - نزلت على طولها - جملة واحدة. وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت علىَّ سورة الأنعام جملة واحدة يُشيِّعُها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد»[1] والسورة نزلت فى نفس واحد واحتفّ لنزولها عشرات الألوف من الملائكة. ووعاها الرسول كلها ساعة نزلت فقد كان ذهنه ألمع من البرق ! وكانت ذاكرته أدق من الأشرطة التى تتم عليها التسجيلات اليوم. فلما استوعبها استدعى الحفظة والكتبة وأملى عليهم ماجاء من عند الله. . . !! وتمتاز سورة الأنعام بخاصيتين شاعتا فيها هما: كثرة التقرير والتلقينات لاستنقاذ العقل العربى مما تردّى فيه.

والتقرير: إرسال حكم واضح محدد فى شأن من شئون الألوهية ونلحظ ذلك عند أول آية تقرؤها ﴿الْحَمْدُ للَّه الَّذى خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَات وَالنُّورَ . . .﴾ وتقرير الحمد لله فى الأولى والآخرة يتبعه تقرير آخر ﴿هُوَ الَّذى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ اللَّهُ فِى السَّمَوَاتِ وَفِى الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

ومن ثم أيضا نجد التلقينات المتابعة فى هذه السورة والتى يقول الله فيها لنبيه وهو يجادل المشركين: قل لهم كذا قل لهم كذا.

ربما تكرر هذا اللفظ مرتين فى آية واحدة: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّه كَتَبَ

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير ١/ ١٤٥، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٤٤، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/ ٢٠ وقال رواه الطبرانى فى الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف.

﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وربما تكرر أربع مرات فى آية واحدة مثل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أرأيت كلمة قل يسعف الله بها نبيه ليردّ على مخالفيه ؟ لقد تكررت هذه الكلمة فى سورة الأنعام أربعًا وأربعين مرة. . . !! ويقول صاحب المنار: «وقال الإمام الرازى فى أول تفسير لهذه السورة قال الأصوليون: وعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكه سّد مابين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والأرض بهم ترتج» ورسول الله يقول: «سبحان الله العظيم. . . سبحان الله العظيم. . . »[1].

هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة - **أحدهما:** أنها نزلت دفعة واحدة. **والثاني:** أنها شيعها سبعون ألفًا من الملائكة. إن ركن المناسبة الأعظم بين سورتى المائدة والأنعام أن المائدة معظمها فى محاجّة أهل الكتاب، والأنعام معظمها بل كلها فى محاجّة المشركين.

هذه السورة فى جملتها تعرض (حقيقة الألوهية) تعرضها فى مجال الكون والحياة وفى مجال النفس والضمير وفى مجاهيل هذا الكون المشهود، وفى مجاهل ذلك الغيب المكنون، وفى مشاهد الفطرة وهى تواجه الكون، وتواجه الأحداث وتواجه النعماء والضراء. . كما تعرضها فى مظاهر القدرة الإلهية والهيمنة فى حياة البشر الظاهرة والمستكنة وفى أحوالهم المتوقعة وفى مشاهد القيامة. إن موضوعها الذى تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو (موضوع العقيدة) تعالجها بتعريف العباد برب العباد ويكاد اتجاه السورة كله يمضى إلى هدف محدد من أولها إلى آخرها.

* تبدأ السورة بمواجهة المشركين، الذين يتخذون مع الله آلهة أخرى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

* ثم تبدأ الموجة التالية تعرض موقف المكذبين بآيات الله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٦٤٤٧)، والبيهقى فى الشعب ٢/ ٤٧٠، وابن مردويه فى تفسيره، كما فى تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٣.

* وتبـدأ الموجه الثـالثة فى التـعريف بحـقيـقة الألوهيـة: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ .

* وتبدأ الموجة الرابعة تتحدث عن معـرفة أهل الكتاب لهذا الكتاب الجديد: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ..﴾ .

* وتبدأ الموجة الخامسة بالتسلية والتسرية عن رسول الله ﷺ لما يحزنه من تكذيبهم له ولما جاء به من عند الله ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ .

وهكذا يمضى سيـاق السـورة موجة إثر موجـة على هذا النسق الذى عرضنا من نماذج لعلها تصور طبيـعة السورة، كما تصور موضوعهـا، وهى تبلغ فى بعض موجاتها ذروة أعلى من ذرى هذه الموجات التى استعرضناها، كمـا أن تدفقها فى بعض المسـالك أشد جيشاناً وأعلى إيقاعا.

إن تقريـر حقيـقة الألوهيـة وتعريف الناس بربـهم وتعبيـدهم له وحده، هـو الموضوع الأساسى للسورة والمواقف فيها شتى:

* فى موقف الإشهاد والمفاصلة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ..﴾ .

* وفى مـوقف التهـديد: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ..﴾ ،

* وفى موقف إحاطة الله بالغيوب والأسرار: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾

* وفى موقف شهادة الفطرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً..﴾

* وفى موقف الحياة النابضة: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾

* وفى موقف الابتهال والإنابة: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

كما أن السياق يعرض المشاهد والمواقف منوعة، ولكنها تلتقى فى ظاهرة واحدة كأنه يأخذ السامع ليقفه أمام المشهد ليتملاه وأمام الموقف ليتدبره:

* ففى مشهد القيامة ومشاهد الاحتضار: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾.

* وفى مواقف التهديد ببطش الله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾.

* وفى تمثيل حال الضـلال بعد الهدى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾

* وفى مشـهدالثـمار اليـانعة: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

* وفى مواقف الإشهاد: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ .

الدرس الأول

حقيقة العقيدة ... وحقيقة العناد والمكابرة

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾.

إلى الآية رقم (١١) قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ ... ﴾.

مدة الحفظ (يوم واحد)

* حول الدرس الأول نجد اللمسات العريضة الكبيرة والإيقاعات المديدة فى مطلع السورة وهى ترسم القاعدة الكلية لموضوع السورة ولحقيقة العقيدة. وهى ثلاث آيات بثلاث لمسات:

فاللمسة الأولى: تبدأ بالحمد لله، ثناء عليه، وتسبيحاً له ﴿الحمدُ لله الذى خلق السَّموات والأرض...﴾.

واللمسة الثانية: لمسة الوجود الإنسانى التالى فى وجوده للوجودالكونى. ﴿هُو الَّذى خلقكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قضىٰ أجلاً وأجلٌ مُّسمًّى عندهُ﴾.

واللمسة الثالثة: تضم اللمستين فى إطار واحد وتقرر ألوهية الله فى الكون والحياة الإنسانية سواء: ﴿وهو اللَّهُ فِى السَّموات وفِى الأرضِ يعلمُ سرَّكُمْ وجهرَكُمْ ويعلمُ ما تكسبُون﴾ إن هذه الموجة العريضة فى مطلع السورة إنما تخاطب القلب البشرى والعقل البشرى ولاتخاطب الإدراك البشرى خطاباً جدلياً لاهوتيًا أو فلسفيًا.

* ومن الآية الرابعة يعرض السياق موقف المشركين الذين يعارضون الدعوة الإسلامية فى ظل هذا الوجود الغامر الباهر القاهر فيبدو الموقف منكراً قبيحاً ويعرض هنا صورة العناد والمكابرة، ويواجهها بالتهديد مرة، وبتوجيه القلوب إلى مصارع المكذبين من قبل مرة، ويحشد فيها عدة مؤثرات وموحيات بعد الهزة الأولى التى مضت بها تلك الموجة العريضة. وتنتهى هذه الموجة بعرض ماوقع للمستهزئين بالرسل. ودعوة المكذبين إلى تدبر مصارع أسلافهم والسير فى الأرض لرؤية هذه المصارع، الناطقة بسنة الله فى المستهزئين المكذبين.

﴿ولقد استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قبلكَ فحاقَ بالَّذين سخرُوا منهُم ما كانُوا به يستهزءُون * قُل سيرُوا فى الأرضِ ثُمَّ انظرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ المُكذِّبين﴾ لقد كانوا يسيرون فى الأرض ويتنقلون فى أرجائها للتجارة والعيش، أما أن يسيرون وفق منهج معرفى تربوى... فهذا كان جديداً عليهم.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٨) إلى صفحة رقم (١٣٩)

الدرس الثانى

(حقيقة الألوهية)

من الآية رقم: (١٢) قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ . . . ﴾ .

إلى الآية رقم: (١٩) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ . . . ﴾ .

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذه الموجة الجديدة ذات المد العالى والإيقاع الرهيب تستهدف كذلك إبراز حقيقة الألوهية، ممثلة فى:

* الملك والفاعلية
* الرزق والكفالة
* القدرة والقهر
* النفع والضر . . . .

كل ذلك لا لمجرد التقرير اللاهوتى أو الفلسفى النظرى السلبى، ولكن لتقرير مقتضيات هذه الحقائق من توحيد الولاية والتوجيه، وتوحيد الاستسلام والعبودية واعتبار الولاية والتوجه مظهر الاستسلام والعبودية . . ويصاحب عرض حقيقة الألوهية جملة مؤثرات قوية تخلخل القلوب . .

* تبدأ بعرض حقيقة الملكية لكل شئ. ﴿وله ما سكن فى الليل والنهار . .﴾ .

* وحقيقة أن الله هو الذى يطعم ولايطعم. ﴿قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم . .﴾ .

* وعرض العذاب الرهيب الذى يعد مجرد صرفه رحمة من الله وفوزاً عظيما. ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين﴾

* وعرض القدرة على الضر والخير. ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾ .

* وعرض الاستعلاء والقهر ومعها الحكمة والخبرة ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾

* ثم الإيقاع الرهيب المزلزل المتمثل فى الأمر الهائل: قل . . . قل . . .

فإذا تم هذا العرض بكل مؤثراته العميقة جاء الختام بالإيقاع العالى المجلجل إيقاع الإشهاد على التوحيد وإنكار الشرك والمفاصله الحاسمة مصحوباً كذلك بالأمر العلوى فى كل فاصله: ﴿قل أي شيء أكبرُ شهادة﴾ ﴿قل اللهُ﴾ ﴿قل لا أشهدُ﴾ ﴿قل إنما هو إله واحد﴾ مما يضفى على الجو كل رهبة غامرة ويضفى على الأمر كله طابعًا مرهوبًا .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٣٩) إلى صفحة رقم (١٤٠)

الدرس الثالث

(المواجهة بيوم البعث)

من الآية رقم: (٢٠) قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ ... ﴾.

إلى الآية رقم: (٣٢) قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. ﴾.

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذه الجولة - أو هذه الموجة - عودة إلى مواجهة المشركين المكذبين بالقرآن الكريم، المكذبين بالبعث والآخرة... ولكنها لاتواجههم بتصوير تعنتهم وعنادهم، ولاتواجههم بمصارع الغابرين من المكذبين من أسلافهم -كما سبق في سياق السورة. وإنما تواجههم بمصيرهم في يوم البعث الذى يكذبون به ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾.

مشهد وراء مشهد وكل مشهد يزلزل القلوب ويخلخل المفاصل ويهز الكيان ويفتح العين والقلب عند من يشاء الله أن يفتح قلبه وعينه ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا..﴾ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق﴾ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ إن هذا الحق الذى يواجههم به رسول الله ﷺ والكتاب الذى يكذبون به هو.. هو.. هذا الكتاب الذى يعرفه الذين أوتوا الكتاب من قبلهم كما يعرفون أبناءهم.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٠) إلى صفحة رقم (١٤١)

الدرس الرابع

(الحديث إلى رسول الله ﷺ)

من الآية رقم: (٣٣) قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ .. ﴾.

إلى الآية رقم: (٣٩) قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ .. ﴾.

مدة الحفظ (يوم واحد)

هنا يتجه الحديث إلى رسول الله ﷺ يطيّب الله - سبحانه وتعالى - خاطره فى أوله، مما يلاقيه من تكذيب قومه له وهو الصادق الأمين فإنهم لا يظنون به الكذب ﴿فإنَّهُمْ لا يُكذِّبُونكَ ..﴾ إنما مصرون على الجحود بآيات الله وعدم الاعتراف بها وعدم الإيمان لأمر آخر غير ظنهم به الكذب! ﴿.. فإنَّهُمْ لا يُكذِّبُونكَ ولكنَّ الظَّالمينَ بآيات اللَّه يجْحدُون﴾.

* كما يواسيه بما وقع لإخوانه الرسل قبله من التكذيب والأذى، وما وقع منهم من الصبر والاحتمال ثم ما انتهى اليه أمرهم من نصر الله لهم. ﴿ولَقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مّن قبلك فصبرُوا علىٰ ما كُذِّبُوا وأُوذُوا حتَّىٰ أتاهُمْ نصْرُنا ..﴾.

* ثم يلتفت إلى النبىﷺ يقرر له الحقيقة الكبرى فى شأن الدعوة... إنها تجرى بقدر الله وفق سنته وليس للداعية بها إلا التبليغ والبيان لا يستعجل خطوة ولا يقترح على الله شيئا ﴿وإن كان كبُر عليْك إعْراضُهُمْ فإن استطعْت أن تبْتغي نفقًا في الأرْضِ أوْ سُلَّمًا في السَّماء فتأتيهُم بآية ..﴾

وأيضا لا يستمع إلى مقترحات المكذبين. ﴿وقالُوا لوْلا نُزِّل عليْه آيةٌ مّن رَّبّه ..﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤١) إلى صفحة رقم (١٤٢)

الدرس الخامس

(المواجهة)

(مواجهة فطرة المشركين ببأس الله)

من الآية رقم: (٤٠) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ .. ﴾.

إلى الآية رقم: (٥٥) قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

مدة الحفظ (يومان)

المواجهة هنا مع فطرتهم حين تواجه بأس الله، حين تتعرى من الركام في مواجهة الهول، وحين يهزها الهول فيتساقط عنها ذلك الركام! وتنسى حكاية الآلهة الزائفة وتتجه من فورها إلى ربها الذى تعرفه وتسأله الخلاص والنجاة. ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

إنها مواجهة الفطرة بتصور هول عذاب الله فى الدنيا أو مجئ الساعة على غير انتظار. وهو يسألهم ويطلب الجواب بالصدق من ألسنتهم ثم يبادر فيقرر الجواب الصادق ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

إن الهول يعرى فطرتهم فتتجه بطلب النجاة إلى الله وحده وتنسى أنها أشركت به أحداً. والمواجهة ببأس الله نموذج من الواقع التاريخى وكيف تكون عاقبة تعرضهم له فإذا نسوا ما ذكروا به كانت فطرتهم قد فسدت الفساد الذى لا يرجى معه صلاح ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾

ثم يأخذ السياق القرآنى المشركين بالله أمام بأس الله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾

وحين تبلغ الموجه أقصى مدها لعرض المشاهد المتوالية ثم يكون بعد ذلك أمر الناس ما يكون ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثم تبين الآيات بعد ذلك في مواجهة المشركين بحقيقة الرسالة -وطبيعة الرسول- بمناسبة طلبهم للخوارق ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك﴾ .

وبعد هذا البيان لحقيقة الرسالة وحقيقة الرسول -يقدم القرآن عقيدته للناس مجردة من كل إغراء خارج طبيعتها وعليه إنذار الذين تتحرك ضمائرهم من خشية الآخرة ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ .

وفي ثنايا الإفصاح عن هذه الحقائق يعرض السياق جوانب من حقيقة الألوهية وعلاقة الرسول بها ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ .

والله كتب على نفسه الرحمة متمثلة في التوبة على عباده والمغفرة لما يرتكبونه من المعاصي ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٢) إلى صفحة رقم (١٤٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
آيات الحفظ	من	٤٠	٥٠
	إلى	٤٩	٥٥

الدرس السادس

(عودة إلى حقيقة الألوهية)

من الآية رقم: (٥٦) قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ..﴾.

إلى الآية رقم: (٧٣) قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن ..﴾.

مدة الحفظ (يومان)

هذه الموجة عودة إلى (حقيقة الألوهية) بعد بيان (حقيقة الرسالة وحقيقة الرسول) وحقيقة الألوهية فى هذه الموجة تتجلى فى مجالات شتى نجملها هنا - قبل تفصيلها فى استعراض النصوص القرآنية:

* تتجلى فى قلب رسول الله ﷺ وهو يجد فى نفسه بينة من ربه هو منها على يقين لا يزعزعه تكذيب المكذبين. ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

* وتتجلى فى حلم الله على المكذبين وعدم استجابته لاقتراحهم ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ..﴾.

* وتتجلى فى علم الله بالغيب وإحاطة هذا العلم بكل مايقع فى هذا الوجود ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

* وتتجلى هيمنة الله على الناس وقهره للعباد فى كل حالة من حالاتهم ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ..﴾

* وتتجلى فى فطرة المكذبين أنفسهم حين يواجهون الهول فلا يدعون إلا الله لرفعه عنهم ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

ثم بعد ذلك تبدأ جولة المفاصلة بين النبى ﷺ وقومه الذين كذبوه بما جاء به - وهو الحق ومن ثم انفصل مابينه وبين قومه وانبتّ.

* وأمر أن يفاصلهم فيعلن إليهم أنه ليس عليهم بوكيل ﴿وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾.

* وأن يتركهم لمصيرهم الذى لابد آت ﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾

* وأمر أن يعرض عنهم فلا يجالسهم متى رآهم يخوضون في الدين ويتخذونه لعباً ولهواً ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . . ﴾.

* وأمر أن يذكرهم ويحذرهم ويبلغهم وينذرهم على أنه وإياهم فريقان مختلفان ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا . . ﴾ فلا قوم ولاجنس ولا عشيرة ولا أهل فى الإسلام . . . إنما هو الدين الذى يربط بين الناس أو يفصم.

وإنما هى العقيدة التى تجمع بين الناس أوتفرق . وحين يوجد أساس الدين توجد تلك الروابط الأخرى. وحين تنفصم هذه العروة تفصم الروابط والصلات.

ثم يجئ ايقاع لعرض حقيقة الألوهية وخصائصها وباستنكار الشرك والعودة إليه بعد الهدى وبمشهد الذى يرجع القهقرى مرتداً عن دين الله وحيرته فى التيه بلا اتجاه ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا . . ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٤) إلى صفحة رقم (١٤٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٦	٦٥
	إلى	٦٤	٧٣

الدرس السابع

(موكب الإيمان)

من الآية رقم: (٧٤) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً..﴾.

إلى الآية رقم: (٩٤) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ..﴾.

مدة الحفظ (يومان)

هذا الدرس يعالج الموضوع الأساسى فى السورة - وهو بناء العقيدة على قاعدة من التعريف الشامل بحقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية، وما بينهما من ارتباطات.

والدرس فى جملته -يعرض موكب الإيمان الموصول منذ نوح -عليه السلام - إلى محمد ﷺ وفى مطلع هذا الموكب يستعرض حقيقة الألوهية -كما تتجلى فى فطرة عبد من عباد الله الصالحين - إبراهيم - (عليه السلام) ويرسم مشهداً رائعا حقا للفطرة السليمة وهى تبحث عن إلهها الحق.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي..﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ..﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَا أَكْبَرُ ..﴾.

﴿.. قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

ثم يمضى السياق مع موكب الإيمان الموصول، يقوده الرهط الكريم من رسل الله على توالى العصور، حيث يبدو شرك المشركين وتكذيب المكذبين لغوا لاوزن له يتناثر على جانبى الموكب الكريم. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾

وينتهى الدرس الطويل المتلاحم الفقرات باستنكار الافتراء ممن يفترى على الله وادعاء من يزعم أنه يوحى إليه من الله وادعاء القدرة على تنزيل مثل ما أنزل الله.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ..﴾

وفى الختام يجئ الاحتضار - المكروب للمشركين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ

الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾.

وهو مشهد كئيب مكروب، رعيب، يجلله الهوان ويصاحبه التنديد والتأنيب. جزاء الاستكبار والإعراض والافتراء والتكذيب.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٤٧) إلى صفحة رقم (١٤٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٧٤	٨٤
	إلى	٨٣	٩٤

الدرس الثامن

(كتاب الكون المفتوح)

من الآية رقم: (٩٥) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ..﴾

إلى الآية رقم: (١١٣) قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ..﴾

مدة الحفظ: (يومان)

نحن فى هذا الدرس أمام كتاب الكون المفتوح، الذى يمر به الغافلون فى كل لحظة فلا يقفون أمام خوارقه وآياته، ويمر به المطموسون فلا تتفتح عيونهم على عجائبه وبدائعه ... وها هو ذا النسق القرآنى العجيب يرتاد بنا هذا الوجود، كأنما نهبط اللحظة فيقفنا أمام معالمه العجيبة ويفتح أعيننا على مشاهده الباهرة، ويثير تطلعنا إلى بدائعه التى يمر عليها الغافلون.

وها هو ذا يقف بنا أمام دورة الفلك العجيبة، الدورة الهائلة، الدورة الدقيقة.. وهى خارقة لا يعدلها شئ مما يطلبه الناس من الخوارق وهى تتم فى كل يوم وليلة بل تتم فى كل ثانية ولحظة:

﴿فالقُ الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ..﴾

﴿وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ..﴾

﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾

وفى نهاية الدرس يكشف عن طبيعة المكذبين المعاندة، التى لاتتخلف عن الايمان لنقص فى الآيات والدلائل ولكن لطبع مطموس ! وإلا فهذه الآيات تزحم الوجود. ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (١٥٠) إلى صفحة رقم (١٥٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٩٥	١٠٦
	إلى	١٠٥	١١٣

الدرس التاسع

(قضية الحل والحرمة فى الذبائح)

من الآية رقم: (١١٤) قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا . . ﴾.

إلى الآية رقم: (١٢٧) قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ . . ﴾.

مدة الحفظ: (يومان)

الآن نجئ إلى القضية التى جعلت هذه المقدمات كلها قاعدة لها. . . . قضية الحل والحرمة فيما ذكر اسم الله عليه، ومالم يذكر اسم الله عليه - من الذبائح -.

إن السياق يبدأ بتقرير جهة الحاكمية فى أمر العباد كله تمهيداً لتقرير جهة الحاكمية فى التحليل والتحريم فى الذبائح. ﴿أفغير الله أبتغى حكمًا وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً . . ﴾.

إنه سؤال على لسان رسول الله ﷺ للاستنكار. . . ثم تفصيل لهذا الاستنكار ﴿وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾.

لقد نزل هذا الكتاب ليحكم بالعدل بين الناس فيما اختلفوا فيه. والذين أوتوا الكتاب من قبل يعلمون أن هذا الكتاب منزل من عند الله، وهم أعرف بالكتاب لأنهم من أهل الكتاب: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾.

وما يزالون يعلمون أن قوة هذا الدين إنما تنبثق من هذا الحق الذى يتلبس به ثم يلتفت السياق للرسول ﷺ وللمؤمنين يهون عليه وعليهم التكذيب: ﴿فلا تكونن من الممترين ﴾ وما شك رسول الله ولا امترى !!

ثم تجئ قصة الذبائح، مبنية على القاعدة الأساسية التى أقامها ذلك التمهيد الطويل: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه . . ﴾.

بعد ذلك يجئ شوط كامل عن طبيعة الكفر وطبيعة الإيمان وعن قدرة الله فى أن يجعل فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها فيتصل الشرط بموضوع التحريم والتحليل ﴿أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها . . ﴾ ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها . . ﴾

ثم يكشف السياق القرآني عن طبيعة الكبر في نفوس أعداء رسل الله ودينه ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله . .﴾

وفي النهاية تختم الجولة بتصوير حالة الهدى وحالة الإيمان في داخل القلوب والنفوس: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . .﴾

ويجئ التعقيب الأخير في هذا المقطع يربط هذه وتلك الرباط الأخير. ﴿وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون * لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾

هذا هو الصراط . . صراط ربك . . وقد فصل الله آياته وبينها، ولكن الذين يتذكرون ولاينسون ولايغفلون هم الذين ينتفعون بهذا البيان .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٢) إلى صفحة رقم (١٥٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
آيات الحفظ	من	١١٤	١٢٣
	إلى	١٢٢	١٢٧

الدرس العاشر

(بيان مصائر شياطين الإنس والجن)

من الآية رقم: (١٢٨) قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ..﴾.

إلى الآية رقم: (١٣٥) قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ..﴾.

مدة الحفظ: (يوم واحد)

هذا المقطع بجملته ليس منفصلاً عن الدرس السابق. إنما هو امتداد له فهو من ناحية استطراد فى قضيته الإيمان والكفر وربط هذه القضية بالحقائق الأساسية فى العقيدة الإسلامية:

*** ومنها حقيقة الجزاء فى الآخرة على الكسب فى الدنيا - بعد النذارة والبشارة:** ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا ..﴾.

*** وحقيقة سلطان الله القادر على الذهاب بالشياطين وأوليائهم وبالناس جميعا واستبدال غيرهم بهم** ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ ..﴾.

*** وحقيقة ضعف البشر جملة أمام بأس الله** ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾

ويبدأ السياق يعرض شياطين الإنس والجن فى عرض (مشاهد القيامة) الذين قضوا الحياة يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وخداعا وضلالاً.

ونحن نراهم فى كل زمان ومكان كتلة واحدة يساند بعضهم بعضا - على ما بينهم من خلافات وصراع على المصالح. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

ويعود السياق بسؤال للتقرير والتسجيل، والخطاب موجه إلى الجن كما هو موجه إلى الإنس: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ..﴾.

ثم يلتفت السياق بالخطاب إلى رسول الله ﷺ ومن ورائه المؤمنين وإلى الناس أجمعين ليعقب على هذا الحكم الصادر بجزاء الشياطين من الإنس والجن ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ

مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾

وبعد ذلك يقرر السياق حقيقة أخرى فى شأن الجزاء. . للمؤمنين والشياطين ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ .

ورحمته تتجلى - سبحانه وتعالى - فى الإبقاء على الجيل العاصى الظالم المشرك ﴿إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء. .﴾ .

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٤) إلى صفحة رقم (١٥٥)

الدرس الحادى عشر

(قضية التشريع والحاكمية)

من الآية رقم: (١٣٦) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ ..﴾.

إلى الآية رقم: (١٥٣) قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ...﴾.

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

إن طبيعة قضية التشريع والحاكمية هى قضية عقيدية وهى القضية الرئيسية وحتى نعيش فى ظلال السياق القرآنى بجملته فنجد هذه التصورات والمزاعم تتمثل فى:

*** تقسيمهم بما رزقهم الله من رزق. قسم يجعلونه لله وقسم يجعلونه لشركائهم** ﴿وجعلُوا للَّه ممَّا ذرأَ من الْحرْث والأنْعام نصيبًا فقالُوا هذا للَّه بزعْمهمْ وهذا لشُركائنا﴾

*** أنهم يجورون بعد ذلك على النصيب الذى قسموه لله.**

﴿فما كان لشُركائهمْ فلا يصلُ إلى اللَّه وما كان للَّه فهُو يصلُ إلىٰ شُركائهمْ..﴾

*** أنهم يقتلون أولادهم بتزيين من الشركاء (الكهان)** ﴿وكذلك زيَّن لكثيرٍ مّن الْمُشْركين قتْل أوْلادهمْ شُركاؤُهُمْ﴾.

*** وأنهم كانوا يحجزون بعض الأنعام وبعض الزروع فيزعمون أنها لا تطعم إلا بإذن خاص من الله.** ﴿وقالُوا هذه أنْعامٌ وحرْثٌ حجْرٌ لاَّ يطْعمُها إلاَّ من نَّشاءُ بزعْمهمْ ..﴾.

*** أنهم كانوا يسمون ما فى بطون بعض الأنعام من الحمل لذكورهم ويجعلونه محرماً على إناثهم** ﴿وقالُوا ما فى بُطُون هذه الأنْعام خالصةٌ لّذُكُورنا ومُحرَّمٌ علىٰ أزْواجنا وإن يكُن مّيْتةً فهُمْ فيه شُركاءُ..﴾.

هذه هى مجموعة التصورات والمزاعم والتقاليد التى كانت تصنع وجه المجتمع العربى فى الجاهلية.

وإن الإنسان ليعجب وهو يستعرض مع السياق القرآنى هذه الضلالات وما تحمله أصحابها من أعباء وخسائر وتضحيات: ﴿قدْ ضلُّوا وما كانُوا مُهْتدين﴾.

فيأتى السياق ليردهم إلى الحقيقة الأولية التى ضلوا عنها. إن الخالق الرازق هو الرب المالك الذى لايجوز أن يتصرف فى هذا المال إلا بإذنه. ليتخذ منها برهانًا على ضرورة

إقرار لله سبحانه بالحـاكمية فى حياة الناس. هو الحقيقة بأن تكون له الربـوبية والحاكمية والسلطان وحده.

ويتتبع السياق مكامن الأوهام الجاهلية فيكشف فيها عن السخف الذى لا يمكن تعليله ولا الدفاع عنه والذى قد يخجل منه صاحبه نفسه حين يكشف له النور.

وبعد أن يكشف لهم عـما فى معتـقداتهم وتصوراتهم وتصرفـاتهم من وهن وسخف وهزال فيقـررلهم ماحرمه عليـهم من هذا كله، فيذكر مـاحرمه الله على اليهـود خاصة وأحله للمسلمين فقد كان عقوبة خاصة لليهود على ظلمهم وبعدهم عن شرع الله .

ويصل السياق بعد ذلك إلى قـضية الجبر والاختيارفيـواجههم بهذا القول: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء..﴾ فهم يحـيلون هذا الشرك وهذا الادعاء إلى شرع الله.

فكيف واجه القرآن هذه المقولة ؟ ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا..﴾.

ثم يلقى إليهم بالمقرارت الإلهية التى تتضمن ماحرمه الله حقا: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا..﴾.

ويفصل بين هذا القسم وما يليه بإبراز وصـية الله وأمره وتوجيهه: ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٥) إلى صفحة رقم (١٥٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١٣٦	١٤١	١٤٧
	إلى	١٤٠	١٤٦	١٥٣

الدرس الثانى عشر

(كتاب موسى .. والكتاب الجديد المبارك)

من الآية رقم: (١٥٤) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا .. ﴾.

إلى الآية رقم: (١٦٥) قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾.

مدة الحفظ: (يومان)

يبدأ هذا المقطع الأخير فى هذا الشطر من السورة بالحديث عن كتاب موسى وذلك تكملة للحديث السابق ﴿وأنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ **للإيحاء بأن هذا الصراط ممتد من قبل فى رسالات الرسل - عليهم الصلاة والسلام وأقرب شريعة كانت هى شريعة موسى عليه السلام:** ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ..﴾.

ويستمر فيذكر الكتاب الجديد المبارك الملتحم بالكتاب الذى أنزل على موسى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ولقد نزل هذا الكتاب لحجة العرب كى لايقولوا: إنه لم يتنزل علينا كتاب كالذى تنزل على اليهود والنصارى. ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ..﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ..﴾.

لقد انقطعت المحجة بنزول هذا الكتاب ولكنهم مايزالون يشركون بالله، ولو جاءتهم الآيات التى يطلبون أو بعضها لكان فيها القضاء الأخير ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ..﴾.

وعند هذا الحد يفصل الله-سبحانه - بين نبيه ﷺ وسائر الملل المتفرقة التى لا تقوم على توحيد الله عقيدة وشريعة ويقرر أن أمرهم إليه سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وهنا يجئ الإيقاع الأخير وهو الإيقاع الأخير فى السورة فى تسبيحة ندية رخية،

حازمة كذلك حاسمة تلخص أعمق أعماق الحقائق العقيدية فى هذا الدين .

* التوحيد المطلق . * والعبودية المطلقة . * وجدية الآخرة .

* وفردية التبعة . * والابتلاء فى الدنيا .

* وسلطان الله المتمثل فى ربوبيته لكل شئ .

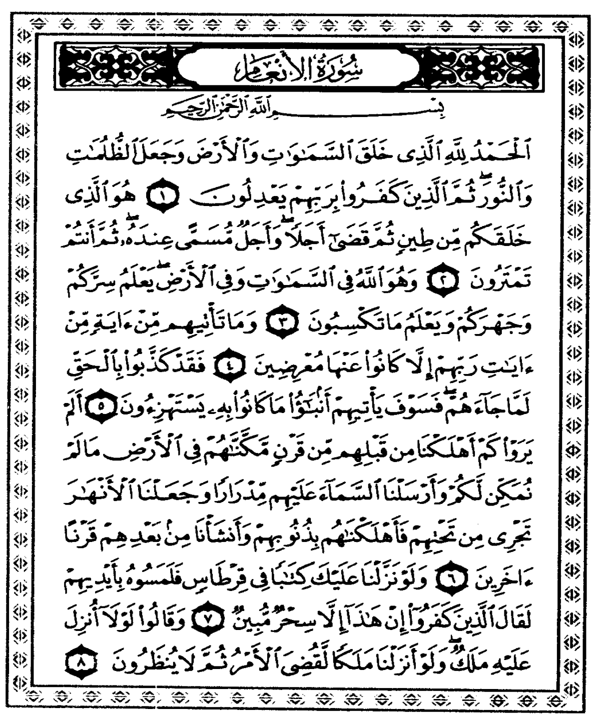
* وفى استخلافه للعباد فى ملكه .

وهى ترسم أيضا تلك التسبيحة المديدة صورة باهرة لحقيقة الألوهية وهى تتجلى فى أخلص قلب وأصفى قلب وأطهر قلب . قلب رسول الله ﷺ : ﴿قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٥٩) إلى صفحة رقم (١٦٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٥٤	١٥٩
	إلى	١٥٨	١٦٥



سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١) هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (٤) فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون (٥) ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٦) ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨)

الدرس الأول

(حقيقة العقيدة .. وحقيقة العناد والمكابرة)

من الآية رقم ١ / ١١

مدة الحفظ: (يومان)

الثـــلاث آيات الأولى هى لمســـات ترسم القاعدة الكلية لموضوع السورة وحقيقة العقيدة:

١ ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ **يخبر الله تعالى بأنه المستحق للحمد كله ويأمر عباده أن يحمدوه كأنما قال قولوا الحمد لله** ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ **فهو الذى أوجدهما وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات** ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ **وهما من أقوى عناصر الحياة. فالذين كفروا من الناس** ﴿بربهم يعدلون﴾ **يعدلون به أصناماً وأوثاناً يعبدونها معه ياللعجب !!**

٢ ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ **لأن آدم أباهم خلقه من طين ثم تناسلوا منه** ﴿ثم قضى أجلا﴾ **وهو عمره المحدد له** ﴿وأجل مسمى عنده﴾ **معروف له لايعرفه غيره** ﴿ثم أنتم تمترون﴾ **تشكون فى وجوب توحيده.**

٣ ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ **هو المعبود بحق لا إله غيره** ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ **من خير وشر** ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ **بجوار حكم يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ومن هنا يبدأ السياق فى صورة العناد والمكابرة.**

٤ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ **إلا قابلوها بالإعراض التام وعدم الالتفات إلى ما تحلمه** ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ **والسبب فى ذلك: . . .**

٥ ﴿فقد كذبوا بالحق لما جاءهم﴾ **وهو الرسول وما معه من الهدى، وبناء على ذلك** ﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون﴾ .

٦ ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ **ألم يروا مصارع الأجيال الغابرة، وقد مكنهم الله فى الأرض. . . ثم ماذا ؟ ثم عصوا ربهم. وهى حقيقة ينساها البشر حين يمكن لهم فى الأرض فينحرفون عن عهد الله وتبين الآية حقيقة أن الذنوب تهلك أصحابها** ﴿فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ **وكان ذلك علينا يسيرا.**

٧ - ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ **ويمضى السياق يصور طبيعة العناد وهى صورة صفيقة، منكرة، تثير الاشمئزاز. . .**

سبب النزول: **قال الكلبى إن مشركى مكة قالوا: يا محمد والله لانؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله (فنزلت هذه الآية).**

٨ - ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ **وهو نموذج من اقتراحات المشركين ويرد الله سبحانه وتعالى:** ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ **أى أنهم لو كذبوه لأهلكهم** ﴿ثم لا ينظرون﴾ **أى لايمهلون ولو ساعة ليتوبوا أو يعتذروا.**

معانى الكلمات:

يعدلون: **يسوون به غيره فى العبادة.**

مدرارا: غزيراً كثير الصب .

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩ ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ وهكذا يكشف الله -سبحانه- جهلهم بطبيعة خلائقه ﴿وللبسنا عليهم﴾ خلطنا وشبهنا مايخلطون لأن الملائكه لاتمشي بين الناس.

١٠ ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ وهنا يعرض ماوقع للمستهزئين بالرسل ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾.

١١ ﴿قل سيروا في الأرض ..﴾ لقد كانوا يسيرون فى الأرض ويتنقلون فى أرجائها للتجارة والعيش أما أن يسيروا وفق منهج معرفى تربوي.. فهذا كان جديداً عليهم ﴿سيروا﴾ جنوباً لتقفوا على ديار عاد أو شمالاً لتقفوا على ديار ثمود أو غرباً لتقفوا على بحيرة لوط فتعرفوا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾.

الدرس الثانى

(حقيقة الألوهية)

مدة الحفظ: (يوم واحد)

من الآية رقم ١٢ / ١٩

١٢ ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ إنه موقف المواجهة للبيان والتقرير، ثم المفاصلة ﴿قل لله﴾ أى هو الله ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ قضى الله بها وأوجبها على نفسه ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ أى الكائن الآتى ﴿لا ريب فيه﴾ أى لاريب ولاشك فى هذا اليوم.

١٣ ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ وهنا يستقصى الخلائق فى الزمان كما استقصاها فى الآية السابقة فى المكان فهو رب كل شئ والمالك لكل شئ ﴿وهو السميع العليم﴾ وتنتهى بالتعقيب بصفتى السمع والعلم يفيد الإحاطة بهذه الخلائق وكل ما يقال عنها كذلك من مقولات المشركين الذين يواجههم هذا النص.

سبب النزول: عن ابن عباس: إن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ماتدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا فى أموالنا حتى تكون أغنانا رجلاً وترجع عما أنت عليه (فنزلت هذه الآية).

١٤ ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ وقضيته اتخاذ الله وحده ولياً هى قضية العقيدة فى صميمها. انه منطق الفطرة القوى العميق ﴿فاطر السموات والأرض﴾ وهذه صفاته سبحانه. وهو سبحانه يطعم غيره ولايطعم لغناه المطلق، ان هذا لن يكون أبداً، أى منطق يسمح بأن يتخذ غير الله وليا ؟؟

١٥ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي ..﴾ أخاف عذاب يوم القيامة، إنه عذاب أليم لايطاق.

١٦ ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه﴾ أى أدخله الجنة وأنجاه من النار.

١٧ ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ أى ينزل الله بك ضرراً من فقر أو مرض ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أى لا قادر على رفعه غيره ﴿وإن يمسسك بخير﴾ من رخاء أوعافية ﴿فهو على كل شيء قدير﴾.

١٨ ﴿وهو القاهر فوق عباده ..﴾ الغالب بفوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة.

معانى الكلمات:

وللبسنا عليهم: لخلطنا وأشكلنا عليهم

فحاق: أحاط وأنزل.

ما سكن: ما استقر وما حل.

فاطر: مبدع ومخترع.

من أسلم: خضع لله.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)

١٩ ﴿قُل أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً﴾ وهنا موقف الإشهاد والإنذار والمفاصلة والتبرؤ من المشاركة فى الشرك، ويؤمر كذلك بالجواب ﴿قُلِ اللّه﴾ نعم ! فالله -سبحانه وتعالى- هو أكبر شهادة. أعلن أيضاً أنه -سبحانه- ﴿شهيد بيني وبينكم﴾ فإذا تقرر المبدأ: مبدأ تحكيم الله سبحانه فى القضية أعلن إليهم أن شهادة الله تضمنها هذا القرآن وينذر به كل من يبلغه فى حياته ﷺ أو من بعد ﴿وأُوحي إليَّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ﴾ فكل ما بلغه هذا القرآن بلغة يفهمها قامت الحجة به وبلغه الإنذار. ﴿أئنكم لتشهدون أنَّ مع اللّه آلهة أُخرى﴾ فيؤمر ويجيب ﴿قُل لاَ أشهدُ﴾ ويكمل الاجابه ﴿قُل إنما هو إلهٌ واحدٌ وإنّني بريءٌ مّما تشركون﴾.

سبب النزول: قال الكلبى: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله كما تزعم، (فأنزل الله تعالى هذه الآية).

الدرس الثالث

(المواجهة بيوم البعث)

من الاية رقم ٢٠ / ٣٢

مدة الحفظ: (يوم واحد)

٢٠ ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ..﴾ فهم يعرفونه حق المعرفة وأنه حق من عند الله وهم جيل بعد جيل يدرسون هذا الدين... لا لأنهم يبحثون عن الحقيقة.. إنما هم يقومون بهذه الدراسة لأنهم يبحثون عن مقتل لهذا الدين، ومن واجبنا أن نعرف ذلك... وأن نعرف معه أننا الأولى بأن نعرف ديننا كما نعرف أبناءنا !

٢١ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ..﴾ والسياق يواصل مواجهة المشركين بحقيقة ما يزاولونه، يواجههم باستنكار هذا كله ووصفه بأنه أظلم الظلم ومن ثم فالشرك ظلم عظيم ويقول عنه رب العالمين ولن يفلح الشرك ولا المشركون ﴿إنه لا يُفلح الظالمون﴾.

٢٢- ﴿ويوم نحشرهم جميعا ..﴾ وهذا المشهد الحى الشاخص يصور عدم فلاحهم يوم الحشر ويوم الحساب ﴿ثُم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أين هم ؟ هنا (يفتنون) فيذهب الخبث ويسقط الركام.

٢٣ ﴿ثُمّ لم تكن فتنتهم إلاَّ أن قالوا والله ربنا ما كُنا مشركين﴾ فهذا جواب جحود وتبرؤ من ذلك الفعل.

٢٤ ﴿انظر كيف كذبوا على أنفسهم﴾ يوم اتخذوا هؤلاء الشركاء شركاء أما ربهم فهو عليم بهم ﴿وضلَّ عنهم﴾ اى غاب فلم يروه ﴿ما كانوا يفترون﴾ اى يكذبون.

٢٥ ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ هذه نماذج بشرية تستمع ولاتفقه، نماذج مكرره فى كل جيل ومن كل قبيل ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ فأعينهم ترى كذلك ولكن كأنها لاتبصر فما الذى أصاب القوم ياترى؟ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنَّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كلَّ آية لاَ يؤمنوا بها﴾ فهذا تعبير عن قضاء الله فيهم بالا يتلقى إدراكهم هذا الحق ولايفقه.

٢٦ - ﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾ هم يمعنون أشد الإمعان فى صرف الناس عن الاستماع لهذا القرآن وخشية ان يتأثروا هم ايضا ﴿وإن يهلكون إلاَّ أنفسهم وما يشعرون﴾ وهل يهلك نفسه من يجاهد نفسه ويجاهد غيره دون الهدى والصلاح.

سبب النزول: عن ابن عباس فى قوله: ﴿وهم ينهون عنه وينئون عنه﴾ قال: نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به وكان يقول عندما اجتمعت قريش إلى أبى طالب يريدون سوءاً بالنبى ﷺ فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وأبشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت دينا لا محالة أنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة
لوجدتنى سمحا بذاك متينا

٢٧ - ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار﴾ لو

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

ترى لرأيت ما يهول ! ولرأيتهم يقولون: ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾.

٢٨ ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ ويصفهم الله -سبحانه- بهذا الرد ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ فسبحانه يعلم طبيعتهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾.

٢٩ ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ فلقد كان العرب فى جاهليتهم لايعتقدون فى الآخرة ويقولون ﴿وما نحن بمبعوثين﴾.

٣٠ ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ اى حبسوا على مايكون من أمر ربهم فيهم لشاهدت أمراً عظيما، فيقول لهم ﴿أليس هذا بالحق﴾ اى أليس هذا البعث الذى تنكرونه كائنا موجوداً ﴿قالوا بلى وربنا﴾ اعترفوا بما أنكروا واكبدوا اعترافهم بالقسم ﴿بما كنتم تكفرون﴾ أى بسبب كفركم به.

٣١ ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ وهذه المفاجأة لم يحسب لها أولئك الغافلون الجاهلون حسابا ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾ أى جاءتهم القيامة فجأة ﴿قالوا يا حسرتنا﴾ الحسرة: الندم الشديد ﴿على ما فرطنا فيها﴾ أى تفريطنا فى الساعة ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ أى ذنوبهم علي ظهورهم كالدواب بل الدواب أحسن حالاً وهؤلاء يذهبون بأوزارهم إلى الجحيم ﴿ألا ساء ما يزرون﴾.

٣٢ ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ وهذا الإيقاع الأخير فى المقطع بحقيقة وزن الدنيا ووزن الآخرة فى ميزان الله وقيمة هذه الدنيا وقيمة هذه الآخرة فى هذا الميزان الصحيح. والذين ينكرون الآخرة اليوم لأنها (غيب) إنهم هم الجهال.

الدرس الرابع
(الحديث إلى رسول الله ﷺ)
مدة الحفظ: (يوم واحد)
من الآية ٣٣/٣٩

٣٣ ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنهم لم يكونوا يشكون فى صدق محمد ﷺ ولكنهم كانوا يرفضون إظهار التصديق ويرفضون الدخول فى الدين الجديد ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ ولكن ﴿الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.

سبب النزول: قال: أبو ميسرة: إن رسول الله ﷺ مر بأبى جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد إنا والله ما نكذبك، وإنك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت به (فنزلت الآية).

٣٤ ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك﴾ وهى كلمات للذكرى وللتسلية وللمواساة والتأسية وهى ترسم للدعاة طريقهم واضحاً ودورهم محددا وترسم لهم متاعب الطريق وعقباته ثم ما ينتظرهم بعد ذلك كله فى نهاية الطريق . وسنة الله تجرى بالنصر فى النهاية ولكنها تجئ فى موعدها ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾.

٣٥ ﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ وهنا يبلغ الحد الصارم مداه فى مواجهة ما عساه يعتمل فى نفس الرسول ﷺ من الرغبة البشرية المشتاقة إلى هداية قومه فإن كان كبر عليك إعراضهم وشق عليك تكذيبهم وكنت ترغب فى إتيناهم بآية. . إذن. . . فإن استطعت فابتغ لك نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فآتهم بآية ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾

معاني الكلمات:

ومن بلغ: من بلغه القرآن إلى يوم الساعة.

أكنة: أغطية كثيرة.

وينئون: يتباعدون عن القرآن .

وقفوا على: حبسوا على حكمه تعالى للسؤال.

بغتة: فجأة.

فرطنا فيها: قصرناوضيعنا.

أوزارهم: ذنوبهم.

كبر: شق وعظم عليك.

نفقا في الأرض: سرباً فيه.

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون (٣٦) وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٧) وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون (٣٨) والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (٣٩) قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين (٤٠) بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون (٤١) ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون (٤٢) فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (٤٣) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون (٤٤)﴾

٣٦ ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون..﴾ وهؤلاء هم الفريق الحى الذى يسمع فيستجيب أما الفريق الميت معطل الفطرة لايسمع ولايستقبل ﴿والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون﴾

﴿وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه﴾ لقد كانوا يطلبون آية خارقة كالخوارق المادية التى صاحبت الرسالات السابقة ولا يقنعون له بآيات القرآن الباقية.

٣٨ ﴿وما من دابة في الأرض﴾ أصناف مصنفة لكل منها تقويمها الخاص فى تكوينها ومعاشها وتجمعها خلقهم الله كما خلقكم ورزقهم كما رزقكم ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ فى ذكر الله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ من شئونكم وشئون تلك الأمم ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ وفيه دلالة على أن هذه الأمم تحشر كما يحشر بنو آدم.

٣٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ ﴿صم﴾ لايسمعون بآذانهم ﴿وبكم﴾ لاينطقون بألسنتهم ﴿في الظلمات﴾ أى فى ظلمات الكفر والجهل والحيرة.

الدرس الخامس
(مواجهة فطرة المشركين)
من الآية ٤٠ / ٥٥
مدة الحفظ: (يومان)

٤٠ ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ أى أخبرونى أغير الله تدعون أم تدعون الله سبحانه ﴿إن كنتم صادقين﴾ فى دعواكم أن أصنامكم تضر وتنفع وأنها آلهة كما تزعمون.

٤١ ﴿بل إياه تدعون..﴾ هو يسألهم ويطلب الجواب بالصدق من ألسنتهم ثم يبادر فيقرر الجواب الصادق فيتوجهوا إلى الله بطلب النجاة وتنسى أنها أشركت به أحداً.

٤٢ ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك..﴾ وهنا عرض لنموذج متكرر فى أمم شتى ولكنهم لم يفعلوا ماكان حرياً أن يفعلوا، لم يلجأوا إلى الله وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ماهم فيه من الضلال والعناد ﴿ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾.

٤٣ ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا..﴾ لكنهم لم يتضرعوا لشدة تمردهم وغلوهم فى الكفر ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ أى صلبت وغلظت ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ أى أغواهم بالتصميم على الكفر.

٤٤ ﴿فلما نسوا ما ذكروا به..﴾ أن الرخاء ابتلاء آخر كابتلاء الشدة فهؤلاء قد فتح الله عليهم أبواب كل شئ للاستدراج بعد الابتلاء ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ عندئذ جاء موعد السنة التى لاتتبدل: ﴿أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ حتى آخر واحد منهم.

معانى الكلمات:
أرأيتكم: أخبرونى.
يتضرعون: يتذللون.
أخذناهم بغتة: انزلنا بهم العذاب فجأة.
مبلسون: آيسون من الرحمة.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أي استؤصلوا بالعذاب عن آخرهم. وانتهى أمرهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ ناصر أوليائه ومهلك أعدائه.

٤٦ ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم..﴾ وهنا يقف المشركون أمام بأس الله قل أخبروني ياقوم ﴿إن أخذ الله سمعكم﴾ وجعلكم صماً لاتسمعون، وأخذ ﴿وأبصاركم﴾ فكنتم عميا لاتبصرون ﴿وختم على قلوبكم﴾ أى طبع عليها فأصبحتم لاتعقلون ولاتفهمون. ﴿من إله غير الله يأتيكم به﴾.

٤٧ ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة..﴾ وهذا المشهد يتلقاهم بتوقع جديد ليس على الله ببعيد وهم أصلاً لم يفيقوا من تأثير المشهد السابق.

٤٨ ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين..﴾ وهذا التوجيه يتمثل فى بيان وظيفة الرسول، وحقيقة دوره فى الرسالة على النحو الذى تعرضه هاتان الآيتان. بمعنى ما نكلفهم بغير حمل البشارة بالنجاة ودخول الجنة لمن آمن وعمل صالحاً والنذارة لمن كفر وعمل سوءاً.

٤٩ ﴿والذين كذبوا بآياتنا..﴾ هؤلاء ﴿يمسهم العذاب﴾ عذاب النار ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم عن طاعتنا وطاعة رسلنا.

٥٠ ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله..﴾ يأمر الله -سبحانه وتعالى- رسوله ﷺ أن يقدم نفسه لهؤلاء المشركين بشراً مجرداً من كل الأوهام، ولا يتبع إلا وحى الله يعلمه مالم يكن يعلم ثم ليعلموا أنهم حينئذ يفيئون إلى النور والبصيرة ويخرجون من الظلام والعماء.

٥١ ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا..﴾ أنذر به هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم حالة أن ليس لهم من دونه ولي ينصرهم ولا شفيع يخلصهم إلا بإذنه.

٥٢ ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي..﴾ لاتطرد هؤلاء الذين أخلصوا نفوسهم لله، فاتجهوا لعبادته ودعائه فى الصباح والمساء ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ فإن حسابهم على أنفسهم ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ وحسابك على نفسك ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ هى فتنة قدرها الله لهؤلاء المتعالين بالمال والنسب ﴿ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ ويرد السياق القرآنى على هذا الاستفهام الاستنكارى الذى يطلقه الكبراء ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

سبب النزول: عن خباب بن الأرت قال: فينا نزلت، كنا ضعفاء عند النبى ﷺ بالغداة والعشى فعلمنا القرآن والخير، وكان يخوفنا بالجنة والنار وما ينفعنا، والموت والبعث، فجاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى فقالا: إنا من أشراف قومنا وإنا نكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك، قال: «نعم» قالوا: لانرضى حتى نكتب بيننا كتاباً فأتى بأديم ودواة. فنزلت هذه الآيات. [أخرجه ابن ماجه ٤١٢٨]

معانى الكلمات:

دابر القوم: آخرهم.

نصرف الآيات: نكررها على أنحاء مختلفة.

هم يصدفون: يعرضون عنها ويعدلون.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

٥٣ ﴿وكذلك فتنّا بعضهم ببعض..﴾ أى هكذا ابتلينا بعضهم ببعض هذا غنى وذاك فقير، ويقول الأغنياء المتكبرين للفقراء الضعفاء استخفافاً بهم واحتقاراً لهم ﴿ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ من عليهم بالهداية والرشد فيرد الله تعالى ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

٥٤ ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ أى يصدقون بنبوتك وكتابك وما جئت به من الدين الحق فهؤلاء رحب بهم وقل ﴿سلام﴾ فلا يخافون ذنوبهم بعد توبتهم وإنابتهم إلى ربهم ﴿أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده﴾ أى أقلع ﴿وأصلح﴾ نفسه بالصالحات فإن ربه ﴿غفور رحيم﴾ فيغفر له ويرحمه.

سبب النزول: قال عكرمة: نزلت فى الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم، فكان إذا رآهم النبى ﷺ قال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرنى أن أبدأهم بالسلام».
[ذكره القرطبي فى تفسيره ٤٣٥١٦]

٥٥ ﴿وكذلك نفصل الآيات..﴾ أى مثل هذا التفصيل نفصل الآيات مستقبلاً لبيان الهداية الإلهية ليهتدى من أراد له الهداية ولتستبين وتتضح سبيل المجرمين.

الدرس السادس
(عودة إلى حقيقة الألوهية)
من الآية ٥٦ / ٧٣
مدة الحفظ: (يومان)

٥٦ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون..﴾ يأمر الله -سبحانه- رسوله ﷺ أن يواجه المشركين بأنه منهى من ربه عن عبادة الذين يدعونهم من دون الله ويتخذونهم أنداداً لله

٥٧ ﴿قل إني على بينة من ربي..﴾ وهذا هو الإيقاع الثانى موصولاً بالايقاع الأول ومتمماً له. فهذا أمر ليجهر فى مواجهة المشركين المكذبين بربهم بما يجده فى نفسه من اليقين الواضح وعلم يقينى من وجوب الإيمان بالله ووجوب توحيده. وأنا ما عندى ماتستعجلون به من العذاب ولكن الحكم لله ليس لأحد.

سبب النزول: قال الكلبى: نزلت فى النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون: يا محمد إئتنا بالعذاب الذى تعدنا به. استهزاء منهم (فنزلت الآية).

٥٨ ﴿قل لو أنّ عندي ما تستعجلون به..﴾ وهنا يؤمر رسول الله ﷺ أن يلمس قلوبهم وعقولهم ويلفتها إلى دلالة قوية على أن هذا الأمر من عند الله. لو أن عندى ماتستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بتدمير الظالم منا ولايهلك غير الظالمين المستوجبين للعذاب بظلمهم.

٥٩ ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو..﴾ عن سالم بن عبد الله عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: ﴿إنّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إنّ الله عليم خبير﴾» [فتح البارى ٤٦٢٧]. إنها صورة لعلم الله الشامل المحيط، الذى لا يند عنه شئ فى الزمان ولا فى المكان، وفى الأرض ولا فى السماء، فى البر ولا فى البحر، فى جوف الأرض ولا فى طباق الجو، من حى وميت ويابس ورطب.. من ذا الذى يبدع هذا كله وذلك كله ؟

معاني الكلمات:
يقص الحقّ : يتبعه فيما يحكم به.
خير الفاصلين: بين الحق والباطل.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦٠ ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار..﴾ ومن علم الله بمفاتح الغيب، وبما يجرى فى جنبات الكون، ينتقل السياق إلى مجال من مجالات هذا العلم الشامل فى ذوات البشر. ﴿يتوفاكم بالليل﴾ فهى الوفاة إذن حين يأخذ الناس النعاس لايردهم إلى الصحو والحياة الكاملة إلا الله.. فما أضعف البشر فى قبضة الله ! ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ فما تتحرك جوارحهم لأخذ أو ترك إلا وعند الله علم بما كسبت من خير أو شر ﴿ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى﴾ أى يوقظكم فى النهار من سباتكم وانقطاعكم لتتم آجالكم التى قضاها الله ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ لا محالة وذلك بعد نهاية الأجل ﴿ثم ينبئكم﴾ بعلمه ﴿بما كنتم تعملون﴾ من خير أو شر.

٦١ ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ صاحب السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ إنها الرقابة المباشرة على كل نفس فهناك حفيظ عليها رقيب يحصى كل حركة ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ كل نفس معدودة الأنفاس. متروكة لأجل لانعلمه، فإذا جاءت اللحظة أدى الحفيظ مهمته.. ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ الحق دون الآلهة المدعاة، ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ فهو وحده يحكم، وهو وحده يحاسب، وهو لايبطئ فى الحكم ولايمهل فى الجزاء.

٦٢ ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق..﴾ مولاهم الحق دون الآلهة المدعاة ! ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ فهو وحده يحكم، وهو وحده يحاسب وهو لايبطئ فى الحكم ولايمهل في الجزاء.

٦٣ ﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ هنا يرسم لهم مشهدًا من الفطرة أمام الهول والكرب، وكيف يخالفون عنها فى اليسر والرخاء. إنها تجربة يعرفها كل من وقع فى ضيقة أو رأى المكروبين فى لحظة الضيق.. وظلمات البر والبحر كثيرة. هنا يدعو الله وحده لعلمه أن لاينجيه إلا هو يدعوه ويتضرع إليه جهراً وسراً قائلا: وعزتك لئن انجيتنا من هذه الهلكة التى حاقت بنا لنكونن من الشاكرين لك. ثم إذا نجاكم استجابة لدعائكم وأمنتم المخاوف عدتم فجأة إلى الشرك به بدعاء غيره.

٦٤ ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أى ينجيكم من تلك الحالة التى اضطربت لها نفوسكم وخشيتم فيها الهلاك وينجيكم أيضا من كل كرب. ثم مع هذا ياللعجب أنتم تشركون به تعالى

٦٥ ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم..﴾ وهنا يواجههم ببأس الله الذى قد يأخذهم بعد النجاة ! فما هى مرة وتنتهى يفلتون من القبضة كما يتصورون، تصور العذاب الغامر من فوق أو النابع من تحت، أشد وقعاً فى النفس من تصوره آتيا عن يمين وشمال، ويضيف إلى ألوان العذاب الداخلة فى قدرة الله وهى صورة العذاب المقيم الطويل المديد ﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾.

٦٦ ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ ومن هذه الآية وحتى الآية ٧٠ هى جولة المفاصلة التي انتهت بها الآيات السابقة والخطاب هنا لرسول الله ﷺ يعطيه ويعطى المؤمنين من ورائه الثقة التى تملأ القلب بالطمأنينة. الثقة بالحق - ولو كذب به قومه وأصروا على تكذيبه. ثم يأمره سبحانه أنه متى أبلغهم ما معه من الحق فقد انتهى بينه وبينهم الأمر: ﴿لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾.

٦٧ ﴿لكل نبأ مستقر..﴾ وقد أنبأتكم بالعذاب على تكذيبكم وشرككم ﴿وسوف تعلمون﴾ ذلك يوم يحل بكم وقد استقر نبأه يوم بدر والحمد لله.

٦٨ ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم﴾ وبعد البلاغ قام من فوره وفارق مجلسهم إذا رآهم يستهزئون بالآيات القرآنية ويسخرون

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن
ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ
أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ
وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن
فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ وإن أنساك الشيطان نهينا هذا فجلست ثم ذكرت فقم ولاتقعد مع القوم الظالمين.

٦٩ ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء..﴾ فليست هناك تبعة مشتركة بين المتقين والمشركين فهما أمتان مختلفتان -وان اتحدوا فى الجنس والقوم فهذه لا وزن لها فى ميزان الله.

٧٠ ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا..﴾ إن الله تعالى يأمر رسوله أن يترك الذين اتخذوا دينهم الحق الذي جاءهم به رسول الحق -لعباً ولهواً يلعبون به أو يسخرون منه ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ وفي هذا تهديد لهم على ماهم من الكفر والسخرية والاستهزاء ﴿وذكر به﴾ أى بالقرآن ﴿أن تبسل نفس﴾ أى كى لاتبسل ﴿بما كسبت﴾ أي كى لاتسلم للعذاب ﴿ليس لها من دون الله ولي﴾ يتولى خلاصها ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها فينجيها من عذاب النار ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾ أى وإن تقدم ما أمكنها حتى ولو كان ملء الأرض ذهبا فداء لها لما نفعها ذلك ولما نجت من النار. ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم﴾ ابسلوا: أسلموا وأخذوا إلى جهنم بما كسبوا من الذنوب والآثام لهم فى جهنم شراب من ماء حميم حار وعذاب موجع أليم وذلك بسبب كفرهم بالله وآياته ورسوله.

٧١ ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ هذا الإيقاع القوى بحقيقة الألوهية وخصائصها وباستنكار الشرك والعودة إليه بعد الهدى. والسياق يدل على أن عرضاً من المشركين لأحد المؤمنين لأن يعبدوا معهم آلهتهم فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليهم عرضهم الرخيص ﴿قل أندعو من دون الله﴾ الاستفهام للاستنكار ﴿ما لا ينفعنا﴾ إن عبدناه ﴿ولا يضرنا﴾ إن تركنا عبادته وبذلك نصبح وقد رددنا على أعقابنا من التوحيد إلى الشرك بعد إذ هدانا الله إلى الإيمان به. فيكون حالنا كحال من أضلته الشياطين فى الصحراء فتاه فيها فلا يدرى أين ذهب ولا أين يجئ ﴿له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ وهو لايقدر على إجابتهم ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وقد أمرنا ربنا أن نسلم له قلوبنا ووجوهنا لأنه رب العالمين فأسلمنا.

٧٢ ﴿وأن أقيموا الصلاة..﴾ كما أمرنا أن نقيم الصلاة فأقمنا هنا وان نتقيه فاتقيناه وأعلمنا أنا سنحشر اليه يوم القيامة فصدقناه في ذلك.

٧٣ ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ وهذه حقيقة أخرى.. فلم يخلقهما عبثاً وباطلاً بل خلقهما ليذكر فيهما ويشكر ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ كما أراد فى قوله الحق دائما ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ نفخة الفناء فلا يبقى شئ إلا هو الواحد القهار فيقول جل جلاله ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بنفسه قائلاً ﴿لله الواحد القهار﴾ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى يعلم ما غاب فى خزائن الغيب ويعلم الشهادة والحضور ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ يصرف أمور الكون الذى خلقه، وأمور العباد الذين يملكهم فى الدنيا والآخرة بالحكمة والخبرة.

معاني الكلمات:

جرحتم بالنهار: كسبتم.
تضرعا: معلنين الضراعة.
وخفية: مسرين بالدعاء.
يلبسكم: يخلطكم فى ملاحم القتال.
شيعا: فرقاً مختلفة الأهواء.
يخوضون: يأخذون فى الاستهزاء والطعن.
أبسلوا: حبسوا فى النار.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

الدرس السابع

(موكب الايمان)

من الآية رقم ٧٤ / ٩٤

٧٤ ﴿وإذ قال إبراهيمُ لأبيه آزر﴾ **إنها الفطرة تنطق على لسان إبراهيم.. وهى تواجه الضلال البين فتنكره وتستنكره وتجهر بكلمة الحق وتصدع:** ﴿أتتخذُ أصناماً آلهةً﴾ **أي تجعلها آلهة لك تعبدها** ﴿إني أراك وقومك في ضلال مُبين﴾.

٧٥ ﴿وكذلك نُري إبراهيم﴾ **أي كما أريناه الحق فى بطلان عبادة أبيه للأصنام نريه أيضا مظاهر قدرتنا وعلمنا وحكمنا الموجبة لألوهيتنا فى ملك السموات والأرض.**

من الآية رقم ٧٦ / ٧٩ ﴿فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكبا..﴾ **هذه أول الرحلة مع إبراهيم فلنتابعها: جن عليه الليل أى أظلم** ﴿رأى كوكبا﴾ **قد يكون الزهرة** ﴿قال هذا ربي﴾ **فلما غاب** ﴿قال لا أحبُ الآفلين﴾ **وهكذا مع القمر والشمس وبعدها قال:** ﴿يا قوم إني بريءٌ مما تُشركون﴾ **هكذا واجه إبراهيم قومه عبدة الكواكب التى تمثلها أصنام منحوته واجههم بالحقيقة التى أراد أن يصل إليها معهم وهى إبطال عبادة غير الله تعالى فقال** ﴿إني وجهتُ وجهي للذي فطر السّموات والأرض حنيفا﴾ **وأعلن براءته فى وضوح وصراحة: فقال:** ﴿وما أنا من المشركين﴾.

٨٠ ﴿وحاجهُ قومُه﴾ **جاءوا يجادلونه. ولكن إبراهيم المؤمن وجد الله فى قلبه وعقله وفى الوجود كله من حوله قال:** ﴿أتحاجُوني في الله وقد هدانِ﴾ **فما جدالكم فى أمر أنا أجده فى نفسى ولا أطلب عليه الدليل** ﴿ولا أخافُ ما تشركون به﴾ **فكل قوة غير الله هزيلة** ﴿إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كُلّ شيء علما﴾ **فهو يكل إلى مشيئة الله وحمايته ورعايته ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما شاء الله فإنه يكون قطعاً، فقد** ﴿وسع ربي كُلّ شيء علما﴾ **ثم وبخهم قائلاً** ﴿أفلا تتذكّرون﴾ **ثم رد قولهم عليهم قائلاً:**

٨١ ﴿وكيف أخافُ ما أشركتُم﴾ **وهى أصنام جامدة لاتنفع ولاتضر، ولاتخافون ماصدر منكم من الشرك بالله وهو الضار والنافع** ﴿فأيُ الفريقين أحقُ بالأمن﴾ **فريق المؤمنين بالله القوى القادر أم فريق المؤمنين بالصنم العاجز الكافرين بالله فأخبرونى** ﴿فأيُ الفريقين أحقُ بالأمن إن كُنتم تعلمون﴾ **إن كنتم مؤمنين.**

معاني الكلمات:

جنَّ عليه الليلُ: **ستره بظلامه.**

وحاجّهُ قومُه: **خاصموه فى التوحيد.**

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢ ﴿الَّذين آمنوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُم بظُلْمٍ﴾ أى ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أولَئكَ لهُمُ الأمْنُ﴾ أى فى الدنيا والآخرة ﴿وهُم مُهْتَدُونَ﴾ فى حياتهم إلى طريق سعادتهم.

٨٣ ﴿وتلكَ حُجَّتُنا آتيْناها إبْراهيم﴾ إشارة إلى ما سبق من محاجة إبراهيم قومه ودحض باطلهم ﴿نرْفَعُ درجاتٍ مَن نَشاءُ﴾ تقرير إلى ما فضل به إبراهيم على غيره. ثم علل تعالى لذلك بقوله ﴿إنَّ ربَّكَ حكيمٌ عليمٌ﴾ حكيم فى تدبيره عليم بخلقه.

من ٨٤ / ٨٧ ﴿ووَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ ويعْقُوبَ..﴾ وهنا يعرض السياق موكب الإيمان الجليل يقوده ذلك الرهط الكريم من الرسل. وفى الآيات ذكر لسبعة عشر نبيا ورسولا -غير نوح وإبراهيم- وإشارة إلى آخرين كل ذلك تمهيد للتقريرات التى تليه:

٨٨ ﴿ذلكَ هُدَى اللَّهِ..﴾ فهذا هو التقرير الأول فهدى الله للبشر يتمثل فيما جاءت به الرسل وأنه سبحانه يهدى إليه من يختار من عباده.

٨٩ ﴿أولَئكَ الَّذين آتيْناهُمُ الْكتابَ..﴾ هؤلاء الرسل الذين ذكرهم والذين أشار إليهم هم الذين آتاهم الله الكتاب والحكمة والسلطان كذلك وهذا هو التقرير الثانى.

٩٠ ﴿أولَئكَ الَّذين هدى اللَّهُ..﴾ فهؤلاء الرهط الكرام الذين يقودون موكب الإيمان هم الذين هداهم الله. وهذا هو التقرير الثالث.

معانى الكلمات:

ولَمْ يَلْبِسُوا: لم يخلطوا.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

٩١ ﴿وما قدروا اللّه حقّ قدره ..﴾ وهذا القول كان يقوله مشركو مكة إذ قالوا: ﴿ما أنزل اللّه على بشر من شيء﴾ فقد أمر الله رسوله أن يواجه المشركين بتلك الحقيقة: ﴿قل من أنزل الكتاب الّذي جاء به موسى نورا وهدى لّلنّاس﴾ ولم يترك لهم أن يجيبوا ﴿قل اللّه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ قل الله أنزله ولا تحفل بجدالهم ولجاجهم ومرائهم ودعهم يخوضون لاهين لاعبين.

سبب النزول: قال ابن عباس في رواية الوالى: قالت اليهود: يامحمد أنزل الله عليك كتاباً ؟ قال نعم، قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فأنزل الله تعالى ﴿قل من أنزل الكتاب الّذي جاء به موسى نورا وهدى لّلنّاس﴾

٩٢ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق ..﴾ فهو يصدق ما بين يديه من الكتب التي نزلت من عند الله. فكيف تقولون: ﴿ما أنزل اللّه على بشر من شيء﴾ والمبارك الكثير البركة ﴿مصدّق الّذي بين يديه﴾ أي موافق لما أنزله الله من الكتب على الأنبياء ﴿ولتنذر﴾ أي أنزلناه للبركات ولتنذر ﴿أمّ القرى﴾ وهي مكة أعظم القرى شأناً ... ﴿والّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ أي يؤمنون بهذا الكتاب لأن التصديق بالآخرة يوجب الإيمان به وبأن هناك آخرة وحساباً وجزاء.

٩٣ ﴿ومن أظلم ممّن افترى على اللّه كذبا ..﴾ وبهذه الآية تختم هذه الجولة المتلاحقة الأشواط بمشهد حى شاخص مكروب رعيب. والذى يفترى على الله الكذب بأن ادعى أن الله نبأه وأنه نبيه ورسوله وأيضاً من قال ﴿سأنزل مثل ما أنزل اللّه﴾ من الوحى والقرآن، ثم قال تعالى لرسوله: ﴿ولو ترى﴾ يارسولنا ﴿إذ الظّالمون في غمرات الموت﴾ أى فى شدائد سكرات الموت ﴿والملائكة﴾ ملك الموت وأعوانه ﴿باسطوا أيديهم﴾ بالضرب واخراج الروح وهم يقولون لهم ﴿أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾ بسبب استكباركم فى الأرض.

سبب النزول: نزلت فى مسيلمة الكذاب الحنفى كان يسجع ويتكهن ويدعى النبوة ويزعم أن الله أوحى إليه.

٩٤ ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرّة﴾ فما معكم إلا ذواتكم مجردة ومفردة كذلك ﴿وتركتم مّا خوّلناكم وراء ظهوركم﴾ تركتم كل شئ من مال وزينة وأولاد ومتاع وجاه وسلطان ليس معكم شئ منه ولاتقدرون منه علي قليل أو كثير ﴿وما نرى معكم شفعاءكم الّذين زعمتم أنّهم فيكم شركاء﴾ .. فأين ؟ أين ذهب الشركاء والشفعاء ؟ ﴿لقد تّقطّع بينكم﴾ تقطع كل شئ. كل ما كان موصولاً كل سبب وكل حبل ﴿وضلّ عنكم مّا كنتم تزعمون﴾ ومنها أولئك الشركاء ومالهم من شفاعة عند الله أوتأثير فى عالم الأسباب.

معانى الكلمات:

قراطيس: أوراق مكتوبه مفرقة.

غمرات الموت: سكراته وشدائه.

الدرس الثامن

(كتاب الكون المفتوح)

من الآية ٩٥ / ١١٣

۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

٩٥ ﴿إنَّ اللَّه فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾ إنها المعجزة التى لا يدرى أحد سرها، فضلاً على أن يملك صنعها أحد، معجزة الحياة، نشأة وحركة والحياة الكامنة فى الحبة والنواة سر مكنون لايعلم حقيقته إلا الله. ﴿يخرجُ الحيَّ من الميِّت ومُخرجُ الميِّت من الحيِّ﴾ ولا يقدر إلا الله أن يصنع ذلك ﴿فأنَّى تُؤفَكُون﴾ فكيف تصرفون عن هذا الحق الواضح للعقول والقلوب والعيون.

٩٦ ﴿فالقُ الإصباحِ..﴾ وبين انفلاق الحب والنوى وانفلاق الإصباح وسكون الليل صلة أخرى.. إنه كون مقدر بحساب دقيق وفيه حساب ودرجة ونوع. الحياة... كون لامجال للمصادفة العابرة فيه.

٩٧ ﴿وهُو الَّذي جعلَ لكُمُ النُّجُوم لتهتدُوا بها..﴾ ويعقب الله على كل ذلك ﴿قد فصَّلنا الآيات لقوم يعلمُون﴾ فالاهتداء بالنجوم فى ظلمات البر والبحر يحتاج إلى علم بمسالكها ودوراتها ومواقعها ومداراتها..

٩٨ ﴿وهُو الَّذي أنشأكُم مِّن نَّفس واحدة فمُستقرٌّ ومُستودعٌ﴾ وصنع الله فى هذه النفس الواحدة يحتاج إلى الفقه ﴿قد فصَّلنا الآيات لقَوم يفقهُون﴾ والذين يسخرون من الغيبية فإنهم يمرون على هذه الآيات مطموسين محجوبين.

٩٩ ﴿وهُو الَّذي أنزل من السَّماء ماءً﴾ ومن هنا يمضى السياق إلى مشاهد الحياة المتفتحة فى جنبات الأرض، تراها الأعين، وتسجلها الحواس، وتتدبرها القلوب وترى فيها بدائع صنع الله. (والماء) هنا هو ماء المطر ويقول ﴿فأخرجنا به نبات كُلِّ شيْءٍ﴾ أى ينبت أى قابل للإنبات ﴿ومن النَّخل من طلْعها قنوانٌ دانيةٌ﴾ أى ويخرج بإذن الله تعالى من طلع النخيل دانية متهدلة قريبة ﴿وجنَّات مِّن أعناب﴾

﴿لِّقوم يؤمنُون﴾ لأنهم أحياء. يفعلون ويفكرون ويفهمون.

١٠٠ ﴿وجعلُوا للَّه شُركاء الجنَّ وخلقهُم﴾ فإذا كان الله سبحانه خلقهم فكيف يكونون شركاء له فى الألوهية والربوبية؟ بل كانوا يزعمون أيضاً له سبحانه بنين وبنات ﴿وخرقُوا لهُ بنين وبنات بغير علم﴾ اختلقوا ادعاءات لاتقوم على أساس من علم.. ﴿سُبحانهُ وتعالى عمَّا يصفُون﴾.

سبب النزول: قال الكلبى: نزلت هذه الآية فى الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس إخوان، والله خالق الناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب فذلك قوله تعالى ﴿وجعلُوا للَّه شُركاء الجنَّ﴾

١٠١ ﴿بديعُ السَّموات والأرض﴾ أى خالقهما على غير مثال سابق ﴿أنَّى يكُونُ لهُ ولدٌ ولم تكُن لَّهُ صاحبةٌ﴾ أى ياللعجب كيف يكون لله ولد ولم تكن له زوجة. أما الرب تعالى فهو خالق كل شئ ورب كل شئ ﴿وخلق كُلَّ شيءٍ وهُو بكُلِّ شيءٍ عليمٌ﴾

معانى الكلمات:

فالقُ الحبِّ: شاقه عن النبات.

طلْعها: هو أول ما يخرج من ثمر النخل.

وخرقُوا له: اختلقوا.

أنَّى يكُونُ: كيف.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾
قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ
فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾
ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا
لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ
لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا
جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢ ﴿ذلكم الله ربكم ..﴾ أى ذلكم الله الذى هو بديع السموات والأرض والخالق لكل شئ والعليم بكل شئ هو ربكم لاإله إلاهو خالق كل شئ فاعبدوه ولاتشركوا به سواه وإنه لكفيل برزقكم وحفظكم.

١٠٣ ﴿لا تدركه الأبصار ..﴾ إنهم لم يوهبوا القدرة على إدراك الله-سبحانه- فأبصارهم خلقت للتعامل مع هذا الكون والقيام بالخلافة في الأرض.

١٠٤ ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ بصائر تهتدى فمن أبصر فلنفسه فإنه يجد الهدى والنور وليس وراء ذلك إلا العمى.. ويوجه الله سبحانه وتعالى- النبى ﷺ أن يعلن براءته من أمرهم: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾.

١٠٥ ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ ويلتفت السياق هنا إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم - فيتحدث عن تصريف الآيات على هذا المستوى الذى لاعهد للعرب به لأنه ليس نابعاً من بيئتهم... فأما الذين لا يريدون الهدى يقولون ﴿درست﴾ هذا يامحمد مع أهل الكتاب. وأما الذين ﴿يعلمون﴾ حقا فإن تصريف الآيات على هذا النحو يؤدي إلى بيان الحق لهم فيعرفونه ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾.

١٠٦ ﴿اتبع ما أوحي إليك من ربك﴾ يأمر الله تعالى رسوله باتباع ما يوحى إليه من الحق والهدى والإعراض عن المشركين المعاندين الذين يقولون درست

١٠٧ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا ..﴾ يسلى الله تعالى رسوله ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ومحاربته فيقول له ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أى لو يشاء الله عدم إشراكهم لما قدروا على أن يشركوا إذاً فلا تحزن عليهم هذا أولاً، وثانياً ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ تراقبهم وتحصى عليهم أعمالهم وتجازيهم بها، وما أرسلناك عليهم وكيلا تتولى هدايتهم ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ وقد بلغتَ إذاً فلا أسى ولا أسف.

١٠٨ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ وهذا الأدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه، والواثق من الحق الذى هو عليه. فإن سب آلهتهم لايؤدى بهم إلى الهدى ولايزيدهم إلا عناداً ويجرهم إلى سماع ما يكرهون.

سبب النزول: قال ابن عباس فى رواية الوالى: قالوا: يا محمد لتنتهي عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدواً بغير علم.

١٠٩ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ هؤلاء المشركون يقسمون بالله: أن لو جاءتهم آية - أى خارقة - ليؤمنن بها. ويجيبهم الرد الحاسم: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ هو الذى يأتى بها إن شاء أما أنا فلا أملك ذلك. وينتهى الصراع الدائر بين الفريقين فى قوله تعالى لهم: ﴿وما يشعركم﴾ أيها المؤمنون ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ وبين علة عدم إيمانهم فقال:

١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم﴾ فلا تعى ولا تفهم ﴿وأبصارهم﴾ فلا ترى ولا تبصر ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ حيارى يترددون لايعرفون الحق من الباطل ولا الهداية من الضلال.

معاني الكلمات:

لا تدركه: لاتحيط. بصائر: آيات.

درست: قرأت.

۞ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن
أكثرهم يجهلون ﴿١١١﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
﴿١١٢﴾ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ﴿١١٣﴾ أفغير الله
أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين ﴿١١٤﴾ وتمت كلمت ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴿١١٥﴾ وإن
تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن
يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿١١٦﴾ إن ربك هو
أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴿١١٧﴾
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴿١١٨﴾

١١١ ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى..﴾ لو فعلنا كل ذلك ماكانوا ليؤمنوا بك ويصدقوك ويؤمنوا بما جئت به إلا أن يشاء الله ذلك منهم. ولكن أكثر هؤلاء يجهلون أن الهداية بيد الله تعالى !!

﴿وكذلك جعلنا لكُلّ نبيٍّ عدوًّا..﴾ بإرادتنا وتقديرنا جعلنا لكل نبى عدوا هو شياطين الجن والإنس يخدع بعضهم بعضا بالقول المزخرف وشياطين الإنس أمرهم معروف ومشهود لنا فى الأرض. وأن الشيطان مع المؤمن إذا ذكر الله خنس وتوارى، وإذا غفل برز فوسوس له.. ﴿ولو شاء ربُّك ما فعلوه﴾ .

١١٣ ﴿ولتصغى إليه أفئدةُ الّذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى لتستمع إلى ذلك الخداع والإيحاء قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة... فهؤلاء يحصرون همهم كله فى الدنيا. ومشهد إحاطة مشيئة الله وقدره بخطة الشياطين جدير بأن يملأ قلوب أصحاب الحق بالثقة والطمأنينة واليقين فليدعوها للمشيئة المحيطة والقدر النافذ: ﴿ولو شاء ربُّك ما فعلوهُ فذرهم وما يفترون﴾

الدرس التاسع
(قضية الحل والحرمة فى الذبائح)
من الآية ١١٤ / ١٢٧
مدة الحفظ: (يومان)

١١٤ ﴿أفغير اللّه أبتغي حكمًا ..﴾ يحدد السياق هنا جهة الحاكمية فى أمر العباد كله تمهيداً لتقرير جهة الحاكمية فى التحليل والتحريم فى الذبائح. ﴿أفغير اللّه﴾ إنه سؤال على لسان رسول الله ﷺ للاستنكار ثم تفصيل لهذا الاستنكار ﴿وهو الّذي أنزل إليكُم الكتاب مُفصّلاً﴾ لقد نزل هذا الكتاب بالعدل بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴿والّذين آتيناهُم الكتاب يعلمون أنّهُ مُنزّلٌ من رّبّك بالحقّ﴾ وهم أعرف بالكتاب لأنهم أهل الكتاب. ويلتفت السياق للرسول ﷺ وللمؤمنين يهون عليه وعليهم التكذيب ﴿فلا تكُوننّ من المُمترين﴾

١١٥ ﴿وتمّت كلمتُ ربّك صدقًا وعدلاً..﴾ ويمضى السياق ليقرر أن كلمة الله الفاصلة قد تمت ولايستطيع أحد تبديلها بتغيير لها بإخلاف وعدٍ ولا بإبطال حكم.

١١٦ ﴿وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلُّوك ..﴾ أى لو أنك تسمع لهم وتأخذ بآرائهم وتستجيب لاقتراحاتهم لأضلوك قطعا عن سبيل الله. إنهم ما يتبعون إلا الظن وهم كاذبون وحسبك علم ربك بهم فإنه تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

١١٧ ﴿إنّ ربّك هو أعلمُ من يضلُّ عن سبيله..﴾ وحسبك علم ربك بهم فإنه تعالى هو أعلم. فهو -سبحانه- صاحب الحق فى وضع هذا الميزان .

١١٨ ﴿فكلُوا ممّا ذُكر اسمُ اللّه عليه..﴾ ومن هنا تجئ قصة الذبائح، مبنية على القاعدة الأساسية التى أقامها ذلك التمهيد التقريرى الطويل. ولقد كان مما أوحى به شياطين الجن إلى إخوانهم من شياطين الإنس أن قالوا للرسول ﷺ والمؤمنين: كيف تأكلون ما تقتلونه أنتم وتمتنعون عن أكل ما يقتله الله؟ فأنزل الله تعالى أمره للمؤمنين بعدم الاستجابة لما يقوله المشركون وقال:

معانى الكلمات:

ولتصغى إليه: لتميل إلى زخرف القول.

يخرصون: يكذبون.

وليقترفوا: ليكتسبوا.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ
لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ
أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾
أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩ ﴿وما لكم ألاّ تأكُلوا ممّا ذُكر اسم اللّه عليه..﴾ أى: أى شئ يمنعكم من الأكل مما ذكر اسم الله عليه؟ ﴿وقد فصّل لكم﴾ أى بيّن لكم غاية التبيين ﴿ما حرّم عليكم﴾ من المطاعم ﴿إلاّ ما اضطُرِرتُم إليه﴾ أى ألجأتكم الضرورة إليه كمن خاف على نفسه الهلاك من شدة الجوع فإنه يأكل مما حرم فى حال الاختيار. ثم أعلمهم أن كثيرا من الناس يضلون غيرهم بغير علم .

١٢٠ ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنهُ..﴾ يأمر الله تعالى عباده بترك ظاهر الإثم كالزنى العلنى وسائر المعاصى، وباطن الإثم كالزنى السرى وسائر الذنوب الخفية. ثم توعد الذين لايمتثلون أمره تعالى ﴿إنّ الّذين يكسبُون الإثم سيُجزون بما كانوا يقترفون﴾ أى سيجزيهم يوم القيامة بما اكتسبوه.

١٢١ ﴿ولا تأكُلوا ممّا لم يُذكر اسمُ اللّه عليه..﴾ من ذبائح المشركين والمجوس وأخبر أن الأكل منها فسق خروج عن طاعة الله تعالى. ثم أخبرهم تعالى بأن الشياطين وهم المردة من الجن يوحون إلى الأخباث من الإنس من أوليائهم الذين استجابوا لهم فى عبادة الأوثان. ويحذر تعالى من طاعتهم ﴿وإن أطعتُمُوهُم﴾ فأكلتم من ذبائحهم أو تركتم أكل ماذبحتم وقد ذكرتم عليه اسم الله ﴿إنّكُم لمُشرِكون﴾ .

سبب النزول: قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها، قال: «الله قتلها» قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وماقتل الكلاب والصقر حلال، وما قتله الله حرام. (فأنزل الله تعالى هذه الآية). [أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٧١٨]

١٢٢ ﴿أو من كان ميتا فأحييناهُ..﴾ أى كان (كافراً) فهديناه إلى الإسلام ﴿وجعلنا له نُورا يمشي به في النّاس﴾ والنور عبارة عن الهداية والإيمان وقيل: القرآن، وقيل: الحكمة ﴿كمن مثلُه في الظُّلُمات﴾ ظلمات الكفر والضلال ﴿ليس بخارج منها﴾.

سبب النزول: عن زيد بن أسلم فى قوله عز وجل: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في النّاس﴾ قال: عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴿كمن مثّلُه في الظُّلمات ليس بخارج منها﴾ قال: أبو جهل بن هشام.

١٢٣ ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مُجرميها ليمكُروا فيها﴾ فيهلكوا أيضا وقوله: ﴿وما يمكُرون إلاّ بأنفسهم وما يشعُرون﴾ لأنه لا يحيق المكر السئ إلا بأهله ولكنهم لايشعرون أى لايدرون ولايعلمون انهم يمكرون بأنفسهم.

١٢٤ ﴿وإذا جاءتهم آيةٌ قالُوا لن نُؤمن..﴾ ثم يكشف السياق القرآنى عن طبيعة الكبر فى نفوس أعداء رسل الله ودينه فقالوا هذه القولة المنكرة الغبية كذلك ويرد علي هذه المقولة ﴿اللّهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتهُ سيُصيبُ الّذين أجرمُوا صغارٌ عند اللّه﴾ أى ذل وهوان.

معاني الكلمات:
صغار: ذل عظيم وهوان .

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١)

١٢٥ ﴿فمن يُرد اللهُ أن يهديهُ يشرح صدرهُ للإسلام..﴾ وتختم الجولة بتصوير حالة الهدى وحالة الإيمان فى داخل القلوب والنفوس. فمن يقدر له الهداية يشرح صدره للإسلام، ومن يقدر له الضلال فهو مغلق مطموس يجد العسر والمشقة. وينتهى المشهد بهذا التعقيب المناسب ﴿كذلك يجعلُ اللهُ الرجس على الذين لا يؤمنون﴾.

١٢٦ ﴿وهذا صراطُ ربك مستقيما..﴾ وهو التعقيب الأخير فى هذا المقطع يربط هذه وتلك الرباط الآخير. هذا هو الصراط، صراط ربك وقد فصل الله آياته وبينها ولكن الذين يتذكرون ولاينسون ولايغفلون هم الذين ينتفعون بهذا البيان.

١٢٧ ﴿ولهم دارُ السلام عند ربهم﴾ الجنة لأنها دار السلام من كل مكروه ﴿وهو وليُهم﴾ أى ناصرهم فى الدنيا ولهم التكريم فى الآخرة ﴿بما كانوا يعملون﴾.

الدرس العاشر
(شياطين الإنس والجن)
وبيان مصائرهم
من الآية ١٢٨/ ١٣٥
مدة الحفظ: (يوم واحد)

١٢٨ ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ والمشهد هنا يعرض شياطين الإنس والجن فى عرض (مشاهد القيامة) الذين قضوا الحياة يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وخداعاً وضلالا. وهنا يوم يحشر البشر والجن كلهم فيقول الله تعالى يا جماعة الجن ﴿قد استكثرتم من الإنس﴾ من إغوائهم وإضلالهم ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أى كل منا تمتع بخدمة الآخر له وانتفع بها فالشياطين زينت لهم الشهوات وأما الجن فقد انتفعوا من الإنس بطاعتهم والاستجابة لهم. فرد الله تبارك وتعالى بإصدار حكمه فيهم قائلا: ﴿النَّار مثواكُم خالدين فيها إلاَّ ما شاء اللهُ﴾ ومن مظاهر حكمته وعلمه إدخال أهل الكفر والمعاصى النار أجمعين الإنس والجن سواء.

١٢٩ ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا..﴾ وهذا السياق للتعقيب على شطر هذا المشهد فولاية الظالمين نحن نراهم فى كل زمان ومكان كتلة واحدة يساند بعضهم بعضا - على مابينهم من خلافات وصراع على المصالح - إذا كانت المعركة مع دين الله ومع أوليائه.

١٣٠ ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رُسُلٌ منكم﴾ وهو سؤال للتقرير والتسجيل والخطاب موجه إلى الجن كما هو موجه إلى الإنس ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ وهنا يتدخل المعقب على المشهد ليقول: ﴿وغرتهم الحياةُ الدُنيا وشهدُوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ وهذه شهادة على أنفسهم حيث لاتجدى المكابرة والانكار.

١٣١ ﴿ذلك أن لم يكن ربك مُهلك القُرى بظُلم..﴾ فالله لايأخذ العباد بظلمهم (أي بشركهم) إلا بعد أن يتنبهوا من غفلتهم وتقص عليهم الآيات، وينذرهم المنذرون.

معاني الكلمات:

حرجا : شديد الضيق.

يَصَّعَّدُ في السَّماء : يتكلف صعودها فلا يستطيعه.

وَغرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُنْيا: خدعتهم ببهرجها.

وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا
يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ
يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ
أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا
تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ
﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ
نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ
فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ
سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ
شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٢ ﴿ولكلٍّ درجاتٌ ممّا عملوا..﴾ وهذه حقيقة أخرى فى شأن الجزاء... للمؤمنين وللشياطين، فالمؤمنون درجات: درجة فوق درجة. وللشياطين درجات: درجة تحت درجة ! وفق الأعمال. والأعمال مرصودة لايغيب منها شئ.

١٣٣ ﴿وربُّكَ الغنيُّ ذو الرّحمة..﴾ وتتجلى رحمة الله فى الإبقاء على الجيل العاصى الظالم المشرك وهو القادر على أن يهلكه ﴿إن يشأ يُذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاءُ كما أنشأكم من ذرّيّة قوم آخرين﴾.

١٣٤ ﴿إنّ ما توعدون لآت﴾ إنكم فى يد الله وقبضته، ورهن مشيئته وقدره ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ لن تهربوا مما هو نازل بكم من العذاب.

١٣٥ ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم..﴾ وتنتهى التعقيبات بتهديد آخر ملفوف، عميق الإيحاء والتأثير فى القلوب ﴿إنّهُ لا يُفلحُ الظّالمون﴾ فهذه هى القاعدة التى لا تتخلف.. إنه لا يفلح المشركون الذين يتخذون من دون الله أولياء. وليس من دون الله ولى ولانصير .

الدرس الحادى عشر

(قضية التشريع والحاكمية)

من الآية ١٣٦ / ١٥٣

مدة الحفظ: (ثلاثة أيام)

١٣٦ ﴿وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام..﴾ وهنا يصف تصورات الجاهلية وتقاليدها فى الحرث والأنعام. أى جعلوا مما خلق الله من الزرع والأنعام نصيبا أى قسما كما جعلوا للآلهة التى يؤلهونها مع الله سبحانه وتعالى نصيبا، وما طلب الله سبحانه منهم ذلك ولاشرعه لهم وإنما هم يكذبون على الله ﴿فما كان لشركائهم فلا يصلُ إلى الله وما كان لله فهو يصلُ إلى شركائهم﴾ وهو تحيز ممقوت وتحكم فاسد فلذا قبح تعالى ذلك عليهم قائلا: ﴿ساء ما يحكمون﴾ .

١٣٧ ﴿وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم..﴾ يريد الموءودة من البنات خوف العار وكقتل الأولاد الصغار خوف الفقر أو لنذرها للآلهة وفعل الشياطين ذلك من أجل أن يردوهم أى يهلكوهم ويلبسوا عليهم دينهم الحق أن يخلطوه لهم بالشرك وهو معنى قوله تعالى ﴿ليُردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه﴾ إذا فذرهم أيها الرسول وما يفترون من الكذب.

وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن
نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾

١٣٨ ﴿وَقَالُوا هذه أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ..﴾ أى حرام ممنوعة يعنون أنها لأصنامهم لايأكل منها إلا من يشاءون بزعمهم وهم خدام الأصنام. فهم يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم، من غير أن يكون الله أذن لهم بشئ من ذلك (والحجر) الحرام.

١٣٩ ﴿وقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هذه الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا..﴾ وهذا تشريع آخر باطل اختلقوه بأنفسهم وزعموا أن الله شرعه ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حكيمٌ عليمٌ﴾ سيحاسبهم على هذا الكذب بما يستحقون من العذاب إنه حكيم فى قضائه عليم بعباده.

١٤٠ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذين قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ..﴾ خسروا الخسارة المطلقة، خسروا الدنيا والآخرة - خسروا أنفسهم وخسروا أولادهم خسروا عقولهم وخسروا أرواحهم خسروا الكرامة التى جعلها الله لهم بإطلاقهم من العبودية لغيره وضلوا الضلال الذى لاهداية فيه: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

١٤١ ﴿وَهُوَ الَّذي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ..﴾ ان الله -سبحانه- هو الذى خلق هذه الجنات ابتداء وهو الذى بث الحياة فى هذه الارض ونوعها هذا التنويع ﴿مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ متشابه فى الحجم واللون وغير متشابه فى الطعم ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِه﴾ قيل: هى فى زكاة الزرع والثمر.

١٤٢ ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا..﴾ وهى الأصناف الثمانية الآتى ذكرها، حمولة وفرشا، الحمولة: مايحمل عليها، وهو يختص بالإبل، والفرش: ما يتخذ من الوبر والصوف والشعر فراشا يفترشه الناس ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من هذه الأشياء ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ كما فعل المشركون من تحريم مالم يحرمه الله وتحليل مالم يحلله.

معانى الكلمات:

ذَرَأَ: خلق.

لِيُرْدُوهُمْ: ليهلكوهم.

وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ: ليخلطوا عليهم.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣ ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين..﴾ **وهما الكبش والنعجة** ﴿ومن المعز اثنين﴾ **وهما: التيس والعنزة. وأمر رسوله أن يحاج المفترين فى التحريم والتحليل فقال له** ﴿قل آلذكرين حرم أم الأنثيين﴾ **المراد بالذكرين: الكبش والتيس وبالأنثيين: النعجة والعنز** ﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ **وهاتوا الدليل من كلام الله تعالى.**

١٤٤ ﴿.. أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا..﴾ **هل كنتم حاضرين إذ وصاكم الله بهذا التحريم. وأعظم إثم من يحرم شيئا مما خلقه الله بغير مستند صحيح**

١٤٥ ﴿قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرمًا..﴾ **أي شيئا محرمًا** ﴿على طاعم يطعمه﴾ **اي آكل ياكله اللهم** ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ **وهى ما مات من الحيوان حتف أنفه** ﴿أو دما مسفوحا﴾ **أى مصبوبا صبا لاالدم المختلط بالعظم واللحم كالكبد والطحال** ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ **أى بخس قذر حرام** ﴿أو فسقا أهل لغير الله به﴾ **أى ماذبح ولم يذكر اسم الله عليه وذكر اسم الأصنام** ﴿فمن اضطر غير باغ﴾ **أى غير ظالم** ﴿ولا عاد﴾ **أي غير متجاوز القدر الذى أبيح له** ﴿فإن ربك غفور رحيم﴾

١٤٦ ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ **فهؤلاء اليهود حرم الله عليهم كل ذى ظفر من الحيوان - أى كل حيوان قدمه غير مشقوقة وذلك كالإبل والنعام والأوز والبط وحرم كذلك شحم البقر والغنم - إلا شحم الظهر أو الدهن الملتف بالأمعاء أو مااختلط بعظم . وكان هذا التحريم عندما بغوا فجازاهم بهذا الحرمان من الطيبات .**

معانى الكلمات:

أهل لغير الله به: **ذكر عند ذبحه اسم غير الله.**

ذي ظُفُر: **ما له إصبع.**

الحوايا: **المصارين.**

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٧ ﴿فَإِن كَذَّبُوك فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ ذو رحمة واسعة بنا وبمن كان مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه ولكن بأسه شديد.

١٤٨ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا..﴾ وهنا يواجه السياق عندما يهربون بقضية الجبر لا الاختيار وهذه القضية كثر فيها الجدل فى تاريخ الفكر الإسلامى. فكيف واجه القرآن هذه المقولة؟ ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ والله أمرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات.. فأما مشيئة الله فهى غيب ولاوسيلة لهم إليها فكيف يعلمونه؟ ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ هذا هو فصل القول في هذه القضية.

١٤٩ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ إن لم تكن لكم حجة فلله الحجة البالغة ومع هذا ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهو على ذلك قدير.

١٥٠ ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ وإن فرضنا أنهم يأتون بشهداء فلا تقرهم أنت أيها الرسول على باطلهم، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فكيف يجوز اتباعهم وهم مجرمون ضالون.

١٥١ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لاماتدعونه أنتم أنه حرمه بزعمكم. ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إنها تنقية الضمير من أوشاب الشرك. إنها القاعدة التى يرتبط على أساسها الفرد بالله علي بصيرة ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ إنها رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة ولايخافوا الفقر فالله يرزقهم جميعا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إن هذا الدين لايريد ان يعرض الناس للفتنة ثم يكلف أعصابها عنتا فى المقاومة فهو دين وقاية قبل أن يقيم الحدود ويوقع العقوبات ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ويكثر فى السياق القرآنى مجئ النهى عن هذه المنكرات الثلاثة المتتابعة: الشرك، والزنا، وقتل النفس ذلك أنها كلها جرائم قتل فى الحقيقة فالشرك: جريمة قتل للفطرة. والزنا: جريمة قتل للجماعة وقتل النفس: جريمة قتل للنفس المفردة. وقبل أن يمضي السياق فى بيان المحرمات والتكاليف يفصل بين هذا القسم والذى يليه بإبراز وصية الله وأمر توجيهه: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

معانى الكلمات:

تَخْرُصُونَ: تكذبون.

الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ: بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

إِمْلَاقٍ: فقر.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالّتي هي أحسن..﴾ كان اليتيم ضائعاً فى المجتمع العربى فى الجاهلية. وتقول الآية على من يقرب مال اليتيم ألا يقرب ماله إلا بالطريقة التي أحسن لليتيم ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ أمر بتوفية الكيل والوزنًا ﴿لا نكلّف نفسا إلاّ وسعها﴾ أى طاقتها رفعاً للحرج عن المسلم فى الكيل والوزن اذا هو نقص أوزان بغير عمد ولاتساهل ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ هذا المحرم الثالث وهو قول الزور شهادة الزور ﴿وبعهد اللّه أوفوا﴾ متضمن للمحرم الرابع وهو نكث العهد ﴿ذلكم وصاكم به لعلّكم تذكرون﴾ هذه الآية الثالثة من آيات الوصايا العشر: إشارة إلى الالتزام بالإسلام وترك ماعداه ليعدكم بذلك للتقوى وهى اتقاء غضب الرب تعالي وعذابه.

١٥٣ ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه..﴾ هذه القواعد الأساسية الواضحةهى صراط الله المستقيم، وهذا هو سبيله وليس وراءه إلا السبل التى تتفرق بمن يسلكونها عن سبيله ﴿ذلكم وصاكم به لعلّكم تتّقون﴾ فالتقوى هى مناط الاعتقاد والعمل. والتقوى هى التى تضئ بالقلوب إلى السبيل.

١٥٤ ﴿ثمّ آتينا موسى الكتاب﴾ أى ثم إننا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمد ﷺ ﴿تماما على الّذي أحسن﴾ أى أتممناه على الأمر الذى هو أحسن الأمور. وقيل المعنى: تماماً للنعمة جزاء على إحسان موسى بطاعة الله عز وجل ﴿وتفصيلا لكلّ شيء﴾ لإحكام كل شئ.

الدرس الثاني عشر
(المبادئ الأساسية فى العقيدة)
من الآية ١٥٥ إلى نهاية السورة ١٦٥
مدة الحفظ: (يوم واحد)

١٥٥ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ وهو أمر للعباد باتباع ما جاء فى القرآن الكريم من عقائد وعبادات وشرائع وأحكام فإن من اتبعه قاده إلى السعادة والكمال فى الحياتين واتقوا ترك العمل به ﴿لعلّكم ترحمون﴾

١٥٦ ﴿أن تقولوا إنّما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا..﴾ والمعنى أن الله أنزل الكتاب على رسوله ﷺ وأمره بتلاوته وإبلاغه للناس لئلا يقول الكافرون من العرب إنما أنزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل ﴿وإن كنّا عن دراستهم لغافلين﴾ إن لم نعرف لغتهم، ولم نعرف ما يقرأونه فى كتابهم، فتقوم الحجة لكم علينا فقطعا لهذه الحجة أنزلنا الكتاب

١٥٧ ﴿أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم﴾ أى من هؤلاء اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا فقال تعالي: ﴿فقد جاءكم بيّنة من ربّكم﴾ وهو القرآن الكريم فأى حجة لكم تحتجون بها عند الله يوم القيامة وإن لم تقبلوا هذه البينة وما تحمله من هدى ورحمة فقد كذبتم بآيات الله ولا أظلم ممن كذب بها.

معاني الكلمات:

وصدف عنها: أعرض عنها.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ ﴿هل ينظرون إلاَّ أن تأتيهم الملائكة..﴾ إنه التهديد الواضح الحاسم فقد مضت سنة الله بأن يكون عذاب الاستئصال حتما إذا جاءت الخارقة ثم لم يؤمن بها المكذبون ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل..﴾ ولكن لم تكسب فى إيمانهم خيرًا وأرادت أن تكسب الخير فإن ذلك لاينفعها فلا تثاب عليه. وقوله تعالى ﴿قل انتظروا إنَّا منتظرون﴾ اى مادمتم منتظرين انتظروا إنا منتظرون ساعة هلاككم فإنها آتية لا محالة.

١٥٩ ﴿إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا..﴾ أى طوائف وأحزابا وفرقًا مختلفة كاليهود والنصارى ومن يبتدع من هذه الأمة بدعًا ﴿لَّست منهم في شيء﴾ أى أنت برئ منهم وهم منك بريئون وأمرهم الى الله تعالى.

١٦٠ ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها..﴾ فلا ننقص المحسن منهم حسنة من حسناته ولانضيف الى سيئاته سيئة ما عملها. هذا حكم الله فيهم.

١٦١ ﴿قل إنَّني هداني ربِّي إلى صراط مُستقيم..﴾ هذه الآية وإلى ختام السورة أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعلن عن مفاصلته لأولئك المشركين.

١٦٢ ﴿قل إنَّ صلاتي ونُسُكي..﴾ أى ما أذبحه تقربا إلى ربى ﴿ومحياي﴾ أى ما آتيه فى حياتى ﴿ومماتي﴾ أى ما أموت عليه من الطاعات والصالحات ﴿لله ربِّ العالمين﴾ وحده.

١٦٣ ﴿لا شريك له وبذلك أُمرتُ..﴾ اى امرنى ربى ﴿وأنا أوَّلُ المُسْلمين﴾ لايسبقنى أحد أبدًا.

١٦٤ ﴿قُلْ أغَيْرَ اللَّه أبْغي ربًّا..﴾ اى أطلب إلهًا ﴿وهو ربُّ كُلِّ شيء﴾ أى مامن كائن فى هذه الحياة إلا الله ربه اى خالقه ورازقه وحافظه ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى﴾ اى لاتحمل نفس مذنبة ذنب أخرى وأن مرد الجميع الى الله تعالى.

١٦٥ ﴿وهو الَّذي جعلكُم خلائف الأرض..﴾ وهو الذى يخلف بعضكم بعضًا هذا يموت فيورث وهذا الوارث يموت فيورث وقوله ﴿ورفع بعْضكُم فوق بعض درجات﴾ أى هذا غنى وهذا فقير وهذا صحيح وهذا ضرير هذا عالم وذاك جاهل ﴿لَيبْلُوكُمْ﴾ أى يختبركم فيما آتاكم ليرى الشاكر ويرى الكافر ﴿إنَّ ربَّك سريعُ الْعقاب وإنَّهُ لغفورٌ رَّحيم﴾.

معانى الكلمات:

وكانوا شيعا: فرقا وأحزابا فى الضلال.

دينًا قيمًا: ثابتا.

ونُسُكي: عبادتى كلها.


سورة
الأعراف

سورة الأعراف

مكية : وآياتها ٢٠٦ آية

(مدة الحفظ : ٢١ يومًا)

هذه السورة

(يقول صاحب المنار) يرحمه الله :

«الأعراف مكية بالإجماع وهى أطول من سورة الأنعام، فلو كان ترتيب السبع الطوال مراعى فيه تقديم الأطول فالأطول مطلقًا لقدمت الأعراف على الأنعام والظاهر أنها نزلت دفعة واحدة مثلها» (أ. هـ).

ويقول صاحب الظلال - يرحمه الله -: «هذه سورة مكية -كسورة الأنعام - موضوعها الأساسى هو موضوع القرآن المكى. . .العقيدة، وتعرضه فى مجال التاريخ البشرى. . . فى مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والملأ الأعلى، وعائدة إلى النقطة التى انطلقت منها، وفى هذا المدى المتطاول تعرض (موكب الإيمان) من لدن آدم -عليه السلام - إلى محمد ﷺ. لقد انطلقت هذه البشرية من نقطة البدء، ممثلة فى شخصين اثنين آدم وزوجه. . أبوى البشر. .وانطلق معهما الشيطان مأذونا من الله فى غوايتهما وغواية ذراريهما ومأخوذا عليه عهد الله وعلي ذراريهما كذلك.

انطلقت البشرية من هناك. . . .من عند ربها سبحانه. . . انطلقت إلى الأرض تعمل وتسعى وتكد وتشقى، وتصلح وتفسد وتعمروتخرب. ويظل سياق السورة يتابع أفواج البشرية ، فوجًا فوجًا إلى جنة أو إلى نار. حتى تغلق الأبواب التى فتحت لاستقبال المغتربين العائدين فقد كانوا هناك فى هذه الأرض مغتربين: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

وبين الغدو والرواح تعرض معارك الحق والباطل. معارك الهدى والضلال معارك الرهط الكريم من الرسل والموكب الكريم من المؤمنين مع الملأ المستكبرين والأتباع المستخفين.

إنها قصة البشرية بجملتها فى رحلتها ذهابا وإيابا. تتمثل فيها حركة هذه العقيدة فى تاريخ البشرية ونتائج هذه الحركة في مداها المتطاول. حتى تنتهى إلى غايتها الأخيرة فى نقطة المنطلق الأولى. وهي وجهة أخرى فى عرض موضوع العقيدة غير وجهة سورة

الأنعام - وإن تلاقت السورتان أحيانا فى عرض مشاهد المكذبين وعرض مشاهد القيامة ومشاهد الوجود - وهو مجال آخر للعرض غير مجال الأنعام واضح التمييز مختلف الحدود. وعن التعبير فى كل سورة يناسب منهجها فى عرض الموضوع. وبينما يمضى السياق فى الانعام. موجات متدافعة، وبينما تبلغ المشاهد دائما درجة اللألاء والتوهج والالتماع. وتبلغ الإيقاعات درجة الرنين والسرعة القاصفة والاندفاع ... إذ السياق فى الأعراف يمضى هادئ الخطو، سهل الإيقاع، تقريرى الأسلوب. وقد يشتد الإيقاع، أحيانا فى مواقف التعقيب، ولكنه سرعان مايعود إلى الخطو الوئيد الرتيب».

وعن سورة الأعراف أيضا يقول الشيخ محمد الغزالى - يرحمه الله -: «بدأت سورة الأعراف بحديث مجمل عن قضيتين : الأولى تتصل بالقرآن الكريم والثانية: فى المنكرين له والمكذبين جملة بالوحى الإلهى.

ففى القضية الأولى: نزل قوله تعالى ﴿**كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢ , ٣].

والحرج المنهّى منه يجئ من سوء استقبال المشركين لمن يريد هدايتهم وتزهيدهم فى مواريثهم. والإنذار إعلام مع تخويف، والمطلوب من المستمعين عامة أن يتبعوا الكتاب الناصح لهم، ويهجروا ما عداه من تقاليد لا خير فيها، مهما كان مصدرها. فإن الأولياء المتبعين من دون الله لن يجيئوا بخير فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وقد تحدثت السورة بعدئذ عن الكتاب فى جملة مواضع فهو ذكرى للمؤمنين ونماء لعقولهم ورحمة تهبط عليهم.

أما القضية الثانية : التى افتتحت بها السورة فهى تُدرك من قوله تعالى ﴿**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ [الأعراف ٤ , ٥] وهلاك القرى التى تمردت على المرسلين سنة وعاها التاريخ . وقد فصلت سورة الأعراف ماوقع لعاد وثمود ومدين، وقوم نوح وقوم لوط. ويظهرأن الله سبحانه وتعالى أرسل الأنبياء الأولين لعرب الجزيرة شمالاً وجنوبا، فلما كفر أولئك العرب وآذوا رسلهم دمر الله عليهم وأباد خضراءهم ثم آتى موسى الكتاب ليهدى به مصر، وبنى إسرائيل، وشرح مواقف الفراعنة واليهود شرحًا واسعًا.

فلما زاغوا عن الصراط ورفضوا هدايات الله أوقع بهم بطشه.

* ثم عاد الوحى الخاتم مرة أخرى إلى وسط الجزيرة، واستطاع محمد ﷺ بفضل الله

أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأن يجعل من العرب الذين اهتدوا به أمة وسطا ورثت الوحى إلى قيام الساعة ولازال وحيها مصونا وكتابها قائما.

* والمهم أن يقدر العرب رسالتهم، وأن يعرفوا نفاسة الميراث الذى اختصهم الله به عندما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ [فاطر: ٣٢].

* وبين الله سبحانه في صدر السورة أن الحساب الجامع سوف يبتّ فى مصير كل إنسان ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ لكن هذا البيان الموجز أعقبه بعد قليل تفصيل كاشف عن مصاير الطوائف المختلفة التى اختصمت فى ربها علي صعيد الأرض. فهناك أولا المؤمنون، ثم أصحاب الأعراف ثم الكافرون. وقد جرى حوار بين هؤلاء وأولئك.

* واختصت هذه السورة بذكر أصحاب الأعراف ومنهم أخذت اسمها. والشائع بين المفسرين أن هؤلاء قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فانتظروا حتى يُبتّ فى أمرهم!

* وأرى أن أصحاب الأعراف هم الدعاة والشهداء الذين بلغوا رسالات الأنبياء وقادوا الأمم إلى الخير، وحديث القرآن الكريم عنهم يرجح هذا الفهم فهم يتكلمون بثقة ويوبخون المذنبين على ما اقترفوا ويستعيذون بالله من مصيرهم.

* أطنبت سورة الأعراف فى ذكر الأمم التي تمردت على الوحى فصرعها بغيها. ويلاحظ أن أغلب هذه الأمم فى المناطق العربية! فقوم نوح بالعراق، وعاد باليمن وما جاورها، وثمود بأعلى الحجاز، ومدين بين سيناء والأردن، وقوم لوط شرق فلسطين، وهؤلاء جميعا قاوموا المرسلين وجحدوا ماجاءوا به.

* وسبقت قصة آدم قصص هؤلاء كلهم.

* إن هذه السورة قصت فى أوائلها كيف نجح الشيطان فى إخراج آدم من الجنة وبيَّنت أن محاولاته لتضليل بنيه لن تنتهى! لكن الشيطان لا يملك أكثر من الوسوسة. وما دام الإنسان مؤمنا فستنهزم الوساوس وترتد مدحورة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ أ. هـ.

الدرس الأول

(خطاب إلى رسول الله ولقومه وإلى كل قوم)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾

إلى الآية رقم (٩) قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ . . . ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

* فى هذا الدرس يوجه الله -سبحانه- هذا التكليف إلى رسول الله ﷺ بأن هذا الكتاب الذى أنزل إليك للإنذار والتذكر. كتاب للصدع بما فيه من الحق ولمواجهة الناس بما لايحبون ولمجابهة عقائد وتقاليد وارتباطات ولمعارضة نظم وأوضاع ومجتمعات فالحرج في طريقه كثير والمشقة فى الإنذار به قائمه. ﴿كتابٌ أُنزِل إليْك فلا يكُن في صدرك حرج منهُ لتُنذر به وذكرى للمؤمنين﴾.

* كما يوجه أيضا الخطاب إلى قومه المخاطبين بهذا القرآن أول مرة وإلى كل قوم يواجههم الإسلام ليخرجهم من الجاهلية: ﴿اتَّبعُوا ما أُنزِل إليكُم من ربكُم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾.

* ويمضى السياق بعد ذلك فيهز الضمائر هزًا عنيفًا، ويوقظ الأعصاب إيقاظًا شديدًا ويرج الجبلات السادرة فى الجاهلية.... ذلك بأن يعرض عليها مصارع الغابرين من المكذبين فى الدنيا ومصائرهم كذلك فى الآخرة، لأنها خير مذكر، وخير منذر ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتًا أو هُم قائلُون﴾.

* وينتقل السياق إلى ساحة الآخرة بلا توقف ولافاصل: ﴿فلنسئلنَّ الَّذين أُرسل إليهم ولنسئلنَّ المُرسَلين﴾.

وفى نهاية الدرس توضيح أنه لا مغالطة في الوزن ولاتلبيس في الحكم ولا الجدل الذى يذهب بصحة الأحكام والموازين. ﴿والوزنُ يومئذ الحقُّ فمن ثقُلت موازينُهُ فأُولئك هُمُ المُفلحُون * ومنْ خفَّتْ موازينُهُ فأُولئك الَّذين خسرُوا أنفُسهُم بما كانُوا بآياتنا يظلمُون﴾

تفسير آيات هذا الدرس صفحة رقم (١٨٠)

الدرس الثانى (الرحلة الكبرى)

من الآية رقم (١٠) قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ﴾

إلى الآية رقم (٢٥) قوله تعالى ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

* من هنا تبدأ الرحلة الكبرى... تبدأ بتمهيد عن تمكين الله للجنس البشرى فى الأرض كحقيقة مطلقة، وذلك قبل أن تبدأ قصة البشرية تفصيلاً. ﴿ولقد مكَّنَّاكُمْ في الأرْضِ وجَعَلْنا لكُمْ فيها معايش قليلاً مَا تشكُرُون﴾.

[ولولا تمكين الله للإنسان فى الأرض بهذا وذلك ما استطاع هذا المخلوق الضعيف القوة أن يواجه القوى الكونية الهائلة الساحقة]

* بعد ذلك تبدأ قصة البشرية بأحداثها المثيرة... تبدأ بإعلان ميلاد الإنسان فى احتفال مهيب، فى رحاب الملأ الأعلى.. يعلنه الملك العزيز الجليل العظيم: ﴿ولقد خلقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنا للْملائكة اسْجُدُوا لآدم..﴾.

فأما الملائكة - وهم الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون -فقد سجدوا مطيعين منفذين لأمر الله. وأما إبليس فقد امتنع وعصا وعليه نجد هنا ثلاثة نماذج من خلق الله: نموذج الطاعة المطلقة، ونموذج العصيان المطلق، والطبيعة البشرية وأن لها خصائص وصفات مزدوجة. لقد جعل الله -سبحانه -لإبليس وقبيله فرصة الإغواء. وجعل لآدم وذريته فرصة الاختيار تحقيقا للابتلاء.

* ينظر الله -سبحانه - بعد طرد إبليس من الجنة هذه الطردة - إلى آدم وزوجته.... فيتجه الخطاب لهما، ليعهد إليهما بأمره فى حياتهما، ولتبدأ تربيته لهما وإعدادهما لدورهما الأساسى، وهو دور الخلافة فى الأرض. ﴿ويَا آدمُ اسْكُنْ أنت وزوْجُك الْجنَّة فكُلا منْ حيْثُ شئْتُمَا ولا تقْربَا هذه الشَّجرة فتكُونا من الظَّالمين﴾.

* وبدأ إبليس يؤدى دوره الذى تمخض له، وراح يداعب له شهوات معينة، فمن شهواته يمكن أن يقاد، ونسى آدم وزوجه - تحت تأثير الشهوة الدافعة فى حب الخلود وعدم الموت: ﴿وقال ما نهاكُما ربُّكُما عنْ هذه الشَّجرة إلاَّ أن تكُونا ملكيْن أوْ تكُونا من الْخالدين﴾ وتنتهى الجولة الأولى لتتبعها جولات وجولات، ينتصر فيها الإنسان ما عاذ بربه... وينهزم فيها ماتولى عدوه. فالإنسان حين يخلص عبوديته لله - يعرج إلى السماوات العلى ويتجاوز الملائكة وحين يتخذ إلهه هواه يهبط إلى الوحل الحيوانى.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٠) إلى صفحة رقم (١٨٢)

الدرس الثالث

(المعركة بين الشيطان والبشرية)

من الآية (٢٦) قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ... ﴾

إلى الآية (٣٤) قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ ... ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

* هذه وقفة من وقفات التعقيب في سياق السورة. وهي وقفة طويلة بعد المشهد الأول في قصة البشرية الكبرى. والوقفة هنا لنتدبر ما في هذه الرحلة من عبرة قبل ان نمضي قدمًا في الرحلة الكبرى.

وهي وقفة في مواجهة المعركة التي بانت طلائعها بين الشيطان والبشرية. وقفة للتحذير من أساليب الشيطان ومداخله، ولكشف خطته ماكان منها ومايكون متمثلاً في صوروأشكال شتى....

* يبتدئ هذا الدرس بالنداء الأول تذكيرًا لبني آدم بذلك المشهد الذي عاناه أبواهم، وبنعمة الله في انزال اللباس الذي يستر العورة والرياش الذي يتجمل به ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا﴾

* والنداء الثاني فهو التحذير لبني آدم عامة وللمشركين الذين يواجههم الإسلام في الطليعة. أن يستسلموا للشيطان، فيما يتخذونه لأنفسهم من مناهج وشرائع وتقاليد.

* ثم يتكرر النداء إلى ﴿بني آدم﴾ في هذه الوقفة كذلك، قبل أن يتابع السياق الرحلة المديدة، في الطريق المرسوم: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾

إن قضية اللباس والأزياء ليست منفصلة عن شرع الله ومنهجه للحياة... ومن ثم ذلك الربط بينها وبين قضية الإيمان والشرك في السياق. إن الله لم يحرم الزينة ولكن حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن...

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٢) إلى صفحة رقم (١٨٣)

الدرس الرابع

(قضية التلقي والاتباع فى شعائر الله)

من الآيةرقم(٣٥) قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ... ﴾

إلى الآية(٥٣) قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ ... ﴾

مدة الحفظ(يومان)

* يبدأ هذا الدرس بنداء جديد لبنى آدم... نداء بشأن القضية الكلية التي ربطت بها قضية اللباس فى الوقفة السابقة.. قضية التلقى والاتباع فى شعائر الدين وفى شرائعه، وفى أمر الحياة كلها وأوضاعها.. وذلك لتحديد الجهة التى يتلقون منها... إنها جهة الرسل المبلغين عن ربهم. وعلى أساس الاستجابة أو عدم الاستجابة للرسل يكون الحساب والجزاء، في نهاية الرحلة التى يعرضها السياق فى هذه الجولة ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

* وتبدأ قصته فى الملأ الأعلى، على مشهد من الملائكة-يوم أن خلق الله آدم وزوجته وأسكنهما الجنة فدلاهما الشيطان عن مرتبة الطاعة والعبودية الكاملة الخالصة وأخرجهما من الجنة-وتنتهى كذلك فى الملأ الأعلى على مشهد من الملائكة فيتصل البدء بالنهاية. ويضمان بينهما فترة الحياة الدنيا ومشهد الاحتضار فى نهايتها وهو يتسق فى الوسط مع البدء والنهاية كل الاتساق تبدأ المشاهد بمشهد الاحتضار. احتضارالذين افتروا على الله الكذب: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.

واذا انتهى مشهد الاحتضار فنحن أمام المشهد التالى وهؤلاء المحتضرون فى النار: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ وبعد انتهاء المشهد الساخر الأليم، ليتبعه تقرير وتوكيد لهذا المصير الذى لن يتبدل-وذلك قبل عرض المشهد المقابل للمؤمنين فى دار النعيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

والمشهد المقابل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

إنه التقابل التام بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

ويستمر العـرض وأخيراً يأتي صوت من قبل النار ملؤه الرجـاء والاستجداء: ﴿ونادى أصْحابُ النَّار أصْحاب الْجنَّة أنْ أفِيضُوا علَيْنا من الْماء أوْ ممَّا رزقكُمُ اللَّهُ﴾.

ونسمع صوتاً آخر ملؤه التذكير الأليم المرير: ﴿قالُوا إنَّ اللَّه حرَّمهُما على الْكافرين﴾.

وتتوالى صـفحات المشهـد جيئة وذهـاباً. لمحة فى الآخرة ولمحة فى الدنيـا، لمحة مع المعـذبين في النار... ولمحة مـعهم-وهم بعـد فى الدنيا-ينتظـرون مآل الكتـاب وعاقـبة ماجاءهم فيه من النذير.

إنها رحلة الحياة كلها، ورحلة الحشر والحساب والجزاء بعدها ومن قبل كنا مع البشرية فى نشأتها الأولى، وفى هبوطها إلى الأرض وسيرها فيها.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٣) إلى صفحة رقم (١٨٦)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٣٥	٤٤
	إلى	٤٣	٥٣

الدرس الخامس

(رحلة فى ضمير الكون وفى صفحته المعروضة للأنظار)

من الآية رقم (٥٤) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ .. ﴾

إلى الآية (٥٨) قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ .. ﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

* بعد الرحلة الواسعة الآماد، من المنشأ إلى المعاد، يأخذ السياق بأيدى البشر إلى رحلة أخرى فى ضمير الكون، وفى صفحته المعروضة للأنظار، فيعرض قصة خلق السماوات والأرض بعد قصة خلق الإنسان.

* وفى ظل تلك المشاهد، وفى مواجهة هذا الإيقاع يدعوهم: ﴿ادعُوا ربكُم تضرُّعًا وخُفْيَةً إنَّهُ لا يُحبُّ المُعْتدين﴾ إنه التوجيه فى أنسب حالة نفسية صالحة إلى الدعاء والإنابة.

* ومرة أخرى يفتح السياق للقلب البشرى صفحة من صفحات الكون المعروضة للأنظار، ولكن القلوب تمر بها غافلة بليدة، لاتسمع نطقها ولاتستشعر إيقاعها.

* ويختم السياق هذه الرحلة فى أقطار الكون وأسرار الوجود بمثل يضربه للطيب وللخبيث من القلوب ينتزعه من جو المشهد المعروض: ﴿والبلدُ الطَّيِّبُ يخرُجُ نباتُهُ بإذن ربِّه والَّذي خبُث لا يخْرُجُ إلاَّ نكدًا﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٨٦) إلى صفحة رقم (١٨٧)

الدرس السادس
(مع موكب الإيمان وهو يواجه البشرية فى رحلتها الطويلة على كوكب الأرض)

من الآيةرقم(٥٩) قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ .. ﴾

إلى الآيةرقم(٩٣) قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ .. ﴾

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

إن موكب الإيمان الذى يسير فى مقدمته رسل الله الكرام، مسبوق فى السياق بموكب الإيمان فى الكون كله فى الفقرة السابقة مباشرة.

إن الرسل الكرام لايدعون البشرية لأمر شاذ إنما يدعونهم إلى الأصل الذى يقوم عليه الوجود كله.... ويبدأ الدرس بعرض قصة نوح -عليه السلام- باختصار، ليست فيها التفصيلات التي ترد فى مواضع أخرى من القرآن.

* وتمضى عجلة التاريخ ويمضى معها السياق فإذا نحن أمام عاد قوم هود. إنها نفس الرسالة، ونفس الحوار، ونفس العاقبة وتطوى صفحة أخرى من صحائف المكذبين وتحقق النذير مرة أخرى بعد إذ لم ينفع التذكير.

* وتأتى صفحة أخرى من صحائف البشرية وهى تمضى فى خضم التاريخ إنها ثمود وأخوهم صالحاً. ذات الكلمة الواحدة التي بها بدأ هذا الخلق وإليها يعود. نفس المنهج الواحد فى الاعتقاد والاتجاه والمواجهة والتبليغ.

* ويأتى عهد إبراهيم -عليه السلام- ولكن السياق لايتعرض هنا لقصة إبراهيم ذلك أن السياق يتحرى مصارع المكذبين، متناسقاً مع ماجاء فى أول السورة ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.. وهذا القصص إنما هو تفصيل لهذا الإجمال فى إهلاك القرى التى كذبت بالنذير.. وقوم إبراهيم لم يهلكوا لأن إبراهيم-عليه السلام- لم يطلب من ربه هلاكهم. بل اعتزلهم ومايدعون من دون الله. إنما تجئ هنا قصة قوم لوط - ابن أخ إبراهيم - ومعاصره بما فيها من إنذار وتكذيب وإهلاك، وتكشف لنا هذه القصة عن لون خاص من انحراف الفطرة.

* وتأتى الصفحة الأخيرة من صحائف الأقوام المكذبة في تلك الحقبة من التاريخ... صفحة مدين وأخيهم شعيب. وتطوى صفحتهم مشبعة بالتبكيت والإهمال والمفارقة والانفصال من رسولهم الذى كان أخاهم ثم افترق طريقه عن طريقهم فافترق مصيره عن مصيرهم حتى لم يعد يأسى على مصيرهم وعلى ضيعتهم فى الغابرين.

تفسير آيات هذا الدرس
من صفحة رقم (١٨٧) إلى صفحة رقم (١٩١)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	٥٩	٧٣	٧٩
	إلى	٧٢	٧٨	٩٣

الدرس السابع

(سنة الله فى الابتلاء)

من الآية(٩٤) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ ..﴾

إلى الآية رقم(١٠٢) قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ..﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

هذه وقفة فى سياق السورة للتعقيب على مامضى من قصص قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب. . . وقفة لبيان سنة الله التى جرت بها مشيئته وحققها قدره بالمكذبين فى كل قرية. . . أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله، فإذا لم يستجيبوا أخذهم بالنعماء والسراء وفتح عليهم الأبواب. . كل ذلك للابتلاء. . . حتى يدركوا حكمة الله فى الابتلاء والضراء، ولو أنهم آمنوا بالله واتقوه لتبدلت الحال، ولحلت عليهم البركات ولأفاض الله عليهم من رزقه فى السماء والأرض ولأنعم عليهم نعيمه المبارك الذى تطمئن به الحياة، ولايعقبه النكال والبوار.

* ثم يحذر الذين يرثون الأرض من بعد أهلها. . . يحذرهم الغفلة والعزة، ويدعوهم إلى اليقظة والتقوى: **﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾**

وتنتهى الوقفة بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ **﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾** لإظهاره على سنة الله فيها، وعلى حقيقة هذه القرى وأهلها **﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾** فهذا الرسول الأخير وأمته هم الوارثون لحصيلة رسالة الله كلها وهم الذين يفيدون من أبنائها وعظاتها.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩١) إلى صفحة رقم (١٩٢)

الدرس الثامن
(قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون وملئه)

من الآية رقم (١٠٣) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ..﴾

إلى الآية رقم (١٣٧) قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ..﴾

مدة الحفظ (خمسة أيام)

* يتضمن هذا الدرس قصة موسى-عليه السلام-مع فرعون وملئه. من حلقة مواجهتهم بربوبية الله تعالى للعالمين، إلى حلقة إغراقهم أجمعين.

وما بين هذه وتلك من المباراة مع السحرة. وغلبة الحق على الباطل. وإيمان السحرة برب العالمين رب موسى وهارون. وتوعد فرعون لهم بالعذاب والتقتيل والتنكيل. واستعلاء الحق فى نفوسهم على التوعد وانتصار العقيدة فى قلوبهم على حب الحياة. ثم ماتلا ذلك من التنكيل ببنى اسرائيل. وأخذ الله لفرعون وملئه بالسنين ونقص من الثمرات ثم أخذهم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. وهم يستغيثون بموسى فى كل مرة أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب. حتى إذا رفع عنهم عادوا لما كانوا فيه، وأعلنوا أنهم لن يؤمنوا مهما جاءهم من الآيات حتى حقت عليهم كلمة الله فى النهاية فأغرقوا فى اليم بتكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن حكمة ابتلائه.

ثم إعطاء الخلافة فى الأرض لقوم موسى جزاء على صبرهم واجتيازهم ابتلاء الشدة. لتعقبها فتنة الرخاء.

ونجد هنا فى هذا القطاع قصة موسى مع ملئه كما أوضحنا عاليه. والقصة تبدأ بمجمل عن بدئها ونهاياتها، يوحى بالغرض الذى جاءت من أجله فى سياق القصة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٢) إلى صفحة رقم (١٩٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس
آيات الحفظ	من	١٠٣	١١٣	١٢٣	١٢٩	١٣٤
	إلى	١١٢	١٢٢	١٢٨	١٣٣	١٣٧

الدرس التاسع

(قصة موسى -عليه السلام- مع قومه بنى إسرائيل)

من الآية رقم(١٣٨) قوله تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ..﴾

إلى الآيةرقم(١٧١) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ..﴾

مدة الحفظ (خمسة أيام)

* فى هذا الدرس تمضى قصة موسى-عليه السلام- فى حلقة أخرى...مع قومه بعد أن أنجاهم الله من عدوهم، وأغرق فرعون وملأه، ودمر ماكانوا يصنعون وماكانوا يعرشون.

والمعركة التي يواجهها هنا موسى معركة مع (النفس البشرية) يواجهها مع رواسب الجاهلية في النفس، ويواجهها مع رواسب الذل الذى أفسد طبيعة بنى إسرائيل وملأها بالالتواء من ناحية، وبالقسوة من ناحية، وبالجبن من ناحية، وبالضعف عن حمل التبعات من ناحية. وتركها مهلهلة بين هذه النزعات جميعا.

لقد عاش بنو إسرائيل فى هذا العذاب طويلاً، وفسدت نفوسهم، وفسدت طبيعتهم، والتوت فطرتهم، وانحرفت تصوراتهم، وامتلأت نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالحقد والقسوة من الجانب الآخر. ولقد ضربت أبشارهم حتى ذلوا. بل كان ضرب الأبشار هو أخف ما يتعرضون له من الأذى فى فترات الرخاء.

عملية استصلاح نفوس بنى إسرائيل من ذل الطاغوت الفرعونى هى التى سيواجهها موسى -عليه السلام- وسنرى متاعبه فى المحاولة الضخمة التي يحاولها. وسنرى من متاعب موسى -عليه السلام- متاعب كل صاحب دعوة، يواجه نفوساً طال عليها الأمد وهى تستمرىء حياة الذل تحت قهر الطاغوت.

إن هذا المشهد هو المشهد السابع في القصة-مشهد بني إسرائيل بعد تجاوزالبحر: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ ويغضب موسى، ويكشف لهم سوء المغبة فيما يطلبونه.

* وينتهى المشهد السابع ليبدأ المشهد الثامن الذى يليه..مشهد تهيؤ موسى-عليه السلام-للقاء ربه العظيم واستعداده للموقف الهائل بين يديه في هذه الحياة الدنيا ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وكانت هذه فترة

يروض فيها موسى نفسه على اللقاء الموعود حتى أنه يقول المفسرون أن موسى صامها فلما تم الميقات (استاك بلحاء شجرة) فأمره الله تعالى أن يكمل العشرة أربعين.

* وبعد ذلك يأتي المشهد التاسع. المشهد الفذ الذى اختص الله به موسى -عليه السلام- مشهد الخطاب المباشر بين الجليل -سبحانه- وعبدمن عباده ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

وفي نهاية المشهد والتكليم يجئ بيان لعاقبة الذين يتكبرون فى الأرض بغير حق ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾ ومايتكبر عبد من عبيد الله في أرضه بالحق أبداً.

* ويفاجئنا السياق القرآنى بنقلة بعيدة من المشهد التاسع إلى المشهد العاشر نقلة هائلة من الجو العلوى السامق المشرق، إلى الجو الهابط المتردى بانحرافاته ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾.

* كل ذلك وموسى -عليه السلام- بين يدى ربه فى مناجاة وكلام وهنا يرفع الستارعن الموقف (الحادى عشر) لقد عاد موسى إلى قومه غضبان أشد الغضب وحق له أن يغضب وينتهى هذا الموقف بكل انفعالاته بالحكم الفاصل ممن يملكه سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

* ويمضى السياق فإذا نحن أمام مشهد جديد (الثانى عشر) مشهد موسى وسبعين من قومه مختارين للقاء ربه. وينتهى بهم الأمر أن تأخذهم الرجفة فصعقوا لأنهم طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة ليصدقوه فيما جاءهم.

* ثم تمضى القصة ونعرف من سياقها أن الله أحياهم بعد الرجفة فعادوا إلى قومهم مؤمنين.

* وتمضى القصة فى أحداثها بعد الرجفة: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا..﴾ وتتجلى رعاية الله بموسى وقومه فى تنظيمهم حسب فروعهم فى اثنتى عشرة أمة -أي جماعة كبيرة- ترجع كل جماعة منها إلى حفيد من حفداء جدهم يعقوب.. وهو إسرائيل -وقد كانوا محتفظين بأنسابهم على الطريقة القبلية.

* ونرى بعد ذلك كيف تلقى بنوا إسرائيل رعاية الله لهم!!.. ها هم أولاء تلتوى بهم طبيعتهم عن استقامة الطريق، ويعصون الأمر، ويبدلون القول.

* ويجئ معصية القوم مرة أخرى يوم سبتهم وهو الابتلاء فلا يصبرون عليه ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

شُرَّعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ ولقد انقسم سكان القرية إلى ثلاث أمم: (أمـة عاصية، وأمة تقف فى وجه المعصية، وأمة تدع المنكر وأهله).

* ثم تمضى خطوات القصـة مع خطوات التاريخ من بعد موسى وخلفـائه مع الأجيال التالية لبنى إسرائيل الي الجيل الذى كان يواجه الرسول ﷺ والجماعة المسلمة فى المدينة.

* وفى ختام حلقـات القصة في هذه السورة يذكر كيف كـان الله. قد أخذ على بني إسرائيل الميثاق: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾.

ولكن إسرائيل هى اسـرائيل! نقضت الميثـاق، ونسيت الله ولجت في المعصيـة، حتى استحقت غضب الله ولعنته.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (١٩٥) إلى صفحة رقم (٢٠٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس
آيات الحفظ	من	١٣٨	١٤٥	١٥٢	١٥٧	١٦٣
	إلى	١٤٤	١٥١	١٥٦	١٦٢	١٧١

الدرس العاشر
(قضية التوحيد والشرك)

من الآية رقم (١٧٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ .. ﴾

إلى الآية رقم (١٩٨) قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا .. ﴾

مدة الحفظ (يومان)

هذا الدرس كله يدور حول قضية التوحيد والشرك. بعدما دار قصص السورة كله حول هذه القضية.

فالآن في هذا الدرس تعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة، وزاوية عميقة.. تعرض من زاويته الفطرة التي فطر الله عليها البشر. ويتخذ السياق خطوطاً شتى حول هذه القضية الكبرى:

* **منها خط قصصى:** عن حالة ترد بعض الروايات بأنها وقعت فى تاريخ بني إسرائيل.

ومنها خط قصصى آخر: وهى تصويرية لخطوات انحراف الفطرة من التوحيد الي الشرك.

ومنها خط تصويري لتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية فى الكينونة البشرية.

ومنها خط إيحائى لاستجاشة هذه الأجهزة المعطلة وإيقاظها للتدبر والتفكير.

ومنها خط جدلى حول آلهتهم المدعاة وهى مجردة من خصائص الإلهية.

وهذا الدرس يبدأ بقضية الميثاق الأكبر الذى أخذه الله على فطرة البشر. فى مشهد لايدانيه فى الجلال والروعة، مشهد الجبل المرفوع).

وينتهى هذا كله بتوجيه الرسول ﷺ إلى تحديهم وتحدى آلهتهم وإعلان مفاصلته ومفارقته لهم ولمعبوداتهم وعباداتهم والالتجاء إلى الولى الذى لاولى غيره ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٢٠٢) إلى صفحة رقم (٢٠٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	١٧٢	١٨٤
	إلى	١٨٣	١٩٨

الدرس الحادى عشر

(توجيهات ربانية إلى أولياء الله الصالحين)

من الآيةرقم (١٩٩) قوله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

إلى الآية رقم (٢٠٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ .. ﴾

مدة الحفظ (يوم واحد)

تجئ هذه التوجيهات الربانية إلى نهاية السورة من الله سبحانه إلى أوليائه هذه التوجيهات الربانية في مواجهة تلك الجاهلية الفاحشة، وفي مواجهة هذه البشرية الضالة.

ثم يعرف رسوله ﷺ بطبيعة أولئك الجاهلين، والوسوسة التى وراءهم والتى تمدهم فى الغى والضلال.

وبمناسبة هذه الإشارة إلى ما أوحاه إليه ربه من القرآن، يجئ توجيه المؤمنين إلى أدب الاستماع لهذا القرآن، وأدب ذكر الله، مع التنبيه إلى مداومة هذا الذكر، وعدم الغفلة عنه. فإن الملائكة الذين لا يخطئون يذكرون ويسبحون ويسجدون، فما أولى بالبشر الخطائين أن لايغفلوا عن الذكر والتسبيح والسجود.

﴿وإذا قُرئَ القُرآنُ فاستَمِعُوا لهُ وأنصِتُوا لعلكُمْ تُرحَمُونَ * واذكُر ربَّكَ في نفسكَ تضرُّعًا وخيفةً ودُونَ الجهرِ من القولِ بالغُدُوِّ والآصالِ ولا تكُن منَ الغافلينَ * إنَّ الذين عند ربِّكَ لا يستكبِرُونَ عن عبادتِهِ ويُسبِّحُونهُ ولهُ يسجُدُونَ﴾

تفسير آيات هذا الدرس صفحة رقم (٢٠٥)

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٥) فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (١٠) وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١)

الدرس الأول

(خطاب إلى رسول الله ﷺ)

من الآية ١ / ٩

مدة الحفظ: (يوم واحد)

١ ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. وقد تقدم الكلام عن هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

٢ ﴿كتابٌ أنزلَ إليكَ ..﴾ كتاب أنزل إليك للإنذار والتذكير... كتاب للصدع بما فيه من الحق... ﴿فلا يكُن في صدرك حرجٌ منْهُ﴾ أي ضيق منه ﴿لتُنذر به وذكرى للمُؤمنين﴾ لتنذر قومك عواقب شركهم وضلالهم وتذكر به المؤمنين منهم. لقد جاء هذا الكتاب ليغير وجه العالم وليقيم عالمًا آخر يقر فيه سلطان الله وحده ويبطل سلطان الطواغيت.

٣ ﴿اتبعُوا ما أُنزلَ إليْكُم مَن رَّبكُمْ﴾ وفي الوقت الذي وجه الله - سبحانه - هذا التكليف إلى رسوله، وجه إلى قومه المخاطبين بهذا القرآن أول مرة وإلى كل قوم يواجههم الإسلام ليخرجهم من الجاهلية. إنه إما اتباع لما أنزله الله فهو الإسلام.. وإما اتباع للأولياء من دونه فهو الشرك ﴿ولا تتَّبعُوا من دُونه أوْليَاءَ﴾ قليلاً ما تتعظون فترجعون إلى الحق.

٤ ﴿وكم مِّن قرْيةٍ أهْلكْناها﴾ إن مصارع الغابرين خير مذكر.. وخير منذر.. ثم ماالذي حدث ؟ ﴿فجاءها بأسُنا بيَاتًا أوْ هُمْ قائلُونَ﴾ أي جاءها عذابنا ليلاً أو نهارًا.

٥ ﴿فما كانَ دعْواهُمْ ..﴾ ولم يكن لهم دعوى يدعونها إلا الإقرار ﴿إلاَّ أن قالُوا إنَّا كُنَّا ظالمينَ﴾ فياله من موقف مذهل، رعيب، مخيف، والظلم هو الشرك.

٦ ﴿فلنَسْئلنَّ الَّذين أُرْسلَ إليْهمْ ..﴾ سيسأل المولى تعالى إذا جمع الخلائق لفصل القضاء إنه يسأل كل أمة أوجماعة أو فرد أرسل إليهم رسله، كما يسأل الرسل أيضا هل بلغوا ما ائتمنهم عليه من رسالته ؟

٧ ﴿فلنقُصَّنَّ عليْهم بعلْمٍ ..﴾ كل شئ أحصاه الله ونسوه فلا يخفى عليه شئ

٨ ﴿والوزْنُ يوْمئذ الحقُّ ..﴾ فلا مجال للمغالطة في الوزن ولا التلبيس في الحكم ولا الجدال الذي يذهب بصحة الأحكام ولا الموازين ﴿فمن ثقُلَتْ موازينُهُ فأُولَئكَ هُمُ المُفْلحُونَ﴾ افلح بالنجاة من النار ودخول الجنة.

٩ ﴿ومَنْ خفَّتْ موازينُهُ ..﴾ ومن خفت لقلة حسناته وكثرة سيئاته خسر نفسه بإلقائه في جهنم ليخلد في عذاب أبدي.

معاني الكلمات:

بأسُنا: عذابنا.

بيَاتًا: ليلاً وهم نائمون.

الدرس الثاني

(الرحلة الكبرى)

من الآية ١٠ / ٢٥

مدة الحفظ (يوم واحد)

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٠ ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ إن خالق الأرض وخالق الناس هو الذى مكن لهذا الجنس البشرى فى الأرض وجعلها مقرًا صالحًا لنشأته بجوها وتركيبها وحجمها وبعدها عن الشمس والقمر.. وأودع فيها الأقوات والأرزاق ومن القوى والطاقات ما يسمح بنشأة هذا الجنس وحياته. ولكن الناس قليلاً ما يشكرون.

١١ ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ..﴾ خلقنا أباكم آدم من طين ثم صورناه بالصورة البشرية التي ورثها بنوه عنه وأمر الملائكة بالسجود فسجدوا مطيعين منفذين لأمر الله لايترددون ولايستكبرون.. وأما إبليس فقد امتنع عن تنفيذ الأمر وعصاه. وكذلك نجد في المشهد ثلاثة نماذج من خلق الله : نموذج الطاعة المطلقة ونموذج العصيان المطلق وطبيعة ثالثة وهى الطبيعة البشرية.

١٢ ﴿قال ما منعك ألأ تسجد إذ أمرتك..﴾ لقد جعل إبليس له رأيا وجعل لنفسه حقًا ﴿قال أنا خير منه﴾ فأنا أشرف منه فكيف أسجد له.

١٣ ﴿قال فاهبط منها ..﴾ أى من السماء التى هى محل المطيعين من الملائكة الذين لايعصون الله فيما أمرهم إلى الأرض لأن السماء لاتصلح لمن يتكبر ويعصى أمر ربه مثلك فاخرج من الجنة.

١٤ ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ ولكن الشرير العنيد لاينسى أن آدم سبب الطرد والغضب ولايستسلم لمصيره دون أن ينتقم وفق طبيعة الشر التى تمخضت فيه. ﴿أنظرني﴾ أى امهلني لاتمتنى ﴿إلى يوم يبعثون﴾.

١٥ ﴿قال إنك من المنظرين﴾ أى الممهلين. ومراد إبليس في الإمهال التمكن من إفساد أكبر عدد من بنى آدم انتقاما منهم.

١٦ ﴿قال فبما أغويتني..﴾ فهو الإصرار على الشر، والتصميم المطلق على الغواية.. فيعلن في تبجح خبيث بأنه سيقعد لآدم وذريته علي صراط الله المستقيم.

١٧ ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ..﴾ ويواصل الشرير أنه سيأتيهم من كل جهة فلا يعرفون الله ولايشكرونه اللهم إلا القليل الذي يفلت ويستجيب.

١٨ ﴿قال اخرج منها مذءوما مدحورا ..﴾ مذمومًا مطرودًا. لقد جعل الله -سبحانه - لإبليس وقبيله فرصة للإغواء. وجعل لآدم وذريته فرصة للاختيار تحقيقا للابتلاء.

١٩ ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ..﴾ فكلا من ثمارها وخيراتها ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ ونهاهما عن الأكل منها وطبعا استغل إبليس هذه الفرصه:

٢٠ ﴿فوسوس لهما الشيطان ..﴾ ونسى آدم وزوجه تحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر - إنه عدوهما الذى لا يمكن أن يدلهما علي خير، نسيا كل هذا....

٢١ ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ فحلف لهما بأنه ناصح وليس بغاش لهما.

٢٢ ﴿فدلاَّهما بغرور ..﴾ وخداع حتى أكلا ﴿فلمّا ذاقا الشجرة بدت﴾ أى لما أكلا ظهرت ﴿سوءاتهما﴾ أى عوراتهما وأخذ يقطعان من الورق ويلزقانه بعورتهما ليستراها. طبقة فوق طبقة ﴿وناداهما ربهما﴾ قال ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ وهذا عتاب من الله وتوبيخ لهما حيث خالفا أمره - سبحانه - ولم يحذرا ما حذرهما منه وهو مكايد الشيطان.

معاني الكلمات:

مكّنّاكم: جعلنالكم مكانا.

معايش: ماتعيشون به وتحيون.

الصاغرين: الأذلاء المهانين.

أنظرني: أخرنى وأمهلنى.

لأقعدنّ لهم: لأترصدنهم ولأجلسن لهم.

مدحورا: مطرودًا مبعدًا.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)

٢٣ ﴿قَالا رَبَّنا ظَلَمْنا أنفُسَنا ..﴾ الاعتراف والندم والاستغفار، والشعُور بالضعف، والاستعانة به، وطلب الرحمة هي خصيصة الإنسان التى تصله بربه وتفتح له الأبواب مع اليقين بأنه لا حول ولا قوة إلا بعون الله ورحمته.... وإلا كان من الخاسرين

٢٤ ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ..﴾ لقد هبطوا جميعا إلى الأرض ليصارع بعضهم بعضا، ولينادى بعضهم بعضا ولتدور المعركة بين طبيعتين وخليقتين: إحداهما ممحصة للشر والأخرى مزدوجة الاستعداد للخير والشر وليتم الابتلاء ويجرى قدر الله بما يشاء.

٢٥ ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ..﴾ أى فى الأرض تحيون وفيها يأتيكم الموت وفيها تخرجون إلى دار الآخرة.

الدرس الثالث

(المعركة بين الشيطان والبشرية)

من الآية ٢٦ / ٣٤

مدة الحفظ (يوم واحد)

٢٦ ﴿يا بني آدم قَدْ أنزلْنا عَلَيْكُم لِباسًا يُوارِي سَوْءاتِكُمْ ورِيشًا ..﴾ المقصود من هذا النداء تذكير للمشركين من قريش بنعم الله وقدرته عليهم لعلهم يذكرون فيؤمنون.

٢٧ ﴿يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ..﴾ وهنا يحذرهم من إغواء الشيطان كما أخرج أبويكم من دار السلام بعد نزعه لباسهما عنهما فانكشفت سوءاتهما وخطورة الشيطان ﴿إنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ ثم أخبر تعالى أنه جعل الشياطين أولياء للذين لايؤمنون.

٢٨ ﴿وإذَا فعَلُوا فَاحِشَةً ..﴾ نزلت فى طواف المشركين بالبيت عُراة فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم وادعوا أنهم مأمورون بذلك من جهة الله سبحانه. فأمر الله تعالى نبيه أن يواجههم بالتكذيب لهذا الافتراء على الله ﴿قُلْ إنَّ اللَّهَ لا يأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

٢٩ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ..﴾ بعد ذلك يبين لهم أن أمر الله يجرى فى اتجاه مضاد لقد أمر الله بالعدل والاعتدال فى الأمور كلها وأمر بالاستقامة علي منهج الله.

فهذا ما أمر الله به.

٣٠ ﴿فَرِيقًا هَدَى وفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ ..﴾ أى تعودون فريقين سعداء وأشقياء والفريق الذى ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ هم الكفار إنهم أطاعوا الشياطين فى معصية الله.

معانى الكلمات:

ما وُورِيَ

سَوْءَاتُهُما: عوراتهما.

يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ: يستر ويدارى عوراتكم.

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ (٣١) قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (٣٢) قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ (٣٤) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦) فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ (٣٧)

٣١ ﴿يا بني آدم خُذوا زِينتكُمْ عند كُلِّ مَسْجِد ..﴾ ثم يتكرر النداء إلى ﴿بني آدمَ﴾ فى هذه الوقفة خذوا زينتكم عند كل عبادة ومنها الطواف الذى يزاولونه عرايا. . . . فأولى أن يعبدوه بطاعته. كما نهاهم عن الإسراف فى الأكل والشرب.

سبب النزول: أنزلت فى شأن الذين يطوفون بالبيت عرايا.

٣٢ ﴿قُلْ منْ حرَّم زِينةَ اللَّهِ الَّتي أَخْرج لعِباده..﴾ لاحرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة بلا إسرف ﴿والطَّيِّبَاتِ﴾ من المطاعم والمشارب فإنه لازهد فى ترك الطيب منها.

٣٣ ﴿قُلْ إنَّما حرَّم ربِّي الفَواحِش ..﴾ وهى المعاصى التى اشتدت شناعتها سواء ما أعلن منها وما أسر ﴿والإثْم﴾ يتناول كل معصية ﴿والْبغْي بغيْر الْحقِّ﴾ الظلم للناس وأن تجعلوا لله شريكا ﴿وأن تقُولُوا على اللَّه ما لا تعْلمُون﴾ مالاتعلمون بحقيقته.

٣٤ ﴿ولكُلِّ أُمَّةٍ أجلٌ فإذا جاء أجلُهُمْ ..﴾ والأجل المضروب إما أجل كل جيل من الناس بالموت المعروف الذى يقطع الحياة وإما أجل كل أمة من الأمم بمعنى الأمد المقدور لقوتها فى الأرض واستخلافها.

الدرس الرابع
(قضية التلقى والاتباع فى شعائر الدين)
من الآية ٣٥ / ٥٣
مدة الحفظ (يومان)

٣٥ ﴿يا بنِي آدم إمَّا يأتينَّكُمْ رُسُلٌ منكُمْ ..﴾ بمعنى إن أتاكم رسل منكم يخبرونكم بأحكامى ويبينونها لكم، أى فأطيعوا هؤلاء الرسل وصدقوهم وتابعوهم ﴿فمنِ اتَّقىٰ﴾ معاصى الله ﴿وأصْلح﴾ حال نفسه باتباع الرسل ﴿فلا خوْفٌ عليْهمْ﴾ من ظلم أو عذاب ﴿ولا هُمْ يحزنُون﴾ يوم القيامة.

٣٦ ﴿والَّذين كذَّبوا بآياتنا ..﴾ التى يقصها عليهم رسلنا ﴿واسْتكْبرُوا﴾ عن اجابتها والعمل بما فيها فـ ﴿أُولَٰئك أصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالدُون﴾ لايخرجون منها بسبب كفرهم.

٣٧ ﴿فمنْ أظْلمُ ممَّن افْترىٰ على اللَّه كذبًا ..﴾ هانحن أولاء أمام مشهد هؤلاء الذين افتروا على الله كذبا أو كذبوا. بآياته وقد جاءتهم رسل ربهم من الملائكة يتوفونهم ويقبضون أرواحهم. فدار بين هؤلاء وهؤلاء حوار: ﴿قالُوا أيْن ما كُنتُمْ تدْعُون من دُون اللَّه﴾ أين هى الآن فى اللحظة الحاسمة التى تسلب منكم الحياة فلا تجدون لكم عاصمًا من الموت، ويكون الجواب هو الجواب الوحيد ﴿قالُوا ضلُّوا عنَّا﴾ غابوا عنا وتاهوا !! ﴿وشهدُوا علىٰ أنفُسهمْ أنَّهُمْ كانُوا كافرين﴾ وكذلك شهدناهم من قبل فى سياق السورة عندما جاءهم بأس الله فى الدنيا.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨ ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ..﴾ انضموا إلى زملائكم وأوليائكم هنا فى النار أليس إبليس هو الذى عصى ربه ؟ فادخلوا إذن جميعا سابقين ولاحقين فكلكم أولياء... وكلكم سواء ! ﴿كُلَّمَا دخلت أُمَّةٌ لَعنتْ أُخْتَها﴾ فما أبأسها نهاية تلك التى يلعن فيها الابن أباه، ويتنكر فيها الولى لمولاه ﴿حَتَّىٰ إذا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم واجتمع قاصيهم بدانيهم بدأ الخصام والجدال وتبدأ مهزلتهم أو مأساتهم فيكون الجواب استجابة للدعاء ولكن أية استجابة ؟ ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ .

٣٩ ﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ ..﴾ قال السابقون للاحقين أو المتبوعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أى تخفيف من العذاب ﴿فَذُوقُوا﴾ عذاب النار كما ذقناه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من معاصى الله والكفر به.

٤٠ ﴿إِنَّ الَّذِين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا ..﴾ هؤلاء لاتفتح لهم أبواب السماء لأرواحهم اذا ماتوا وقيل لاتفتح أبواب السماء إذا دعوا ولاتقبل بل ترد عليهم ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بأى حال من الأحوال ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ودونك فقف بتصورك ماتشاء أمام هذا المشهد العجيب.. مشهد الجمل تجاه ثقب الإبره. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾

٤١ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ ..﴾ الفراش والأغطية من نار جهنم من تحتهم ومن فوقهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِين﴾ والظالمون هم المجرمون... وهم المكذبون بآيات الله... وكلها أوصاف مترادفة فى تعبير القرآن..

٤٢ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..﴾ لايكلفون إلا طاقتهم هؤلاء يعودون إلى جنتهم إنهم أصحابها - بإذن الله وفضله -ورثها لهم برحمته- بعملهم الصالح مع الإيمان.

٤٣ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ..﴾ هم فى الجنة إخوان متحابون متصافون متوادون يرف عليهم السلام والولاء وهم في الجنة تجرى من تحتهم الأنهار ويشتغلون بالحمد والاعتراف ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ..﴾ وينادون بالتأهيل والتكريم ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

معانى الكلمات:

ادَّارَكُوا فِيهَا: تلاحقوا فى النار.

وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ: أغطية.

غِلّ: حقد.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

٤٤ ﴿ونادى أصحابُ الجنة أصحاب النار ..﴾ وفى هذا السؤال من السخرية المرة ما فيه.. ويجئ الجواب في كلمة واحدة عندما سألوهم ﴿أن قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقًا فهل وجدتُم مَّا وعد ربُّكُم حقًا﴾ قالوا: ﴿نعم﴾ وعندئذ ينتهى الجواب ويقطع الحوار: ﴿فأذَّن مُؤذِّنٌ بينهم أن لعنة اللهِ على الظَّالمين﴾ .

٤٥ ﴿الَّذين يصدُّون عن سبيلِ اللَّه ..﴾ هؤلاء يبغون الطريق العوجاء ولايريدون الطريق المستقيم ﴿وهم بالآخرة كافرون﴾ .

٤٦ ﴿وبينهما حجابٌ ..﴾ هنالك يوجد حاجز يفصل بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماهم وعلاماتهم.. فلننظر من هؤلاء؟ وشأنهم مع أصحاب الجنة وأصحاب النار؟ فنادوا أصحاب الجنة ﴿أن سلامٌ عليْكُمْ﴾ تحية لهم وإكراماوتبشيرا. ﴿لم يدْخُلوها وهم يطمعُون﴾ لم يدخلوها ولكنهم يطمعون فى دخولها. وروى أن النبى ﷺ قال: «إذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال لأصحاب الأعراف: أنتم عتقائى فارعوا فى الجنة حيث شئتم».

٤٧ ﴿وإذا صُرِفتْ أبصارُهم تلقاء أصحاب النار ..﴾ أى قال أهل الأعراف: ﴿ربَّنا لا تجعلْنا مع القوم الظَّالمين﴾ سألوا الله ألا يجعلهم منهم.

٤٨ ﴿ونادى أصحابُ الأعراف رجالاً يعرفُونهُم بسيماهُم﴾ رجالاً من الكفار يعرفونهم بعلاماتهم ﴿ما أغنى عنكُم جمعُكُم﴾ الذى كنتم تجتمعون للصد عن سبيل الله وما أغنى عنكم استكباركم.

٤٩ ﴿أهؤلاء الَّذين أقسمتُم لا ينالُهُمُ اللهُ برحْمة ..﴾ قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقالة ﴿ادخُلوا الجنَّة لا خوفٌ عليْكُم ولا أنتُم تحزنُون﴾ وقيل إن هذا الكلام يقال لأصحاب الأعراف أنفسهم فيدخلهم ربهم الجنة برحمته. فانظروا الآن أين هم؟ وماذا قيل لهم؟

٥٠ ﴿ونادى أصحابُ النَّار أصحاب الجنَّة..﴾ وهذا الصوت يأتى من النار ملؤه الرجاء والاستجداء ويقولون ﴿أفيضُوا علينا من الماء﴾ طلبوا منهم أن يواسوهم بشئ من الماء أو بشئ من الأشربة والأطعمة ﴿إنَّ الله حرَّمهُما﴾ أى الماء ومارزقهم الله من غيره ﴿على الكافرين﴾ فلا نواسيكم بشئ مما حرمه عليكم.

٥١ ﴿الَّذين اتَّخذُوا دينهُم لهْوًا ولعبًا ..﴾ هؤلاء اليوم ﴿ننساهُم﴾ نتركهم فى النار كنسيانهم لقاء يومهم هذا ﴿وما كانُوا بآياتنا يجْحدُون﴾ أى ينكرونها.

معانى الكلمات:

وبينهُما حجابٌ: حاجز.

الأعْراف: أعالى هذا السور وشرفاته.

أفيضُوا علينا: صبوا أو ألقوا علينا.

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)

٥٢ ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ..﴾ والكتاب هو القرآن والتفصيل التبيين ﴿على علم﴾ أي عالمين بما نفصله.

٥٣ ﴿هل ينظرون إلاَّ تأويله ..﴾ هل ينتظرون إلا ما وعدوا به فى الكتاب من العقاب الذى يؤول الأمر اليه ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وهو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي تركوه من قبل أن يأتى تأويله ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أى أقروا به حيث لاينفعهم الإقرار برسالات الرسل ﴿فهل لنا من شفعاء﴾ ﴿فيشفعوا لنا﴾ عند ربنا فيعفينا من عذاب النار ﴿أو نرد﴾ أو يشفعوا لنا حتى يرجعنا الله إلى الدنيا ﴿فنعمل﴾ أى أننا إن رجعنا نعمل ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ أي غير ماكنا نعمل من المعاصى. هؤلاء خسروا أنفسهم فى جهنم وضاع منهم كل أمل وغاب عنهم ماكانوا يفترون.

الدرس الخامس

(رحلة في ضمير الكون وفى صفحته المعروضة للأنظار)

من الآية ٥٤ / ٥٨

مدة الحفظ (يوم واحد)

٥٤ ﴿إنَّ ربكم الله ..﴾ سبحانه ﴿الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ قيل هذه الأيام من أيام الدنيا وقيل: من أيام الآخرة، وقيل: هذه الأيام الست أولها الأحد وآخرها الجمعة، وقيل قد تكون ست مراحل، وقدتكون ستة أطوار، وقد تكون ستة أيام من أيام الله التى لاتقاس بمقاييس زماننا، وقد تكون شيئا آخر ﴿ثم استوى على العرش﴾ والاستواء هو العلو والاستقرار، والله أعلم بكيفيته ذلك، بل على الوجه الذى يليق بجلاله ﴿يغشي الليل النهار﴾ أى يجعل الليل كالغشاء للنهار - إنها دورة لايملك الوجدان الا يتابعها والا يدور معها والا يرقب هذا السباق الجبار بين الليل والنهار بقلب مرتعش ونفس لاهث.... ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ خلقها ﴿مسخرات بأمره﴾ تسير طبقا لم أراده، إن الكون كله خلقه والأمر فيه أمره ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ أي كثرت بركته واتسعت.

٥٥ ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية ..﴾ وبعد أن يرتعش الوجدان لمشاهد الكون يوجه البشر إلى ربهم - الذى لارب غيره - ليدعوه فى إنابة وخشوع، والذى يستشعر قرب الله تعالى يستحى من الصياح فى دعائه، الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فهو يراهم.....

٥٦ ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ بقتل الناس، وتخريب منازلهم، وقطع أشجارهم ومن الفساد فى الأرض: الكفر بالله والوقوع فى معاصيه ﴿بعد إصلاحها﴾ أى بعد إن أصلحها الله بإرسال الرسل ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ خائفين من الا يستجيب لكنم طامعين فى استجابته. فإن رحمته قريب من المحسنين الذين يحسنون نياتهم وأعمالهم.

٥٧ ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ..﴾ فالرياح تبشر بالمطر ﴿حتى إذا أقلت سحابا ثقالا﴾ إي ثقلت بالماء الذى صارت تحمله ﴿سقناه﴾ أى السحاب ﴿لبلد ميت﴾ أى مجدب ليس فيه نبات فتحيا به، بالزرع والنباتات لتأكلوا وترعوا أنعامكم. وكذلك يحييكم بعد موتكم فيخرجكم من قبوركم أحياء ليحاسبكم على كسبكم فى الدنيا. إن المشيئة التي تبث الحياة فى صور الحياة وأشكالها فى هذه الأرض هى المشيئة التي ترد الحياة فى الأموات ﴿لعلكم تذكرون﴾.

معانى الكلمات:

يطلبه حثيثا: يطلب الليل النهار طلبًا سريعًا.

تضرعا: مظهرين الضراعة.

وخفية: سرًا فى قلوبكم.

أقلت سحابا: حملته ورفعته.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

٥٨ ﴿والبلد الطيب يخرج نباته ..﴾ أى التربة الصالحة الطيبة تخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجًا حسنا، والتربة الخبيثة لايخرج نباتها إلا نكدا. . . .

الدرس السادس

(مع موكب الإيمان)

من الآية ٥٩ / ٩٣

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

٥٩ ﴿لقد أرسلنا نوحا إلى قومه ..﴾ فخاطبهم بتلك الكلمة الواحدة التى جاء بها كل رسول: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ فهى الكلمة التى لاتتبدل ولقد قالها نوح لقومه وأنذرهم عاقبة التكذيب بها فى اشفاق الأخ الناصح لإخوانه: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ فكيف كان استقبال المنحرفين الضالين من قوم نوح لهذه الدعوة الخاصة الواضحة المستقيمة؟

٦٠ ﴿قال الملأ من قومه ..﴾ قالوا إنا نراك فى دعائك إلى عبادة الله وحده ﴿في ضلال﴾ وماذا تقول الجاهلية اليوم عن المهتدين بهدى الله ؟ إنها تسميهم الضالين.

٦١ ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة ..﴾ وينفى نوح عن نفسه الضلال ويكشف لهم عن حقيقة دعوته ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾

٦٢ ﴿أبلغكم رسالات ربي ..﴾ ما أرسله الله به إليهم.

٦٣ ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ..﴾ فكأنما أعجبوا أن يختار الله رسولاً من بشر من بينهم يحمل رسالته إلى قومه، ويكشف لهم نوح عن هدف رسالته ﴿لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾.

٦٤ ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك ..﴾ فبعماهم هذا كذبوه وبعماهم لاقوا هذا المصير ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾.

٦٥ ﴿وإلى عاد أخاهم هودا ..﴾ وتمضى عجلة التاريخ، ويمضى معها السياق، فإذا نحن أمام عاد قوم هود: إنها نفس الرسالة، ونفس الحوار، ونفس العاقبة إنها السنة الماضية، والناموس الجارى، والقانون الموحد .

٦٦ ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه ..﴾ عاد قوم هود يستنكرون أن يدعوهم نبيهم إلى عبادة الله وحده من جديد ونسبوا إليه الخفة والطيش زورًا وكذبا ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾!

٦٧ ﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ..﴾ ويوضح لهم حقيقة دعوته مثلما قال نوح من قبل ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ .

معانى الكلمات:

نصرف الآيات: نكررها بأساليب مختلفة.

سفاهة

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٨ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي ..﴾ وأنا لكم أمين فلم أغير فى رسالة الله شيئًا.

٦٩ ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ..﴾ فإذا هود يكرر نفس ماقاله نوح من قبل كأنما كلاهما روح واحدة فى شخصين. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أى جعلهم سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح أو جعلهم ملوكًا ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ أى طولا فى الخلق وعظم جسم زيادة على ماكان عليه غيرهم فاذكروا نعمة الله عليكم سبحانه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٧٠ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ..﴾ فقد كان ذلك مستنكرًا عندهم لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف مادعاهم إليه. فبدلاً من طلب الهدى استعجلوا العذاب !!

٧١ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ..﴾ أى قد استحققتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لامحالة ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ أسماء الأصنام سميتم بها معبوداتكم من جهة أنفسكم أنتم وآباؤكم ولاحقيقة لذلك.

٧٢ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ..﴾ وهكذا طويت صفحة أخرى من صحائف المكذبين وتحقق النذير مرة أخرى بعد إذ لم ينفع التذكير ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

٧٣ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ..﴾ وهذه صفحة أخرى من صحائف قصة البشرية وهى تمضى فى خضم التاريخ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ نفس الكلمة الواحدة التى بدأ بها ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ويزيد هنا تلك المعجزة ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أى معجزة ظاهرة قيل: إخراج الناقة من الحجر الصلد - والسياق لايذكر تفصيل طلبهم للخارقة بل يعلن وجودها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ أى دعوها فهى ناقة الله والأرض أرضه فلاتمنعوها مما ليس لكم ولاتملكون ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾ بشئ من السوء أى لاتتعرضوا لها بوجه من الوجوه

معانى الكلمات:

بَصْطَةً: قوة.

آلاءَ اللّهِ: نعمه وفضله الكثير.

نَاقَةُ اللّهِ: خلقها الله من صخر لا من أبوين.

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧٤ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ..﴾ لقد كانت حضارة عمرانية واضحة المعالم فى هذا النص القصير... وصالح يذكرهم استخلاف الله لهم وهو ينهاهم عن الانطلاق فى الأرض بالفساد.. اغترارًا بالقوة والتمكين وأمامهم العبرة ماثلة فى عاد والغابرين .

٧٥ ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ..﴾ وواضح أنهم يسألونه للتهديد والتخويف ولاستنكار إيمانهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ولكن الضعفاء لم يعودوا ضعافًا ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

٧٦ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ..﴾ وهو إعلان عن موقفهم فى صراحة تحمل طابع التهديد ﴿إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾

٧٧ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ..﴾ فأتبعوا القول بالعمل، فاعتدوا على الناقة. قتلوها بنحرها ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أى استكبروا وعاندوا، وتحدوا صالحًا واستعجلوا العذاب تحديا واستخفافًا.

٧٨ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ والرجفة والجثوم جزاء مقابل للعتو والتبجح، فالرجفة يصاحبها الفزع، والجثوم مشهد للعجز عن الحراك لاصقين بالأرض، كما يجثم الطائر ميتين لاحراك بهم.

٧٩ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ ..﴾ ذهب عن أرضهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم هذه المقالة ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ أبان عن نفسه أنه لم يأل جهدًا فى إبلاغهم لكن أبوا ذلك

٨٠ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ..﴾ ولوط هو ابن أخى إبراهيم - ومعاصره - وقصة لوط تكشف لنا عن لون خاص من انحراف الفطرة، وعن قضية أخرى غير قضية الألوهية والتوحيد. فقال لهم نوح ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ والجاهلية الحديثة في أوروبا وفى أمريكا ينتشر فيها هذا الانحراف الجنسى الشاذ انتشارًا ذريعًا بغير مبرر إلا الانحراف.... ونعود إلى قوم لوط:

٨١ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ..﴾ فهم فى هذا كالبهائم التى ينزو بعضها على بعض لم يتقاضاها من الشهوة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ أى وتتركون أزواجكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ وسبب الإسراف الخروج عن حد الاعتدال البشرى.

معانى الكلمات:

وَبَوَّأَكُمْ: أسكنكم.

وَلا تَعْثَوْا: لاتفسدوا.

وَعَتَوْا: استكبروا .

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢ ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ..﴾ ياعجبا إنهم قالوا ﴿أخرجوهم﴾ أومن يتطهر يخرج من القرية إخراجا ليبقى فيها الملوثون المدنسون ؟!

٨٣ ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته ..﴾ وتعرض الخاتمة سريعًا بلا تفصيل ولاتطويل.

٨٤ ﴿وأمطرنا عليهم مطرا ..﴾ وقد أمطروا مطرًا مهلكًا مع ما صاحبه من عواصف، وعلى أية حال لقد طويت صفحة أخرى من صحائف المكذبين المجرمين !

٨٥ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا ..﴾ فماذا قال لهم ؟ ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ أى قولوا لا إله إلا الله ولازم ذلك أن يصدقوا برسول الله شعيب وقوله ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾ أى آية واضحة تشهد لى بالرسالة وبما آمركم به وأنهاكم عنه ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أى بالقسط الذى هو العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ بل أعطوهم ماتستحقه بضاعتهم من الثمن ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ وذلك بترك الشرك والذنوب.

٨٦ ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ..﴾ ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجرام وهو أنهم يجلسون فى مداخل البلاد، وعلى أفواه السكك ويتوعدون المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبى شعيب، كما أنهم يقطعون الطرق ويسلبون الناس ثيابهم ومتاعهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة، وقوله ﴿واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم﴾ وهو أنهم أصبحوا شعبًا كبيرًا بعد أن كانوا شعبًا صغيرًا ويعدهم بمصير الظلمة المفسدين من الأمم المجاورة والشعب حيث حلت نقمة الله ونزل بهم عذابه فهلكوا.

﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به ..﴾ أى جماعة آمنوا بالتوحيد والطاعة وترك الشرك والمعاصى ﴿وطائفة﴾ أخرى ﴿لم يؤمنوا﴾ وبهذا كنا متخاصمين نحتاج إلى من يحكم بيننا إذًا ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾

معانى الكلمات:

من الغابرين: الباقين فى العذاب.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٨٨ ﴿قالَ المَلأُ الَّذِينَ استَكْبَرُوا من قَوْمِهِ ..﴾ قالوا مهددين متوعدين مقسمين ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والَّذِينَ آمَنُوا معك من قَرْيَتِنَا أوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ هكذا سنة الطغاة اذا غُلبوا بالحجج والبراهين يفزعون إلى القوة. فلما أفهمهم شعيبًا شهروا السلاح فى وجهه. ورد شعيب على هذا التهديد بقوله ﴿قالَ أوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ أى نعود فى ملتكم.

٨٩ ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا على اللَّه كذبًا إنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم ..﴾ ثم قال: ﴿وما يَكُونُ لنا أن نَّعُودَ فِيهَا﴾ اللهم إلا أن يشاء ربنا شيئا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ثم قال بعد أن أعلمهم ﴿على اللَّه تَوَكَّلْنَا﴾ فى الثبات على دينه الحق، ثم سأل ربه قائلا: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بيننا وبَيْن قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ أى احكم بيننا وبينهم ﴿وأنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أى الحاكمين وذلك بإحقاق الحق وإبطال الباطل.

٩٠ ﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمِه..﴾ قالوا مقسمين بآلهة الباطل ﴿لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ أى على دينه ﴿إنَّكُمْ إذًا لَّخَاسِرُونَ﴾

٩١ ﴿فأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ..﴾ استجابة لدعوة شعيب فأصبحوا هلكى جاثمين على الركب

٩٢ ﴿الَّذِين كَذَّبُوا شُعَيْبًا كأن لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِين كَذَّبُوا شُعَيْبًا كانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ أما الذين صدقوا شعيبًا فهم المفلحون.

٩٣ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وقَال يا قَوْمِ لَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسَالات رَبِّي ونَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فأبيتم إلا تكذيبى ﴿فكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أى لامعنى للحزن والأسف على مثلكم.

الدرس السابع

(سنة الله فى الابتلاء)

من الآية ٩٤/ ١٠٢

مدة الحفظ (يوم واحد)

٩٤ ﴿وَمَا أرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إلاَّ أخَذْنَا أهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ ..﴾ أى أخذهم الله سبحانه بألوان من العذاب التأديبى كالقحط والجوع وشظف العيش والأمراض والحروب رجاء أن يرجعوا إلى الحق بعد النفور منه.

٩٥ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا ..﴾ ثم يغير مابهم من بأساء وضراء إلى يسر ورخاء وعافية وهناء، ويقولون عندما يُوعظون ويذكرون ليتوبوا: ﴿قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ والسَّرَّاءُ﴾ إنما هى الأيام هكذا، فلم تخيفوننا ؟ وبذلك يحق عليهم العذاب فجأة ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ فيتم هلاكهم.

معانى الكلمات:

رَبَّنَا افْتَحْ: احكم.

بَغْتَةً: فجأة.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤)

٩٦ ﴿ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا ..﴾ إن الإيمان بالله وتقواه ليؤهلان لفيض من بركات السماء والأرض. والإيمان بالله: دليل على حيوية الفطرة وهو قوة دافعة تستمد القوة من الله وتقوى الله: يقظة واعية تصون من الاندفاع والتهور والشطط. إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى بركات فى الأشياء وبركات فى النفوس وبركات فى المشاعر وبركات فى طيبات الحياة، بركات تنمى الحياة وترفعها فى آن واحد.

٩٧ ﴿أفأمن أهل القرى ..﴾ والسياق هنا يتجه إلى الغافلين يوقظ فيهم مشاعر الترقب أن يأتيهم بأس الله فى أيَّة لحظة من ليل أو نهار.

٩٨ ﴿أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ أى وهم يشتغلون بما لايعود عليهم بنفع

٩٩ ﴿أفأمنوا مكر الله ..﴾ أى ما يدبره لهم من عقوبة وهم لا يشعرون وما يغفل عن مكر الله إلا الذين يستحقون هذا الحساب !

١٠٠ ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض.. ﴾ ألم يتبين لمن يسكن الأرض بعد إهلاك أصحابها أن الله لو شاء أهلكهم بذنوبهم كما أهلك من كان فى هذه الأرض قبلهم ونطبع ونختم على قلوبهم فلا ينفذ إليها شئ ولكنهم صاروا لايسمعون ما يتلوه عليهم.

١٠١ ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ..﴾ وهى القرى التى أهلكناها وهى: قرى نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، المتقدم ذكرها ﴿نقص عليك﴾ أي نتلو عليك ﴿من أنبائها﴾ أى من أخبارها ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجئ الرسل بالمعجزات بسبب ﴿بما كذبوا﴾ به ﴿من قبل﴾ مجيئهم بها ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ فلا ينفع فيهم بعد ذلك وعظ ولا تذكير.

١٠٢ ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ وهكذا تبين أن أهل القرى لا عهد لأكثرهم يستمسكون به ويثبتون عليه.. إنما هو الهوى المتقلب.

الدرس الثامن

(قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون وملئه)

من الآية ١٠٣ / ١٣٧

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

١٠٣ ﴿ثمّ بعثنا من بعدهم موسى ..﴾ بعثناه بالمعجزات إلى ﴿فرعون﴾ ملك مصر ﴿وملئه﴾ أشراف قومه ﴿فظلموا بها﴾ أى كذبوا بها ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أى نهاية أمر المكذبين بالآيات الكافرين بها.

١٠٤ ﴿وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين﴾ ومن كان مرسلاً من جهة رب العالمين أجمعين. فهو حقيق بالقبول.

معانى الكلمات:

كذلك يطبع: يختم.

من عهد: من وفاء.

فظلموا بها: فكفروا بالآيات.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

١٠٥ ﴿حقيقٌ على أن لأ أقُول على الله إلأ الحقَّ﴾ لقد جاء موسى بهذه الحقيقة وواجه بها فرعون وملأه - وهى التى واجه بها كل نبى قبله أو بعده - عقائد الجاهلية الفاسدة ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ تدلكم على صدق قولى: إنى رسول الله من رب العالمين ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ مقدمة ونتيجة. طلب منه أن يترك بنى اسرائيل يذهبون معه ويرجعون إلى الأرض المقدسة.

١٠٦ ﴿قال إن كنت جئت بآية ..﴾ بآية من عند الله كما تزعم ﴿فأت بها﴾ حتى نشاهدها وننظر فيها.

١٠٧ ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ﴾ وكانت هذه إجابة موسى عليهم فإذا هى ثعبان حقيقى إنها المفاجأة... ولكن هل يستسلم فرعون وملؤه لهذه الدعوى الخطيرة ؟ إن الطاغوت لايستسلم هكذا من قريب... ولايسلم ببطلان حكمه وعدم شرعيته:

١٠٨ ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للنَّاظرين﴾ وأخرج يده وأظهرها من جيبه أو تحت إبطه فإذا هى بيضاء تظهر لكل مبصر دون أن يكون فيها برص.

١٠٩ ﴿قال الملأُ من قوم فرعون ..﴾ وهكذا أدرك فرعون وملؤه خطورة هذه الدعوة وأخذ الملأ من قومه يتشاورون مع فرعون: ﴿إنَّ هذا لساحر عليم﴾

١١٠ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم ..﴾ وكأنه يستشيرهم ﴿فماذا تأمرون﴾

١١١ ﴿قالوا أرجه وأخاه ..﴾ وهذا ما استقر رأيهم عليه أى أوقفهما عندك هو وأخوه ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ أى رجالاً من الشرطة يحشرون (يجمعون) أهل الفن من السحرة كافة من الأقليم المصرى وأجرمعهم مناظره.

١١٢ ﴿يأتوك بكلّ ساحر عليم﴾ فإذا انهزم انتهى أمرهم وأمنا من خطره على بلادنا .

١١٣ ﴿وجاء السَّحرةُ فرعون..﴾ وبعد أن يسدل الستار على المشهد الأول ليرفعه على المشهد التالى.. وكأنه واقع منظور، لاحكاية تروى !!
فلقد سألوا فرعون أن يجعل لهم جعلاً إن غلبوا موسى بسحرهم.

١١٤ ﴿قال نعم ..﴾ وهذه إجابته لهم وزاد ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أى مع هذا الأجر المطلوب منكم لمن المقربين لدينا ووعدهم بالمناصب.

١١٥ ﴿قالوا يا موسى ..﴾ لقد توجهوا لموسى بعد أن اطمأنوا على الأجر والقربى من فرعون وقالوا لموسى بتحد: ﴿إمَّا أن تلقي وإمَّا أن نكون نحن الملْقين﴾

١١٦ ﴿قال ألقوا ..﴾ إنه اختار أن يكونوا المتقدمين عليه بإلقاء مايلقونه غير مبال بهم ﴿فلمَّا ألقوا﴾ أى حبالهم وعصيهم ﴿سحروا أعين النَّاس﴾ غيروها وأدخلوا عليها الرهبة فى قلوبهم ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ فى أعين الناظرين.

١١٧ ﴿وأوحينا إلى موسى..﴾ وهنا المفاجأة التى تطالع فرعون وملأه، وتطالع السحرة الكهنة وتطالع جماهير الناس فى الساحة الكبرى التى شهدت ذلك السحر العظيم ﴿أن ألق عصاك فإذا هي تلقفُ ما يأفكون﴾ إنه الباطل ينتفش، ويسحر العيون، ويسترهب القلوب، ويخيل إلى الكثيرين أنه غالب، وأنه جارف، ،أنه محيق وإذا الحق راجع الوزن، ثابت القواعد، عميق الجذور.

١١٨ ﴿فوقع الحقُّ﴾ وثبت واستقر وذهب ماعداه فلم يعد له وجود ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ وغلب الباطل والمبطلون.

١١٩ ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ أى أذلاء مقهورين.

١٢٠ ﴿وألْقي السحرةُ ساجدين﴾ وهى المفاجأة الأخرى فلم يتمالكوا مما رأوا.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ
نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١، ١٢٢ ﴿قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون﴾ إنها صولة الحق فى الضمائر، ونورالحق فى المشاعر، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقى الحق والنور واليقين.

١٢٣ ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ..﴾ فهذه المفاجأة هزت فرعون وزلزت العرش من تحته فقال هذا الكلام وليرتكب كل جريمة بلا تحرج واتهمهم بأنها حيلة احتلتموها أنتم وموسى أيام كنتم فى المدينة قبل بروزكم مع موسى فى الصحراء !!!

١٢٤ ﴿لأقطعن أيديكم ..﴾ وهكذا أطلق فرعون ذلك التوعد الوحشى الفظيع.

١٢٥ ﴿قالوا إنا إلى ربنا منقلبون﴾ وسيجازيك الله بصنعك بنا، ويحسن إلينا بما أصابنا فى ذاته، فتوعدوه بعذاب الله فى الآخرة، لما توعدهم بعذاب الدنيا.

١٢٦ ﴿وما تنقم منا إلاّ أن آمنّا ..﴾ إنه الإيمان الذى لايفزع ولايتزعزع. كما أنه لايخضع ولا يخنع. الإيمان الذى يطمئن إلى النهاية فيرضاها. ولذلك طلبوا من ربهم الصبر على الفتنة والوفاة على الإسلام ﴿ربَّنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ إنه موقف حازم فى تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية، ويذهب التهديد، ويتلاشى الوعيد، ويمضى الإيمان فى طريقه لايتلفت، ولا يتردد، ولا يحيد.

١٢٧ ﴿وقال الملأ من قوم فرعون ..﴾ يعود إلى مشهد جديد، مشهد التآمر والتحريض بعد الهزيمة والخذلان فى معركة الإيمان والطغيان. وهؤلاء الملأ من قوم فرعون يكبر عليهم أن يذهب موسى ناجيا والذين آمنوا معه. واتهموا موسى وقومه بالإفساد فى الأرض، فالإفساد من وجهة نظرهم - هو الدعوة إلى ربوبية الله وحده. وعليه فلقد استثارت هذه الكلمة فرعون وقال: ﴿سنقتّل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون﴾ إنه الطغيان فى كل مكان، وفى كل زمان.

١٢٨ ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ..﴾ إنها رؤية (النبى) لحقيقة الألوهية وإشراقها فى قلبه، وإنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، وولى واحد، وعليهم أن يصبروا. ولكن إسرائيل هى إسرائيل.

١٢٩ ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ..﴾ إن هذه الكلمات تشى أنها وراءها تبرم ولكن النبى يمضى على نهجه يذكرهم بالله ويعلق رجاءهم به، فإن سنة الله تجرى وفق وعده.. إن استخلاف الله لهم إنما هو ابتلاء لهم....

١٣٠ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين..﴾ وهذا المشهد مشهد فرعون وآله، يأخذهم الله بعاقبة الظلم والطغيان، ويحقق وعد موسى لقومه ورجاءه فى ربه.

معاني الكلمات:

حقيق على أن : حريصة على أن.

ونزع يده : أخرجها من طوق قميصه.

تلقف : تبتلع.

أفرغ علينا : أفض أو صب علينا.

ونستحيي : نستبقى بناتهم للخدمة.

بالسنين : بالجدوب والقحوط.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه..﴾ وهكذا مضى فرعون وآله يعللون الأحداث الحسنة التى تصيبهم هى من حسن حظهم وهم يستحقونها. والسيئة التى تصيبهم هى بشؤم موسى ومن معه عليهم ومن تحت رأسهم. إن ما يقع لهم مصدره كله واحد ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

١٣٢ ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية..﴾ ويمضى آل فرعون فى عتوهم، تأخذهم العزة بالأثم، ويزيدهم الابتلاء عنادا. ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾.

١٣٣ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل..﴾ عندئذ تتدخل القوة الكبرى سافرة بوسائلها الجارية للإنذار والابتلاء..

١٣٤ ﴿ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك..﴾ أى وقع عليهم العذاب قالوا: ادع لنا ياموسى ﴿ربك﴾ بما اختصك به من النبوة ﴿لنؤمنن﴾ بك: أى لنصدقن نبوتك ﴿ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾.

١٣٥ ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه..﴾ نقضوه.. وفى كل مرة ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ماكانوا من قبل رفع العذاب عنهم.

١٣٦ ﴿فانتقمنا منهم..﴾ ثم تجئ الخاتمة -وفق سنة الله فى أخذ المكذبين بعد الابتلاء بالضراء والسراء وتقع الواقعة، ويدمر الله فرعون وملئه.

١٣٧ ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها..﴾ وهكذا يسدل الستار على مشهد الهلاك والدمار فى جانب. وعلى مشهد الاستخلاف والعمار فى الجانب الآخر، إذا فرعون وقومه مغرقون.. وإذا كل ماكانوا يصنعون للحياة، إذا كله حطام فى ومضة عين أو فى بضع كلمات قصار !

معانى الكلمات:

يطّيّروا بموسى: يتشاءموا.

ينكثون: ينقضون عهدهم.

ودمّرنا: أهلكنا وخربنا.

الدرس التاسع

(قصة موسى -عليه السلام- مع قومه بنى اسرائيل)

من الآية ١٣٨ / ١٧١

مدة الحفظ (خمسة أيام)

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

١٣٨ ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ..﴾ هذا المشهد بعد تجاوز بنى إسرائيل البحر ونحن فيها وجها لوجه أمام طبيعة القوم المنحرفة المستعصية على التقويم. . وها هم ما يكادون يمرون على قوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا كل ماتعلموه ليطلبوا إلى نبيهم: رسول رب العالمين أن يتخذ لهم بنفسه آلهة ! ويغضب موسى -عليه السلام- ويقول قولته التي تليق بهذا الطلب العجيب: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

١٣٩ ﴿إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ التبار: الهلاك والتدمير والذى هم فيه: هو عبادة الأصنام وكل ماكانوا يعملونه باطل.

١٤٠ ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ..﴾ أى كيف أطلب لكم غير الله إلها تعبدونه ؟ وقد شاهدتم من آياته العظام مايكفى البعض منه ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم.

١٤١ ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ..﴾ والخطاب من الله تعالى يوجه قلوبهم لما فى ذلك الابتلاء من عبرة. . . ابتلاء بالنجاة، الابتلاء بالشدة والابتلاء بالرخاء. ﴿وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

١٤٢ ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ..﴾ وهذا المشهد هو مشهد تهيؤ موسى للقاء ربه العظيم واستعداده للموقف الهائل بين يديه فى هذه الحياة الدنيا. وطلب من أخيه هارون ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ وتلقى هارون النصيحة من أخيه ﴿وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهذه النصيحة لم تثقل على نفس هارون فالنصيحة إنما تثقل علي نفوس الأشرار. إن الصغير هو الذى يبعد عنه يدك التى تمتد لتسانده.

١٤٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ..﴾ وهذا المشهد هو المشهد الفذ الذى اختص الله به نبيه موسى - عليه السلام - مشهد الخطاب المباشر بين الجليل -سبحانه - وعبد من عباده. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أى لكلام الله فى الموعد المضروب ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ أى أسمعه كلامه وقيل إن موسى طمع فى الرؤية فقال: ﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ فقال الجليل ﴿لَن تَرَانِي﴾ أى فى الوقت الذى طلب فيه رؤيته ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وقيل إن الجبل هو جبل الطور ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ولم يتزلزل عند رؤيتى ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وإن ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أى ظهر له ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أى مدكوكا مدقوقا، فصار ترابا ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أى مغشيا عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك قبل قومى.

معانى الكلمات:

مُتَبَّرٌ: مهلك مدمر.

أَبْغِيكُمْ إِلَهًا: أطلب لكم إلها.

صَعِقًا: مغشيًا عليه.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٤ ﴿قَالَ يا مُوسَىٰ إنّي اصْطَفَيْتُكَ على النَّاسِ..﴾ وأدركت موسى رحمة الله مرة أخرى فإذا يتلقى هذه البشرى. فأنا اخترتك علي الناس فخصصتك بالرسالة والتكليم من غير واسطه ﴿فخُذْ ما آتيتُكَ﴾ أى ما أعطاه من هذا الشرف العظيم ﴿وكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

١٤٥ ﴿وكتبْنا لهُ في الألْواحِ من كُلِّ شيْءٍ..﴾ إن فى هذه الألواح كل مايختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله وشريعته ﴿فخُذْها بقُوَّةٍ﴾ بجد ونشاط واعمل بما فيها ﴿وأْمُرْ قوْمَكَ يأْخُذُوا بِأحْسَنِها﴾ وأمر موسى أن يأخذ نفسه بأشد مما أمر به قومه. ﴿سأُرِيكُم دارَ الْفَاسِقِينَ﴾ وهى منزل الكفار من الجبابرة والعمالقة، ليعتبروا بها.

١٤٦ ﴿سَأَصْرِفُ عنْ آياتي الّذِين يتكبَّرُون فِي الأرْضِ..﴾ وهنا يجئ بيان لعاقبة الذين يتكبرون فى الأرض. سأمنعهم فهم كتابى ﴿وإن يروْا كُلَّ آيةٍ لاَّ يُؤْمنُوا بِهَا﴾ مع كثرتها ووضوح دلالاتها ﴿ذلك﴾ الصرف ﴿بأَنّهم كذَّبُوا بآياتنا وكانُوا عنْها غافلين﴾ بسبب تكذيبهم بالآيات وتغافلهم عنها. ومن ثم تجئ بقية الملامح ﴿وإن يروْا سبِيل الرُّشْد لا يتّخذُوهُ سبيلاً﴾ ﴿وإن يروا سبِيل الغَيّ يتّخذُوهُ سبِيلاً﴾ فهى جبلة تجنح عن سبيل الرشد، وتجنح إلى سبيل الغى ﴿ذلك بأنّهُم كذّبُوا بآياتنا وكانُوا عنْها غافلين﴾ غير مبالين بها ولاملتفتين إليها.

١٤٧ ﴿والّذين كذّبُوا بآياتنا ..﴾ والأمم التى خلت شاهد واقع. ولكن الذين سكنوا مساكنهم من بعدهم لا يأخذون منهم عبرة، ولايرون سنة الله التي تعمل ولاتتخلف. هؤلاء حبطت أعمالهم وبطلت ﴿هلْ يُجْزوْنَ إلاَّ ما كانُوا يعْملُون﴾ فلم يظلم الله شيئا.

١٤٨ ﴿واتَّخذ قوْمُ مُوسىٰ منْ بعْده ..﴾ وهنا جو هابط، المتردى بانحرافاته وخرافاته. إنها طبيعة إسرائيل التى ماتكاد تستقيم خطوة حتى تلتوى عن الطريق. لقد كان هؤلاء بعد خروج موسى إلى الطور اتخذوا من حليهم عجلاً إلها من الذهب لايكلمهم ولايقدر علي جلب نفع أو دفع ضر ولايدلهم علي طريق خير اتخذوه إلهًا ﴿وكانُوا ظالمين﴾ لأنفسهم.

١٤٩ ﴿ولَمّا سُقط فِي أيْديهمْ ورأوْا أنّهُمْ قدْ ضلُّوا..﴾ أى ندموا وتحيروا وذلك بعد عودة موسى وأنهم ابتلوا بمعصية الله سبحانه ﴿قالُوا لئن لَّمْ يرْحمْنا ربُّنا ويغْفرْ لنا﴾ لجأوا إلى الاستغاثة بالله والتضرع والابتهال فى السؤال.

معانى الكلمات:

الأَلْواح : ألواح التوراة.

سبِيل الرُّشْد : الهدى.

سبِيل الغيّ : الضلال.

حبِطتْ أعْمالُهُمْ : بطلت.

لَهُ خُوارٌ : صوت كصوت البقر.

سُقِطَ فِي أيْديهِمْ : ندموا أشد الندم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٥١) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ (١٥٥)

١٥٠ ﴿ولمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ..﴾ لقد عاد إليهم غضبان أشد الغضب يبدو انفعاله فى قوله وفعله. فالنقلة بعيدة، تركهم على عهدهم فخلفوه بالضلال، وتركهم على عبادة الله فخلفوه بعبادة عجل جسد له خوار. وألقى الألواح وهى التي كانت تحمل كلمات ربه لأنه فقد زمام نفسه، وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه فقال هارون ﴿ابن أمّ﴾ وهنا هدأت ثائرة موسى بهذا النداء الرقيق.

١٥١ ﴿قال ربّ اغفر لي ولأخي ..﴾ ليزيل عن أخيه ماخافه من الشماتة.

١٥٢ ﴿إنّ الّذين اتّخذوا العجل ..﴾ هؤلاء سينالهم من العقوبة فى الدنيا بقتل أنفسهم ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ ومنهم الذين جعلوا تمثال العجل إلها وليس بإله.

١٥٣ ﴿والّذين عملوا السّيئات ..﴾ أى سيئة كانت ﴿ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا﴾ أى من بعد هذه التوبة أو من بعد عمل السيئات وآمنوا بالله ﴿لغفور رّحيم﴾ كثير الغفران والرحمة بهم.

١٥٤ ﴿ولمّا سكت عن موسى الغضب ..﴾ ويمضى السياق ليكمل المشهد فيقرر مرة أخرى أن هذه الألواح هدى، وأن فيها رحمة، لمن يخشون ربهم ويرهبونه فتتفتح قلوبهم للهدى، وينالون الرحمة.

١٥٥ ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا ..﴾ وهذا المشهد هو مشهد موسى وسبعين من قومه مختارين للقاء ربه ولما انتهى بهم إلى جبل الطور وغشيت الجبل غمامة وأخذ موسى يناجى ربه تعالى وهم يسمعون قالوا: يا موسى لن نؤمن لك بأن الذى كان يكلمك الرب تعالى حتى نرى الله جهرة أى عيانا وهنا غضب الله تعالى عليهم ﴿فلمّا أخذتهم الرّجفة﴾ صيحة رجفت لها قلوبهم والأرض من تحتهم فماتوا كلهم.. هنا أسف موسى عليه السلام لموت السبعين رجلاً. فخاطب ربه قائلاً ﴿ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ أى من قبل مجيئنا إليك ﴿وإيّاي﴾ وذلك فى منزل بنى إسرائيل حيث عبدوا العجل ﴿أتهلكنا بما فعل السّفهاء منّا﴾ أى بسبب فعل السفهاء إن هو إلا اختبارك وبليتك ﴿تضلّ بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت وليّنا﴾ فليس هناك سواك ﴿فاغفر لنا﴾ أى ذنوبنا ﴿وارحمنا﴾ برفع العذاب عنا ﴿وأنت خير الغافرين﴾.

معانى الكلمات:

أعجلتم: اسبقتم بعبادة العجل أو اتركتم.

أخذتهم الرّجفة: الزلزلة.

فتنتك: محنتك وابتلاؤك.

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦ ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة..﴾ بتوفيقنا للأعمال الصالحة ﴿وفي الآخرة﴾ الجنة ﴿إنا هدنا إليك﴾ أى تبنا إليك ورجعنا عن الغواية، ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ ورحمتى هذه ساكتبها ﴿للذين يتقون﴾ الذنوب ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة عليهم ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ أى يصدقون بها.

١٥٧ ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي..﴾ وهو محمد ﷺ. الأمى أى من الأمم، من غير أهل الكتاب، وقيل الأمى الذى لايقرأ ولايكتب ﴿الذي يجدونه﴾ يعنى اليهود والنصارى يجدون نعته (صفته) ﴿مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ وهما مرجعكم فى الدين ﴿يأمرهم بالمعروف﴾ بمكارم الأخلاق ﴿وينهاهم عن المنكر﴾ قبيح الأفعال والأقوال ﴿ويحل لهم الطيبات﴾ وخاصة ماحرم على بنى إسرائيل ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ أى النجاسات ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ التكاليف الشاقة الثقيلة. ﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ التكاليف الشاقة كعقوبة لهم. كل ذلك يوضع عنهم لو أسلموا بدخولهم فى الإسلام وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا به﴾ أى بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿وعزروه﴾ أى وقروه وعظموه ﴿ونصروه﴾ على أعدائه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بدخول الجنة وبالنجاة من النار. وعليه بعد هذا البيان لم يتبق عذر لأتباع سائر الديانات السابقة.

١٥٨ ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا..﴾ والخطاب هنا موجه للنبى ﷺ يأمره بإعلان الدعوة إلى الناس جميعًا تصديقًا لوعد الله القديم ثم يعلن بقية التكاليف وهى تعريف الناس جميعا بربهم الحق سبحانه ﴿الذي له ملك السموات والأرض..﴾ وبعد ذلك أمر باتباع نبيه محمد ﷺ رجاء هداية من يتبعه فيما جاء به فيهتدى إلى سبيل الفوز فى الدارين.

١٥٩ ﴿ومن قوم موسى أمة..﴾ فى هذه الآية تقرير لحقيقة عن قوم موسى.. أنهم لم يكونوا جميعا ضالين ﴿أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

معانى الكلمات:

هدنا إليك : تبنا اليك.

إصرهم : عهدهم.

الأغلال : التكاليف.

وعزروه : عظموه.

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢) وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)

١٦٠ ﴿وقطَّعناهُمُ اثْنتي عَشْرة أَسْباطًا..﴾ وتمضى القصة فى أحداثها بعد الرجفة ومازالت رعاية الله تظلل موسى وقومه... تتجلى هذه الرعاية فى تنظيمهم حسب فروعهم فى اثنتى عشرة أمة - أى جماعة كبيرة ترجع إلى جدهم يعقوب - وهو إسرائيل ورغم هذه الرعاية الواضحة فى هذا كله فجبلتهم ماتزال بعد عصية على الهدى والاستقامة ورغم هذه النعم ﴿قدْ علم كُلُّ أناسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ و ﴿ظلَّلْنَا عليْهمُ الْغمام وأنزلْنا عليْهمُ الْمنَّ والسَّلْوى﴾... كل ذلك ذكر لنعمه تعالى عليهم وهم فى معية موسى وهارون فى حادثة التيه. وقوله تعالى ﴿وما ظلمُونا﴾ بتمردهم حتى نزل مانزل من البلاء ﴿ولكن كانوا أنفُسهُمْ يظْلمُون﴾.

١٦١ ﴿وإذْ قيل لهُمُ اسْكُنُوا هذه الْقرْية..﴾ والآن ننظر كيف تلقى بنو إسرائيل رعاية الله لهم وكيف سارت خطواتهم الملتوية على طول الطريق.. أمرهم بدخول القرية على أن يقولوا دعاء بعينه وهم يدخلونها ﴿وَقُولُوا حطَّةٌ﴾ وفى المقابل لطاعة الأمر يعدهم أن يغفر لهم خطيئاتهم وأن يزيد المحسنين.

١٦٢ ﴿فبدَّل الَّذين ظلمُوا منْهُمْ قوْلاً..﴾ فإذا فريق منهم يبدلون صيغة الدعاء التى أمروا بها... لماذا؟ إنه الانحراف الذى يلوى نفوسهم عن الاستقامة ﴿فأرْسلْنا عليْهمْ رجْزًا مّن السَّماء بما كانُوا يظْلمُون﴾ وهو هكذا كان ظلم فريق منهم - أى كفرهم - ظلمًا لأنفسهم بما أصابهم من عذاب الله.

١٦٣ ﴿واسْألْهُمْ عن الْقرْية الَّتي كانتْ حاضرة الْبحْر..﴾ ومرة أخرى يقع القوم فى المعصية والخطيئة.. وهم فى هذه المرة يحتالون على النصوص ليفلتوا منها! ويأتيهم الابتلاء، فلا يصبرون عليه. فيأمر الله -سبحانه - رسوله ﷺ أن يسألهم عن واقعة البحر وهى مشهودة لهم فى تاريخ أسلافهم وكانت بالفعل خارقة - أسماك تحاورهم يوم السبت ﴿ويوْم لا يسْبتُون لا تأْتيهمْ﴾ وفى هذه الحادثة انقسم الناس إلى ثلاث فرق: فريق يحتالون على السبت الذى حرم عليه الصيد فيه، وفريق يرى ما يفعلون فيحذر الفريق العاصى، فريق ثالث يقول للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ما فائدة ما تزاولون مع هؤلاء العصاة وهم لايرجعون عن ضلالهم.

معانى الكلمات:

وَقطَّعْناهُمْ: فرقناهم.

أسْباطًا: جماعات.

وقُولُوا حطَّةٌ: حط ذنوبنا عنا.

حَاضِرَةَ الْبحْرِ: قريبة من البحر.

شُرَّعًا: ظاهرة على وجه الماء.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٤ ﴿وإذْ قالتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تعظُون..﴾ فلم تعد هناك جدوى من الوعظ لهم ولم تعد هناك جدوى لتحذيرهم ﴿قوْمًا اللّهُ مُهلكُهُمْ أوْ مُعذّبهم عذابا شديدا﴾ لكن الواجب لله يؤدى: واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿قالُوا معْذرةً إلىٰ ربكُم﴾ أى قال الواعظون: موعظتنا لهم معذرة إلى الله حتى لايؤاخذونا بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ولعلّهُمْ يتّقون﴾ يقلعون عما هم فيه من المعصية.

١٦٥ ﴿فلمَّا نسُوا مَا ذُكّرُوا به﴾ أى لما تركوا ماذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر ﴿أنجيْنا الّذين ينْهوْن عن السوء﴾ أما العصاة المعتدون فى السبت ﴿وأخذْنا الّذين ظلمُوا بعذاب بئيس﴾ أى شديد ﴿بما كانُوا يفسُقون﴾.

١٦٦ ﴿فلمَّا عتوْا عن مَّا نُهُوا عنهُ..﴾ أي تجاوزوا الحد في معصية الله ﴿قُلنا لهُمْ كُونُوا قردةً﴾ فصاروا كما أمرناهم ومسخوا قردة ﴿خاسئين﴾ أذلاء مطرودين.

١٦٧﴿وإذْ تأذّن ربُّك ليبْعثنّ عليْهمْ إلىٰ يوْم القيامة..﴾ مازال السياق في شأن اليهود فقد أمر تعالى رسوله أن يذكر إعلامه تعالى بأنه سيبعث بكل تأكيد على اليهود إلى يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم عقوبة منه تعالى لهم على خبث نواياهم وسوء افعالهم ولايدرى إلا الله من ذا الذى سيسلط عليهم فى الجولة التالية، وما بعدها إلى يوم القيامة ﴿إنّ ربّك لسريعُ العقاب وإنّهُ لغفُورٌ رّحيمٌ﴾ إنه هو الجزاء العادل لمن يستحقون ووراءه المغفرة والرحمة....

١٦٨ ﴿وقطّعْناهُم في الأرْض أُممًا ..﴾ ثم تمضى خطوات القصة مع خطوات التاريخ من بعد موسى وخلفائه مع الأجيال التالية في بنى اسرائيل إلى الجيل الذى كان يواجه الرسول ﷺ والجماعة المسلمة فى المدينة: وهذه تضمنت بيان فضل الله تعالى باليهود وهو أن الله تعالى قد فرقهم فى الأرض جماعات جماعات وأن منهم الصالحين وأن منهم دون ذلك وأنه اختبرهم بالحسنات وهى النعم والسيئات وهى النقم ﴿لعلّهُم يرْجعُون﴾ ليعدهم للتوبه.

١٦٩ ﴿فخلف منْ بعْدهمْ خلْفٌ ..﴾ الخلف هو الأولاد والذرية خلف سوء ورثوا الكتاب ولم يلتزموا بما أخذ فيه من عهود ولم يتكيفوا به ولم تتأثربه قلوبهم ولاسلوكهم ويسأل سؤال استنكار ﴿ألمْ يُؤْخذْ عليْهم ميثاقُ الْكتاب﴾ وقد قرأوا هذا الكتاب وفهموه ومع هذا يجترئون على الله ويكذبون عليه بأنه سيغفر لهم وبعد ذلك يواجههم تعالى بالخطاب مذكرًا لهم واعظًا فيقول ﴿والدّارُ الآخرةُ خيْرٌ لّلّذين يتّقُون أفلا تعْقلُون﴾.

١٧٠ ﴿والّذين يُمسّكُون بالْكتاب..﴾ أى يعملون بحرص وشدة بما فيه من الأحكام والشرائع ﴿وأقامُوا الصّلاة﴾ ومعنى أنهم مصلحون ﴿إنّا لا نُضيعُ أجر المُصْلحين﴾ فسيجزيهم الله على إصلاحهم لأنفسهم ولغيرهم لأنه تعالى لايضيع أجر المصلحين.

معانى الكلمات:

فلمّا عتوْا : استكبروا.

يسُومُهُمْ : يذيقهم.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)

١٧١ ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ..﴾ هذه الآية فى هذا السياق هي خاتمة الحديث على اليهود. فيقول الله تعالى: أذكرلهم أيها الرسول إذ رفعنا فوقهم جبل الطور من أصله وصار فوقهم كأنه ظله ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ أى ساقط عليهم وقلنالهم ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ والمراد مما آتاهم من أحكام التوراة ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ ولاتنسوه فتحصل لكم بذلك تقوى الله عز وجل.

الدرس العاشر

(قضية التوحيد.. والشرك)

من الآية ١٧٢ /١٩٨

مدة الحفظ (يومان)

١٧٢ ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ..﴾ إن هناك عهدًا من الله على فطرة البشر أن توحده يخرج بها كل مولود إلى الوجود. فعندما خلق الله آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد وهؤلاء هم عالم الذر ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ أى أشهد كل واحد منهم ﴿ألست بربكم﴾ فيجيبون ﴿قالوا بلى شهدنا﴾ أى على أنفسنا بأنك ربنا ﴿إنا كنا عن هذا غافلين﴾ أى لئلا تقولوا لم يكن لدينا علم بكون الله ربنا وحده لاشريك له.

١٧٣ ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ..﴾ والعبرة من هذا أن الإنسان سرعان ما ينسى، ويعاهد ولايفى. ومع الأسف أكثر بنى آدم ينكرون العهد الذى أخذ على كل بنى آدم ويشركون بربهم.

١٧٤ ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ تذكيرا للناس وتعليمًا ولعلهم يرجعون إلى الحق بعد إعراضهم عنه وعهدهم مع الله.

١٧٥ ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ..﴾ وهذا مثل للإنحراف عن سواء الفطرة ونقض لعهد الله فهذا الذى آتاه الله آياته.. ولكنه انسلخ منها وتعرى عنها ولصق بالأرض واتبع هواه فاستولى عليه الشيطان وأمسى مطرودًا من حمى الله لايهدأ ولايطمئن.

١٧٦ ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ..﴾ أى بالآيات إلى قمم المجد والكمال ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ أى مال إليها ﴿واتبع هواه﴾ وترك عقله ووحى ربه عنده فصار ﴿كمثل الكلب﴾ أى فى اللهث والإعياء ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ من اليهود وغيرهم.

١٧٧ ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ..﴾ اى قُبح مثلهم بقبح أفعالهم وهل أسوأ من هذا مثلاً؟!

١٧٨ ﴿من يهد الله فهو المهتدي ..﴾ لما أمر الله به وشرعه لعباده ﴿ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ الكاملون في الخسران.

معانى الكلمات:

نتقنا الجبل فوقهم: رفعناه وقلعناه.

كأنه ظلة: غمامة.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

١٧٩ ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس ..﴾ إن هؤلاء الكثيرين من الجن والإنس مخلوقات لجهنم ! وهم مهيأون لها ! فما بالهم كذلك ؟ ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ كما يفقه غيرهم ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ لاإبصار ولاسمع وإن كانوا يسمعون غير ذلك ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ أضل من البهائم.

١٨٠ ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ..﴾ أحسن الأسماء له سبحانه ﴿فادعوه بها﴾ (قائلين: يا رحمن يا حليم يا عليم) فإنها من أسباب الإجابة ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ يحرفون لفظها أو معناها. والإلحاد فى أسمائه ويكون على ثلاثة أوجه: إما بالتغيير أو بالزيادة أو بالنقصان هؤلاء ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾.

١٨١ ﴿وممن خلقنا أمة ..﴾ قيل هم هذه الأمة وإنهم الفرقة الذين لايزالون على الحق ظاهرين كما ورد فى الحديث الصحيح.

١٨٢ ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم ..﴾ سنأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة فتنزل عليهم النعم وينسون شكرها.

١٨٣ ﴿وأملي لهم ..﴾ أى أطيل لهم المدة وأؤخر عنهم العقوبة ﴿إن كيدي متين﴾ لأنه فى الظاهر إحسان وفى الباطن خذلان.

١٨٤ ﴿أولم يتفكروا ..﴾ فى شأن رسول الله ﷺ وفيما جاء به ﴿ما بصاحبهم من جنة﴾ شئ مما يدعونه من الجنون ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ منذر من الله لهم.

١٨٥ ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ..﴾ والمعنى أن هؤلاء لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكر ﴿وما خلق الله من شيء﴾ من الحيوان والنبات والكواكب وغيرها ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيموتوا عن قريب فمالهم لاينظرون فيما يهتدون به وينتفعون ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ أى فبأى كلام غير القرآن يؤمنوا إن لم يؤمنوا به.

١٨٦ ﴿من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ فالقوم إذا أضلهم الله، ومن أضله الله فلا هادى له. ويزرهم فى طغيانهم يعمهون حيارى يترددون لايدرون مايقولون.

١٨٧ ﴿يسألونك عن الساعة ..﴾ السائلون هم اليهود، وقيل: قريش و﴿الساعة﴾ القيامة ﴿أيان مرساها﴾ أى متى يرسيها الله ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ لايعلمها غيره ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ أى لايظهرها لوقتها ولايكشفها لأحد ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ إلا فجأة على غفلة وأنتم آمنون ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ كأنك عالم بها ﴿قل إنما علمها عند الله ..﴾ ومفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله منها وقت الساعة.

معانى الكلمات:

ذرأنا : خلقنا وأوجدنا.

وأملي لهم : أمهلهم.

حفي عنها : باحث عنها.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

١٨٨ ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا..﴾ وذلك لتأكيد ماتقدم من عدم علمه بالساعة أيان تكون ومتى تقع ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ أى لاشتريت حين يكون فيما أشتريه الربح، وبعت حين يكون الربح في البيع ﴿إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ مبلغ عن الله لأحكامه أنذر بها قومًا، وأبشر بها آخرين.

١٨٩ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ..﴾ هى نفس واحدة فى طبيعة تكوينها.. والاختلاف هذا ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ وهي المباشرة ﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ وهنا تصوير الحمل فى أول مرة تمر به الأم بلا ثقلة كأنها لا تحسه ثم تأتى المرحلة الثانية ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لقد تبين الحمل، وتعلقت به قلوب الزوجين وجاء دور الطمع فى أن يكون المولود سليما صحيحًا صبوحًا. لكن ماذا حدث ؟

١٩٠ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا..﴾ أى آتاهما الولد الصالح إن بعض الروايات فى التفسير تذكر هذه القصة على أنها قصة حقيقية وقعت لآدم وحواء وهذه من الإسرائيليات. أما الجاعل هنا شركاءهم جنس بنى آدم كما وقع من المشركين منهم ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

١٩١ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا..﴾ أى من المخلوقات ﴿وَهُمْ﴾ أى الأوثان عبادها ﴿يُخْلَقُونَ﴾.

١٩٢ ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا..﴾ إذا طلبوا منهم ذلك ﴿وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ لأنهم جمادات لاحياة بها ولاقدرة لها.

١٩٣ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ..﴾ أى أولئك الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ وقد ضلوا الطريق ﴿لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ لأنهم لايعقلون الرشد من الضلال ولذا فسواء عليكم ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ لم تدعوهم فإنهم لايتبعونكم

١٩٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ..﴾ هؤلاء الذين جعلتموهم آلهة هم عباد لله، كما أنتم عباد له مع أنكم أكمل منهم لأنكم أحياء تنطقون وتمشون وتسمعون وتبصرون وهذه الأصنام ليست كذلك. ولكنها مثلكم فى أنها مملوكه لله. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ أى فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

١٩٥ ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا..﴾ إن أصنامهم هذه الساذجة بهيئتها الظاهرة ليس لها أرجل تمشى بها ولا أيد تبطش بها وليس لها أعين تبصر بها وليس لها آذان تسمع بها.. هذه الجوارح التي تتوافر لهم هم فكيف يعبدون ماهو دونهم من هذه الأحجار الهامدة ؟ وفى نهاية هذه المحاجة يوجه الله سبحانه رسوله ﷺ أن يتحداهم ويتحدى آلهتهم العاجزة - كلها - وأن يعلن عن عقيدته الناصعة في تولي الله -وحده- له: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ﴾.

معانى الكلمات:

تغشَّاها: واقعها.

أثْقلت: صارت ذات ثقل بكبر الحمل.

إِنَّ وَلِيِّـۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ (١٩٦)
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)

١٩٦ ﴿إنَّ وليِّي اللَّهُ الَّذي نزَّل الكتاب..﴾ أى كيف أخاف هذه الأصنام، ولى ولىّ ألجأ إليه وأستنصر به وهو عز وجل ﴿وهو يتولَّى الصَّالحين﴾ أى يحفظهم وينصرهم

١٩٧ ﴿والَّذين تدعون من دونه..﴾ أى من دون الله من هذه الاوثان ﴿لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾

١٩٨ ﴿وإن تدعُوهُم إلى الهُدى لا يسمعوا..﴾ فضلاً عن أن تدعوهم إلى الضلال ﴿وتراهم﴾ أى ترى أولئك الآلهة وهى تماثيل من حجارة ﴿ينظرون إليك﴾ اذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائما، والحال أنهم لايبصرون وهل تبصر الصور والتماثيل؟

الدرس الحادى عشر
(توجيهات ربانية إلى أوليائه الصالحين)
من الآية ١٩٩ /٢٠٦
مدة الحفظ (يوم واحد)

١٩٩ ﴿خُذ العفو..﴾ الميسر الممكن ﴿وأْمر بالْعُرف﴾ وهو الخير المعروف الواضح ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ من الجهالة ضد الرشد والإعراض يكون بالترك والإهمال.

٢٠٠ ﴿وإمَّا ينزغنَّك من الشَّيطان نزْغٌ..﴾ أى أثار غضبك حتى لاتلتزم بهذا الأدب الذى أمرت به ﴿فاستعذ بالله إنَّهُ سميعٌ عليمٌ﴾ بدفعه عنك إنه سميع لأقوالك عليم بأحوالك.

١٠٢ ﴿إنَّ الَّذين اتَّقوا..﴾ أى ربهم فلم يشركوا به أحدًا ﴿إذا مسَّهُم طائف مّن الشَّيطان﴾ بأن نزغهم بإثارة الغضب أو الشهوة فيه تذكروا أمر الله ونهيه ووعده ووعيده ﴿فإذا هُم مُّبصرُون﴾ يرون قبح المعصية وسوء عاقبة فاعلها فكفوا عنها ولم يرتكبوها.

٢٠٢ ﴿وإخْوانُهُم يمُدُّونهُم..﴾ أى إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصى يمدونهم فى المعاصى والضلالات ويزيدونهم في تزيينها لهم وحملها عليهم ﴿ثمَّ لا يقْصرون﴾ عن فعلها ويكفون عن ارتكابها.

٢٠٣ ﴿وإذا لم تأتهم بآية..﴾ أى لولا ألححت على ربك حتى ينزلها أوهلا فعلتها من نفسك: ألست نبيا: إنهم لم يكونوا يدركون طبيعة الرسول ووظيفته ﴿قُلْ إنَّما أتَّبعُ ما يُوحىٰ إليَّ من رَّبي﴾ فلا أقترح ولا أبتدع ولا أملك إلا ما يوحيه إلى ربى. ﴿هذا بصائر من رَّبكُم وهدى ورحمةٌ لقوم يؤمنون﴾ إن هذا القرآن بصائر تهدى ورحمة تفيض ﴿لقوم يؤمنون﴾ فهم الذين يجدون هذا كله فى هذا القرآن الكريم.

٢٠٤ ﴿وإذا قُرئَ القُرآنُ فاستمعُوا لهُ..﴾ أى تكلفوا السماع وتعمدوه ﴿وأنصتوا﴾ بترك الكلام ﴿لعلَّكُم ترحمون﴾ أى رجاء أن ينالكم من هدى القرآن رحمته فتهتدوا وترحموا لأن القرآن هدى ورحمة للمؤمنين.

٢٠٥ ﴿واذْكُر رَّبَّك في نفسك..﴾ أى سرًا ﴿تضرُّعا﴾ أى تذللا وخشوعًا ﴿وخيفةً﴾ أى وخوفا وخشية ﴿ودُون الْجهر من الْقوْل﴾ وهو السر بأن يسمع نفسه فقط ﴿بالْغُدوّ والآصال﴾ أى أوائل النهار وآخره ﴿ولا تكُن مّن الْغافلين﴾

٢٠٦ ﴿إنَّ الَّذين عند ربّك..﴾ وهم الملائكة فى الملكوت الأعلى ﴿لا يستكبرُون عن عبادته﴾ أى طاعته بما كلفهم به ووظفهم فيه ﴿ويُسبّحُونهُ ولهُ يسجدون﴾ فتأس بهم ولاتكن من الغافلين.

معاني الكلمات:

ينزغنَّك: يصيبنك أو يصرفنك.

نزْغ: وسوسة.

بالغدوّ والآصال: أوائل النهار وأخره.




سورة
الأنفال



سـورة الأنفـال

مدنية : وآياتها خمس وسبعون آية

(مدة الحفظ : ٢٥ يومًا)

هذه السورة

وهى مدنية. آياتها خمس وسبعون آية. كلـماتها ألف وستمائة وإحدى وثلاثون كلمة. حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً والله أعلم.

* كان نصـر بدر مفـاجأة لأصحـابه، وقد جـاءت سورة الأنفال فى أعـقاب انتـصار المسلمين لتبين عمل القدر وجهد البشر. فأبانت أن النصر الذى أعز الله به المسلمين مكافأة سماوية على صبر السنين الماضية.

* نزلت هذه السورة فى شهر رمضان من العام الثانى للهجرة بعد تسعة عشر شهراً من الهجرة على الأرجح وقد سـمى الله -سبحانه وتعالى- يومهـا (يوم الفرقان) (يوم التقى الجمعان) كما أنه جعلها مفرق الطريق بين الناس فى الآخرة.

* فى هذه الغزوة نزلت سورة الأنفال، نزلت تعـرض وقائع الغزوة الظاهرة، وتعرض وراءها فعل القدرة المدبرة.

* لقد اختلفوا على الغنائم القليلة وأراد الله أن يعلمهم أن أمر هذه الوقـعة أكبر كثيرا من أمر الغنائم.

* وأراد الله أن يعلمهم أن هذا الأمر العظيم إنما تم بتدبير الله وقدره. . .

* وأراد الله أن يريهم مدى الفرق بين ما أرادوه لأنفسهم من الظفر بالعير وما أراده الله لهم وللبشرية كلها.

لقد بـدأت السورة بتـسجيل سـؤالهم عن الأنفـال وبيان حكم الله فـيها. . ثـم جعل يذكرهم بأمـرهم وتدبيرهم لأنفسـهم وتدبير الله لهم، ومـدى ما يرونه من واقع الأرض ومدى قدرة الله من ورائه ومن ورائهم.

ثم ذكرهم بما أمرهم به من العون، وما يسره لهم من النصر، وما قدره لهم بفضله من الأجر. وهكذا يمضى السـياق فى هذا المجال، يسجـل أن المعركة بجملتـها من صنع الله

وتدبيره، بقيادته وتوجيهه، بعـونه ومدده، بفعله وقدره، له وفى سبيله . . . ومن ثم تجريد المقاتلين ابتداء من الأنفال وتقرير أنها لله وللرسول.

* ويبرز فى سياق السـورة بصفة خاصة -إلى جانب خط العـقيدة- خط آخر هو خط الجهاد. وبيان قيمته الإيمانية والحركيـة. وأخيرا فإن السورة تنظم ارتباطات الجماعة المسلمة على أساس العقيدة، وبيان الأحكام التى تتعامل بها مع غيرها من الجماعات الأخرى فى الحرب والسلم.

* لقد كانت هذه الغزوة هى أول وقعة كبيرة لقى فيها المسلمون أعداءهم من المشركين فهزموهم تلك الهزيمة الكبيرة.

* لقد أراد الله -سـبحانه وتـعالى- أن تكون هذه الوقعـة فرقانـاً بين الحق والباطل، وفرقاناً فى خط سير التاريخ الإسلامى، ومن ثم فرقانا فى خط سير التاريخ الإنسانى.

* وتضمنت السورة الـتوجيهات الموحـية إلى هذه المعانى الكبيـرة، والى هذه الحقائق الضخمـة الخطيرة، كما تضمنت مشـاهد من الموقعة، ومشاهد من حركـات النفوس قبل المعركـة وفى ثناياها وبعدها. واستطرد الـسياق أحيـانا إلى صور من حيـاة الرسول ﷺ وحياة أصـحابه فى مكة وهم قلة مستـضعفون فى الأرض وإلى صور من حـياة المشركين قبل الهجرة.

الدرس الأول

(بيان حكم الله فى الأنفال)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ يسئلونك عن الأنفال . . . ﴾

إلى الآية رقم (٢٩) قوله تعالى: ﴿ يأيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله . . ﴾

مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

* موضوع هذا الدرس الأول فى السورة: هوبيان حكم الله فى الأنفال. . . المغانم التى يغنمها المسلمون فى جهادهم فى سبيل الله. . بعدما ثار بين أهل بدر من الجدال حول تقيسمها فردهم الله إلى حكمه إلى تقواه وطاعة رسوله واستجاش فى قلوبهم وجدان الإيمان والتقوى.

* ثم أخذ يذكرهم بما أرادوا لأنفسهم من العير والغنيمة. وماأراده الله لهم من النصر والعزة. وكيف سارت المعركة، وهم قلة لاعدد لها ولا عدة، وأعداؤهم كثرة فى الرجال والعتاد. وكيف ثبتهم بمدد من الملائكة، وبالمطر يستقون منه ويغتسلون ويثبت الأرض تحت أقدامهم فلا تسوخ فى الرمال، وبالنعاس يغشاهم فيسكب عليهم السكينة والاطمئنان، وكيف ألقى فى قلوب أعدائهم الرعب وأنزل بهم شديد العقاب.

* ومن ثم يأمر المؤمنين أن يثبتوا فى كل قتال. مهما خيل إليهم فى أول الأمر من قوة أعدائهم، فإن الله هو الذى يقتل، وهو الذى يرمى، وهو الذى يدبر، وإن هم إلا ستار لقدر الله وقدرته، يفعل بهم مايشاء. . . ثم يسخر من المشركين الذين كانوا قبل الموقعة يستفتحون، فيطلبون أن تدور الدائرة على أضل الفريقين وأقطعها للرحم فيقول لهم: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾.

* ويحذر المؤمنين أن يتشبهوا بالمنافقين الذين يسمعون ولكنهم لايسمعون لأنهم لايستجيبون!

* وينتهى الدرس بنداءت متكررة للذين آمنوا. ليستجيبوا لله وللرسول إذا دعاهم لما يحييهم -ولو خيل إليهم أنه الموت والقتل- وليذكرهم كيف كانوا قليلاً مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس، فآواهم وأيدهم بنصره، وليعدهم أن يجعل لهم فرقانا فى قلوبهم وفى حركتهم إن هم اتقوه. . ذلك إلى تكفير السيئات وغفران الذنوب. وماينتظرهم من فضل الله الذى تتضاءل دونه الغنائم والأنفال.

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٢١٦) إلى صفحة رقم (٢١٩)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى	الثالث
آيات الحفظ	من	١	١٢	٢٢
	إلى	١١	٢١	٢٩

الدرس الثانى

(موقف المشركين وصدهم عن سبيل الله)

من الآية رقم (٣٠) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾

إلى الآية رقم (٤٠) قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ... ﴾

مدة الحفظ: (يوم واحد)

* لقد سبق فى الدرس الماضى تصوير ماكان عليه موقف المسلمين فى مكة وقبل هذه الغزوة-من القلة والضعف وقلة المنعة، حتى ليخافون أن يتخطفهم الناس، وتصوير ما صاروا إليه من الإيواء والعزة والنعمة بتدبير الله ورعايته وفضله.

* وهنا يستطرد إلى تصوير موقف المشركين وهم يبيتون لرسول الله ﷺ قبيل الهجرة ويتآمرون وهم يعرضون عما معه من الآيات ويزعمون أنهم قادرون على الإتيان بمثلها لو يشاءون! وهم يعاندون حتى ليستعجلون العذاب -إن كان هذا هو الحق من عند الله- بدلاً من أن يفيئوا إليه ويهتدوا به!

* ثم يذكر كيف ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، ويجمعوا لحرب رسول الله، ويوعدهم بالخيبة والحسرة فى الدنيا، والحشر إلى جهنم فى الآخرة، والخسارة هنا وهناك من وراء الكيد والجمع والتدبير.

* وفى النهاية يأمر الله نبيه أن يواجه الذين كفروا فيخيرهم بين أمرين: أن ينتهوا عن الكفر والعناد وحرب الله ورسوله فيغفر لهم ماسبق. أو أن يعودوا لماهم عليه وما حاولوه فيصيبهم ما أصاب الأولين من أمثالهم وتجرى عليهم سنة الله بالعذاب الذى يشاؤه الله ويقدره كما يريد.

ثم يأمر الله المسلمين أن يقاتلوهم حتى لاتكون للكفر قوة يفتنون بها المسلمين حتى تتقرر الألوهية فى الأرض لله وحده -فيكون الدين كله لله- فإن أعلنوا الاستسلام قبل منهم النبى ﷺ هذا ونيتهم يحاسبهم بها الله. والله بما يعملون بصير وإن تولوا وظلوا على حربهم وعنادهم وعدم اعترافهم بألوهية الله وحده وعدم استسلامهم لسلطان الله فى الأرض، واصل المسلمون جهادهم، مستيقنين أن الله مولاهم ونعم المولى ونعم النصير.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٢١٩) إلى صفحة رقم (٢٢٠)

الدرس الثالث

(أحكام القتال)

من الآية رقم (٤١) قوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ... ﴾

إلى الآية رقم (٥٤) قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾

مدة الحفظ (يومان)

* هذا الدرس عبارة عن استطراد فى أحكام القتال الذى بدأ الحديث عنه فى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ﴾.

* ثم تابع الحديث عن أحكام الغنائم التى تنشأ من النصر فى ذلك القتال الذى بين غايته وهدفه ﴿حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾

* ومع أن غاية الجهاد قد تحددت بهذا النص الواضح، وتبين منها أنه جهاد لله وفى سبيل أهداف تخص دعوة الله ودينه ومنهجه للحياة.. ومع أن ملكية الأنفال التى تتخلف عن هذا الجهاد قد بت فى أمرها من قبل، فردت إلى الله والرسول وجرد منها المجاهدين لتخلص نيتهم وحركتهم لله.. على أن هناك واقع فعلى والمنهج القرآنى الربانى يواجهه فهناك غنائم وهناك محاربون. وهؤلاء المحاربون يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم هم يتطوعون للجهاد، وهم يجهزون أنفسهم على نفقتهم الخاصة، وهم يجهزون. غيرهم من المجاهدين الذين لا يجدون ما ينفقون... ثم هم يغنمون من المعركة غنائم. يغنمونها بصبرهم وثباتهم وبلائهم فى الجهاد... وهكذا لم يعد من بأس فى إعطائهم نصيبهم من هذه الغنائم -وهم يشعرون أنهم إنما يعطيهم الله ورسوله- فيلبى هذا العطاء حاجتهم الواقعية، ومشاعرهم البشرية، دون أن ينشأ عنه محظور من التكالب عليه، والتنازع فيه، بعد ذلك الحسم الذى جاء فى أول السورة.

إنه منهج الله الذى يعلم طبيعة البشر، ويعاملهم بهذا المنهج المتوازن المتكامل الذى يلبى حاجات الواقع، كما يلبى مشاعر البشر، وفى الوقت ذاته يبقى فساد الضمائر وفساد المجتمع، من أجل تلك المغانم!

تفسير آيات هذا الدرس

من صفحة رقم (٢٢١) إلى صفحة رقم (٢٢٣)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٤١	٤٧
	إلى	٤٦	٥٤

الدرس الرابع

(قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة فى السلم وفى الحرب)

من الآية رقم (٥٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾

إلى الآية رقم (٧٥) قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ ... ﴾

مدة الحفظ (يومان)

* هذا الدرس الأخير من سورة الأنفال يتضمن الكثير من قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة فى السلم والحرب، والتنظيمات الداخلية للمجتمع الإسلامى وعلاقته بالمنظمات الخارجية، ونظرة الإسلام إلى العهود والمواثيق فى شتى الأحوال ونظرته كذلك إلى علاقات الدم والجنس الأرض وعلاقات العقيدة. ومنه تتبين عدة قواعد بعضها نهائى فى موضوعه، وبعضها مرحلى كان يواجه أحوالاً معينة واقعة ثم أدخلت عليه التعديلات النهائية المستقرة فى سورة التوبة قرب نهاية العهد المدنى.

* إن الذين يعاهدون المعسكر الإسلامى ثم يخلفون عهدهم معه هم: ﴿شَرَّ الدَّوَابِّ..﴾.

* إن المعاهدين الذين تخشى القيادة الإسلامية نقضهم العهد والخيانة، فإن لهذه القيادة أن تنبذ إليهم عهدهم، وتعلنهم بإلغائه ﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾.

* أنه يجب على الإسلام إعداد العدة دائما واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة لتكون القوة المهتدية... هى القوة العليا فى الأرض. ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

* أنه إذا جنح فريق من غير المسلمين إلى مسالمة المعسكر الإسلامى وموادعته وعدم الوقوف فى وجه القيادة الإسلامية تقبل منه المسالمة ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

* أن الجهاد الإسلامى فريضة على المسلمين حتى ولو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾.

* إن المعسكر الإسلامى يجب أن يكون همه ابتداء القضاء على قوة الطاغوت بتحطيم كل أسباب القوة.

* إن الغنائم حل للمسلمين فى المعركة من أموال المشركين.

* إن الأسرى فى المعسكر الإسلامى ينبغى أن يرغبوا فى الإسلام.

* إن آصرة التجمع الإسلامى هى العقيدة.

* إن قيام التجمع والولاء فى المجتمع المسلم على آصرة العقيدة والتنظيم الحركى لايمنع أن يكون أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض، فيكونوا أقرب فى الولاء -متى تحقق شرط العقيدة، وشرط التنظيم الحركى- فأما قرابة الرحم وحدها فإنها لا تنشئ أولوية إذا انقصمت رابطة العقيدة ورابطة التنظيم الحركى. ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾.

تفسير آيات هذا الدرس من صفحة رقم (٢٢٣) إلى صفحة رقم (٢٢٥)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
آيات الحفظ	من	٥٥	٦٧
	إلى	٦٦	٧٥

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

الدرس الأول
(بيان حكم الله فى الأنفال)
من الآية رقم (١/٢٩)
مدة الحفظ (ثلاثة أيام)

١ ﴿يسألونك عن الأنفال ..﴾ هذه الآيات نزلت فى غزوة بدر وكان النبى ﷺ قد نفل ببعض المجاهدين لبلائهم وتخلف آخرون فحصلت تساؤلات بين المجاهدين لم يعطى هذا ولم لايعطى ذاك فسألوا الرسول ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ فأخبرهم أنها ﴿لله والرسول فاتقوا الله﴾ بترك النزاع ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ بتوثيق عرى المحبة ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فى كل ما يأمرانكم به وينهياكم عنه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهى.

سبب النزول: عن سعد بن أبى وقاص (أخرجه الإمام أحمد) قال: لما كان يوم(بدر) قُتل أخى عمير وقتل سعيد بن العاص فأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكيفة، فأتيت به النبى ﷺ قال: «اذهب فاطرحه فى القبض» قال: فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبى، فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لى رسول الله ﷺ «فخذ سيفك».

٢ ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ..﴾ هذا هو شأن المؤمنين خوفاً من الله والفزع منه عند ذكره ولايتوكلون إلا على الله بتفويض الأمر إليه.

٣ ﴿الذين يقيمون الصلاة ..﴾ وهذه هى صفاتهم أداء الصلاة كاملة وينفقون من مال وعلم وجاه وصحة بدن كل ذلك ينفقونه فى سبيل الله.

٤ ﴿أولئك هم المؤمنون حقًا ..﴾ الذين يتصفون بالأوصاف السابقة هم المؤمنون حقا وصدقا. لهم منازل عالية متفاوتة العلو والارتفاع في الجنة ولهم المغفرة الكاملة والرزق الطيب.

٥ ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ..﴾ ولقد أخرجك ربك يا رسول الله من ﴿بيتك﴾ أى المدينة ﴿بالحق﴾ متلبساً به حيث خرجت بإذن الله ﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ لما علموا بخروج قريش لقتالهم.

٦ ﴿يجادلونك في الحق ..﴾ يجادلونك في القتال ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ يشاهدون أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له.

٧ ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ..﴾ أى تظفرون بالعير والنفير وتحبون أن تكون ﴿غير ذات الشوكة﴾ وهى عير أبى سفيان ﴿تكون لكم﴾ وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلة عددها وعددها والله يريد ﴿أن يحق الحق﴾ بإظهاره وينصر أولياءه ويهزم أعداءه ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أى بتسليطكم عليهم فتقتلوهم.

٨ ﴿ليحق الحق ..﴾ ليثبت الإسلام فى الأرض ويعلى بنيانه ﴿ويبطل الباطل﴾ يمحق الشرك حتي يبطل وجوده وينتهى ولو كره المجرمون وهم المشركون.

معانى الكلمات:

الأنفال : غنائم بدر.

ذات بينكم : أحوالكم.

وجلت قلوبهم : فزعت.

إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ
مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ
وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ
ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾
إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ
سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ
ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ
بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ..﴾ يمضى السياق هنا فى استحضار جو المعركة وملابساتها لقد استجاب لهم ربهم وهم يستغيثون، وأنبأهم أنه يمدهم بألف من الملائكة مردفين.

١٠ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى ..﴾ بشرى لكي تطمئن به القلوب. أما النصر فمن عند الله ولايكون من غيره.

١١ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ..﴾ لقد غشيهم النعاس عندما فزعوا وهم يرون أنفسهم قلة فى مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه. وإذا بهم يصحون بعد النعاس والسكينة تغمر بنفوسهم. لقد كان ذلك بمثابة مددٍ من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر. والمدد الآخر ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ وأيضا ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وأيضا ﴿وليربط على قلوبكم﴾ وفائدة أخرى خطيرة ﴿ويثبت به الأقدام﴾ حتى لاتسوخ فى الرمال.

١٢ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ..﴾ إنها معية الله -سبحانه وتعالى- للملائكة فى المعركة، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة. ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ أي الخوف أيها المؤمنون ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ أعاليها وهى أسرع إلى القطع ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ أطراف الأصابع من اليدين.

١٣ ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ..﴾ أى اتخذوا لهم شقاً غير الله ورسوله وصفا غير صف الله ورسوله... ووقفوا موقف الخلف والمشاقه هكذا يصدون عن سبيل الله.

١٤ ﴿ذلكم فذوقوه ..﴾ إشارة إلى العقاب العاجل فذوقوه أيها المشركون أما العقاب الآجل أن لهم عذاب النار

١٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا ..﴾ نداء للمؤمنين أى وأنتم زاحفون إلى بعضكم البعض فلا تنهزموا أمامهم فتعطوهم أدباركم فتمكنوهم من قتلكم.

١٦ ﴿ومن يولهم يومئذ دبره ..﴾ أى من أدار ظهره منهزماً يوم الزحف التولى، والتولى يوم الزحف من الكبائر من السبع الموبقات ﴿إلا متحرفا لقتال﴾ طلبا لمكائد الحرب وخدعاً للعدو، كمن يوهم أنه منهزم ليتبعه العدو فيكر عليه ويتمكن منه فإن الحرب خدعة ﴿أو متحيزا إلى فئة﴾ إلى جماعة من المسلمين غيرالجماعة المقابلة للعدو ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ ﴿ومأواه جهنم﴾ ففراره أوقعه إلى ماهو أشد بلاء ﴿وبئس المصير﴾ ما صار إليه من عذاب النار.

إن الآجال بيد الله فما يجوز أن يولى المؤمن خوفاً على حياته!!!

معانى الكلمات:

مُرْدِفِينَ: متبعاً بعضهم بعضا.

يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ: يجعله غاشيا عليكم كالغطاء.

أمنةً مِّنْهُ: أمنا من الله.

كُلَّ بَنَانٍ: كل الأطراف.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

١٧ ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ..﴾ ثم يجئ السياق بعد هذا التحذير من التولى يوم الزحف ليكشف لهم عن يد الله وهى تدير المعركة. ودلالة الآية أعم. فهى تمثل تدبير الله للأمر كله من وراء الحركة الظاهرة للنبى ﷺ والعصبة المسلمة معه. ولذلك تلاها قول الله تعالى: ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا﴾ ليرزقهم من عنده أن يبلوا البلاء الحسن الذى ينالون عليه الأجر بعد أن يكتب لهم النصر. ﴿إن الله سميع عليم﴾ يسمع استغاثتكم ويعلم حالكم.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ قال حكيم بن حزام: لما كان يوم (بدر) سمعنا صوتا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت فى طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا، فذلك قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله﴾.

١٨ ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ والأمر لاينتهى برمية رسولكم إنما هويضيف إليه توهين كيد الكافرين وإضعاف تدبيرهم وتقديرهم.. فلا مجال إذن للخوف ولا مجال إذن للهزيمة ولا مجال لأن يولى المؤمنين الأدبار.

١٩ ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ..﴾ يتجه الخطاب هنا للكافرين أولئك الذين استفتحوا قبيل المعركة، فدعوا الله أن يجعل الدائرة على أضل الفريقين ﴿وإن تنتهوا﴾ عما كنتم عليه من الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ ﴿فهو﴾ أى الانتهاء ﴿خير لكم وإن تعودوا﴾ إلى الكفر والعداوة ﴿نعد﴾ بتسليط المؤمنين عليكم ونصرهم. ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت﴾ وماذا تفعل الكثرة إذا كان الله فى جانب المؤمنين ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾.

سبب النزول: قال السدى والكلبى: كان المشركون حين خرجوا إلى النبى ﷺ من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٠ ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ..﴾ يعود السياق هنا إلى الهتاف للذين آمنوا يعود إليهم ليهتف بهم إلى طاعة الله ورسوله ويحذرهم التولى عنه.

٢١ ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ..﴾ ولا تتشبهوا بالذين يسمعون آيات الله وكأنهم لم يسمعوها.

٢٢ ﴿إن شر الدواب عند الله ..﴾ والدواب التى تدب على الأرض ولايهتدون ﴿الصم البكم﴾ فهم لايسمعون ولاينطقون ﴿الذين لا يعقلون﴾ مافيه النفع فيأتوه.

٢٣ ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ..﴾ أى فى هؤلاء الصم والبكم ﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ لأنه قد سبق فى علمه أنهم لا يؤمنون.

٢٤ ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ..﴾ أى بادروا إلى طاعة رسول الله ﷺ وتنفيذ أمره، فإن أوامره فيها حياة لكم وعز وكمال كما أن العلم حياة والجهل موت. ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ قيل بادروا إلى الاستجابة لأوامر الله تعالى مادامت قلوبكم لينة مطاوعة لكم قبل أن تتغير الأحوال. فيفصل الله بين المرء وقلبه ويستحوذ على هذا القلب.

٢٥ ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ..﴾ وذلك إذ لم تستجيبوا لأوامر الله ورسوله ﷺ ﴿واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ فتكون العقوبة عامة لاخاصة (فهذه الفتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح).

معانى الكلمات:

وليبلي: لينعم عليهم بالنصر.

يتخطفكم الناس: يستلبوكم.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦ ﴿واذكروا إذ أنتم قليل ..﴾ والخطاب للمهاجرين، وقيل: هو لأمة العرب ﴿مستضعفون في الأرض﴾ هى أرض مكة.

وعاد يذكرهم ربهم بما كان من ضعفهم وقلة عددهم والمشهد تعبير حى للقلة والضعف والقلق والخوف ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم﴾... وهو مشهد التربص والوجل، والترقب، والفزع إلى الأمن والقوة والنصر والرزق الطيب والمتاع الكريم ﴿فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات﴾ ويوجههم للشكر فيؤجروا ﴿لعلكم تشكرون﴾.

٢٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ..﴾ إن الأموال والأولاد قد تقعد الناس عن الاستجابة خوفا وبخلاً والدعوة إلى الله لابد لها من تكاليف ولابدلها من تضحيات. والفتنة لاتكون بالشدة وبالحرمان وحدهما.... إنها كذلك تكون بالرخاء وبالعطاء أيضا!

والتنبيه الأول:

٢٨ ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ولا يدعه الله بلا عون، فيلوح له بما هو خير ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾.

سبب النزول: الآية نزلت فى أبى لبابة ابن عبد المنذر الانصارى وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود بنى قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح به إخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا إلى إخواتهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابه بيده إلى حلقه: إنه الذبح فلا تفعلوا، قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الآية فلما نزلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما حتى خر مغشيًا عليه ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال: لا والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مالى، فقال رسول الله ﷺ: «يجزيك الثلث أن تتصدق به».

٢٩ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ..﴾ والهتاف الأخير للذين آمنوا-فى هذا المقطع من السورة-هو الهتاف بالتقوى. فهذا هو الزاد وهذا هو عدة الطريق إنها حقيقة: إن تقوى الله تجعل في القلب فرقانا. إنه العطاء العميم الذى لايعطيه إلاالرب (الكريم) ذو الفضل العظيم.

الدرس الثانى
(موقف المشركين وصدهم عن سبيل الله)
من الآية رقم (٣٠/٤٠)
مدة الحفظ (يوم واحد)

٣٠ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ..﴾ إن التذكير بما كان فى مكة قبل تغير الحال وتبدل الموقف-لقد كانوا يمكرون ليوثقوا رسول الله ﷺ ويحبسوه حتى يموت. أو ليقتلوه ويتخلصوا منه أو ليخرجوه من مكة منفيا مطرودا. إنها صورة ساخرة ومفزعة

٣١ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ..﴾ ويمضى السياق هنا فى وصف أحوال الكفار وأفعالهم ودعاويهم ومفترياتهم فيقولون للجماهير المستغفلة: إنها أساطير الأولين، اكتتبها محمد ممن يجمعونها وجاء يتلوها عليكم زاعما أنه أوحى إليه بها من عند الله. ولقد انكشف هذا النوع من المناورات بعد حين يصف العجب العاجب:

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧) قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ
انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)

٣٢ ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ..﴾ فهذا دعاء ولكن دعاء غريب ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وهذا الدعاء يصور حالة من العناد الجامح الذى يؤثر الهلاك على الإذعان للحق حتى ولو كان حقاً:

سبب النزول: قال أهل التفسير: نزلت فى النضر بن الحارث، وهو الذى قال: إن كان مايقوله محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء.

٣٣ ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ..﴾ ويعقب الله -سبحانه- على هذا العناد ويوجه خطابه الي رسول الله ﷺ فإنك مادمت فيهم فهم فى مهلة من العذاب ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾

سبب النزول: عن عبد الحميد الزيادى سمع أنس بن مالك يقول: قال أبوجهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزل: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

٣٤ ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله ..﴾ أي إنهم مستحقون العذاب لما ارتكبوا من القبائح ﴿وهم يصدون﴾ الناس ﴿عن المسجد الحرام﴾ من آمن منهم بالله واتبع الرسول، فلا يمكنونهم من أداء المناسك ﴿وما كانوا أولياءه﴾ هذا كالرد لما كانوا يقولونه من أنهم ولاة البيت ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ أى ما أولياؤه إلا من كان فى عداد المتقين للشرك والمعاصى، فإنه لله، فلا ولاية عليه لأولياء الأصنام

٣٥ ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء..﴾ والمعنى: إن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت فوضعوا ذلك موضع الصلاة قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن الصلاة ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ اى فهذا جزاؤكم علي مافعلتم وهو ماحصل لكم يوم بدر.

٣٦ ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله..﴾ وذلك بمحاربة رسول الله ﷺ وجميع جيوشه لذلك وإنفاق أموالهم عليها ﴿فسينفقونها ثم تكون﴾ عاقبة ذلك ﴿حسرة﴾ عليهم ندماً ﴿ثم يغلبون﴾ كما وعد الله به.

سبب النزول: قال الحكم بن عتيبة: أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من الذهب فنزلت الآية.

٣٧ ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ..﴾ الفريق الخبيث هم الكفار والفريق الطيب هم المؤمنون فيجمع الله بعضهم إلى بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم ﴿فيجعله في جهنم﴾ يقذف بهم فى النار دون اهتمام ولا اعتبار ﴿أولئك هم الخاسرون﴾.

٣٨ ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا..﴾ عماهم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول في الإسلام ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من العداوة، فإن الإسلام يجب ما قبله ﴿وإن يعودوا﴾ إلى القتال والعداوة والكفر ﴿فقد مضت سنت الأولين﴾ فليتوقعوا ما حدث بهم من العذاب.

٣٩ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ..﴾ وهى أن تزول مقدرة الكفار على الصد عن سبيل الله ويأمن كل من كان مسلماً على دينه ﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾

٤٠ ﴿وإن تولوا..﴾ عما أمروا به من الانتهاء ﴿فاعلموا﴾ أيها المؤمنون ﴿أن الله مولاكم﴾ أى ناصركم عليهم ﴿نعم المولى ونعم النصير﴾ فمن والاه فاز ومن نصره غلب.

معانى الكلمات:

ليثبتوك : ليحبسوك.
أساطير الأولين : أكاذيبهم.
مكاء وتصدية : صفيرأوتصفيقاً.
فيركمه جميعا : فيجمعه ملقى بعضه على بعض.

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٤٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)

الدرس الثالث

(أحكام القتال)

من الآية رقم (٤١/٥٤)

مدة الحفظ: (يوم واحد)

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ الغنيمة مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر. والغنائم شاملة لكل ماغنمه المسلمون من أرض ومال وغيرهما ﴿فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل..﴾ ان الحكم العام الذى تضمنه النص القرآنى يتلخص فى رد أربعة أخماس كل شئ من الغنيمة إلى المقاتلين واستبقاء الخمس يتصرف فيه رسول الله ﷺ والأئمة المسلمون القائمون على شريعة الله المجاهدون. فى سبيل الله، من بعده فى هذه المصارف (لله وللرسول..) بما يواجه الحاجة الواقعة عند وجود ذلك المغنم.. أما التوجيه الدائم بعد ذلك فهو ماتضمنه شطر الآية الأخير ﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا..﴾ ووصف عبدنا وصف موح ان العبودية لله هى حقيقة الإيمان وهى فى الوقت ذاته أعلى مقام للإنسان يبلغ إليه بتكريم الله له. ووقفة أخرى أما وصف الله -سبحانه- ليوم بدر بأنه يوم الفرقان: يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فلقد كانت غزوة بدر فرقانا بين الحق والباطل، وكان فرقانًا بين عهدين فى تاريخ الحركة الإسلامية، وفرقانا بين عهدين فى تاريخ البشرية، وكان فرقانا بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة.

٤٢ ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا..﴾ بالجانب الأدنى من الوادى إلى جهة المدينة وعدوكم بالجانب الأقصى منه مما يلى مكه ﴿والركب أسفل منكم﴾ والمراد ركب أبى سفيان وهى العير ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد﴾ أى لوتواعدتم أنتم والمشركون على أن تلتقوا فى هذا الموضع لخالف بعضكم بعضا ﴿ولكن﴾ جمع الله بينكم فى هذا الموطن ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا﴾ من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وإعزاز دينه، وإذلال الكفر ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي﴾ أى ليموت من يموت عن بينة ويعيش من عاش ﴿عن بينة﴾ لئلا يبقى لأحد على الله حجة.

٤٣ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلا..﴾ يمضى السياق ليكشف التدبير الخفى اللطيف أن يرى رسول الله ﷺ الكافرين فى الرؤيا فى منامه قليلا لاقوة لهم ولا وزن. فينبئ أصحابه برؤياه، فيستبشروا بها ويتشجعوا على المعركة ﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر﴾ لفشلوا وجبنوا عن قتالهم وتنازعوا فى الأمر ﴿ولكن الله سلم﴾ وعصمهم من الفشل فقللهم فى عين رسول الله ﷺ.

٤٤ ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم..﴾ أى ليغرى كلا من الطائفتين بضعف الأخرى ﴿ويقللكم في أعينهم﴾ وكان هذا قبل القتال ﴿ليقضي الله أمرا كان مفعولا..﴾

٤٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة..﴾ أى إذا حاربتم جماعة من المشركين ﴿فاثبتوا﴾ لهم ولاتجبنوا عنهم ﴿واذكروا الله﴾ عند جزع قلوبكم ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾ نهاهم عن التنازع ﴿وتذهب ريحكم﴾ الريح القوة والنصر وقيل: الدولة.

معاني الكلمات:

والركب: عير قريش.

لفشلتم: لجبنتم.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)

٤٦ ﴿وأطيعوا الله ورسوله ..﴾ وهذه الطاعة لله وللرسول فلكى يدخل المؤمنون المعركة -مستسلمين لله ابتداء فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ والصبرهو الصفة التي لابد منها لخوض المعركة ومعية الله مع الصابرين هى الضمان لهم بالفوز والغلب والفلاح...

٤٧ ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ..﴾ ويبقى هذا التعليم الأخير ليحمى العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعاجب بقوتها لأنها تخرج للقتال فى سبيل الله، وتخرج لتقرير ألوهيته -سبحانه وتعالى- فى حياة البشر وتقرير عبودية العباد لله وحده. ﴿والله بما يعملون محيط﴾ لايفوته منهم شئ ولايعجزه من قوتهم شئ وهو محيط بهم وبما يعملون.

٤٨ ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ..﴾ ويمضى السياق يصور وسوسة الشيطان للمشركين وإغراءهم بهذا الخروج الذى نالهم منه ما نالهم من الذل والخيبة والخسارة الانكسار والمعنى: واذكر أيها الرسول للمؤمنين إذ زين الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته وقال لهم بما ألقاه فى هواجسهم: لا غالب لكم اليوم من الناس لا لأتباع محمد الضعفاء ولالغيرهم من قبائل العرب، فأنتم أعز نفراً وأكثر نفيرا، وأعظم بأساً وإنى مع هذا جاركم ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾ أى فلما قرب كل من الفريقين المتقاتلين رجع القهقرى وتولى إلى الوراء ﴿وقال إني بريء منكم ..﴾ تبرأ منهم لما رأي إمارات النصر مع المسلمين بإمداد الله لهم بالملائكة ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ رأى جبريل ومعه الملائكة ﴿إني أخاف الله﴾ خاف أن يصاب بمكروه.

٤٩ ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ..﴾ وهؤلاء لا يدركون حقيقة أسباب النصر وأسباب الهزيمة فهم يرون ظواهر الأمور دون أن تهديهم بصيرة إلى بواطنها ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾.

٥٠ ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ..﴾ وهذا المشهد من مشاهد التدخل الإلهى فى المعركة. والتعبير هنا يرسم صورة منكرة للذين كفروا والملائكة تستل منهم أرواحهم فى مشهد مهين، يضيف المهانة والخزى إلى العذاب والموت ﴿ولو ترى ..﴾ ثم يتحول السياق من صيغة الخبر إلى صيغة الخطاب ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ ليرد المشهد حاضراً كأنه اللحظة مشهود ﴿ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾.

٥١ ﴿ذلك بما قدمت أيديكم ..﴾ أى ذلك واقع بسبب ماكسبتم من المعاصى واقترفتم من الذنوب ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ لأنه سبحانه وتعالى قد أرسل إليهم رسله، وأنزل كتبه، وأوضح لهم السبيل.

٥٢ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ..﴾ والدأب: العادة، والعادة فى عذاب هؤلاء كالعادة الماضية لله فى تعذيب طوائف الكفر، أى دأبهم هذا هو أنهم كفروا بآيات الله.

معانى الكلمات:

بطرا: طغيانا.

نكص على عقبيه: رجع القهقرى.

كدأب: كعادة.

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (٥٣) كدأب آل
فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (٥٤)
إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون (٥٥)
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
وهم لا يتقون (٥٦) فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم
من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧) وإما تخافن من
قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين
(٥٨) ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون (٥٩)
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم
لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (٦٠) وإن جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم (٦١)

٥٣ ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة..﴾ ذلك العقاب الذى أنزله الله بسبب أن عادة الله فى عباده عدم تغيير نعمه التي ينعم بها عليهم ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم..﴾ من الأحوال والأخلاق بكفران نعم الله، وغمط إحسانه وإهمال أوامره ونواهيه. وهنا سبحانه يقرر عدله في معاملة العباد فلا يسلبهم نعمة وهبها لهم إلا بعد أن يغيروا نواياهم ويبدلوا سلوكهم ويقلبوا أوضاعهم.

٥٤ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم..﴾ أى كعادة الله فيهم: إذا كفروا وأذنبوا يأخذهم الله بالعقوبة، فعاقب آل فرعون بالغرق وأهلك من سواهم، حكم على كلا الطائفتين: من آل فرعون والذين من قبلهم ومن كفار قريش بالظلم لأنفسهم بما تسببوا به لعذاب الله من الكفر بالله وآياته ورسله:

الدرس الرابع

(قواعد التعامل مع المعسكرات المتنوعة فى السلم والحرب)

من الاية رقم (٥٥/٧٥)

مدة الحفظ (يومان)

٥٥ ﴿إن شر الدواب عند الله..﴾ أى شر مايدب على وجه الأرض من أنواع الحيوان لعدم تعقلهم لمافيه رشادهم ﴿عند الله﴾ أى فى حكمه ﴿الذين كفروا﴾ أى المصرون علي الكفر المتمادون فى الضلال ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أبداً، ولايرجعون عن الغواية أصلاً. قيل أن المقصودين بهذا النص بنو قينقاع وقيل أنهم بنو قريظة وقيل إنهم بنو النضير وقيل أنهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة من المشركين. المهم أن تعلم أن هذه النصوص تتحدث عن حالة واقعة قبل بدر وبعدها إلى حين نزول هذه الآيات.

٥٦ ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم..﴾ أى من الذين كفروا هم ينقضون عهدهم الذى عاهدتهم عليه ﴿في كل مرة﴾ من مرات المعاهدة ﴿وهم لا يتقون﴾ النقض ولايخافون عاقبته، ولايتجنبون أسبابه

٥٧ ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم..﴾ هؤلاء الذين لايستطيع أحد أن يطمئن إلى عهدهم وجوارهم.. جزاؤهم هو حرمانهم الأمن كما حرموا غيرهم الأمن وجزاؤهم هو تخويفهم وتشريدهم.

٥٨ ﴿وإما تخافن من قوم خيانة..﴾ إن الإسلام يعاهد ليصون عهده، فإذا خاف من قوم خيانة نبذ العهد القائم جهرة وعلانية، ولم يخن، ولم يغدر، ولم يغش ولم يخدع ويجب أن نذكر أن هذه الأحكام كانت تتنزل والبشرية بجملتها لاتتطلع إلى مثل هذا الأفق المشرق. لقدكان قانون الغابة هو قانون المتحاربين حتى ذلك الزمان.

٥٩ ﴿ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون﴾ وفى مقابل هذا التصاعد وهذه النظافة يعد الله المسلمين النصر. ويهون عليهم أمر الكفار والكفر. فليطمئن أصحاب الوسائل النظيفة -متى أخلصوا النية فيها لله- من أن يسبقهم أصحاب الوسائل الخسيسة.

٦٠ ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..﴾ إن الإسلام يتخذ للنصر عدته الواقعية التي تدخل فى طوق العصبة المسلمة.. فالا ستعداد بما فى الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد. إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها فى (الأرض) لتحرير (الإنسان) ويشير النص إلى العرض الأول من إعداد القوة ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ ولما كان إعداد القوة يقتضى مالاً، فقد اقترنت الدعوة إلى الجهاد بالدعوة إلى إنفاق المال فى سبيل الله ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ وهكذا يجرد الإسلام الجهاد والنفقة فى سبيله من كل غاية أرضية ومن كل دافع شخصى.

٦١ ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها..﴾ وهذا هو الحكم الثالث فى هذه النصوص هو الحكم المتعلق بمن يريدون المهادنة والموادعة للمعسكر الإسلامى وتدل ظواهرهم على هذه الرغبة وهذا الحكم ليس نهائيا. وأن الاحكام النهائية نزلت فيما بعد فى سورة براءة.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ
مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ
صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ
بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا
غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

٦٢ ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك ..﴾ ولقد أمَّنَ الله سبحانه وتعالى رسوله من خداعهم، إن هم أرادوا خيانته، وبيتوا الغدر من وراء الجنوح إلى السلم وقال: إن الله حسبه وكافيه وحافظه.. حسبك الله فهو كافيك وهو الذي أيدك بنصره أول مرة وأيدك بالمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٦٣ ﴿وألف بين قلوبهم ..﴾ إن هذه العقيدة عجيبة فعلاً: إنها حين تخالط القلوب تستحيل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب وتربط بينها برباط عميق وثيق رقيق. والمراد: الأوس والخزرج. كان بينهم عصبية شديدة وحروب عظيمة فألف الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله ﷺ وقيل أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار...

٦٤ ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أى كافيك الله، وكافيك المؤمنون ويحتمل أن يكون المعنى: إن الله كافيك وكافى المؤمنين.

سبب النزول: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلا ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين، فنزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.

٦٥ ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال..﴾ أى حثهم وحضهم، ثم بشرهم تثبيتًا لقلوبهم وتسكينًا لخواطرهم ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ وهذه النسبة.. واحد لعشرة هى الأصل في ميزان القوى بين المؤمنين الذين يفقهون والكافرين الذين لايفقهون... وحتى فى أضعف حالات المسلمين الصابرين فإن هذه النسبة هي واحد لاثنين:

٦٦ ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفًا..﴾ وهنا خفف عنهم ورخص لهم لما علمه سبحانه وتعالى من وجود الضعف فيهم ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ فأوجب على الواحد أن يثبت لاثنين من الكفار ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ يقاتلون علي غير بصيرة.

٦٧ ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى ..﴾ ومن التحريض على القتال ينتقل السياق لبيان حكم الأسرى بمناسبة تصرف الرسول ﷺ والمسلمين في أسرى بدر وإلى الحديث إلى هؤلاء الأسرى وترغيبهم في الإيمان. والمعنى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ أى ما صح منه ولا كان ينبغى له أن يكون له أسرى يبقيهم ليفاديهم ﴿حتى يثخن في الأرض﴾ أرض العدو قتلا وتشريدا فإذا عرف العدو بأسه وشدته وهابه جاز له الأسر أى الإبقاء على الأسرى أحياء ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ هذا من عتابه تعالى لهم ﴿والله يريد الآخرة﴾ فشتان بين مرادكم ومراد ربكم ﴿والله عزيز حكيم﴾.

٦٨ ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ أى لولا مضى علم الله تعالى بحلية الغنائم لهذه الأمة وكتب ذلك فى اللوح المحفوظ لكان ينالكم جزاء رضاكم بالمفاداة وأخذ الفدية عذاب عظيم.

٦٩ ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبا ..﴾ وهذا إذن منه تعالى لأهل بدر أن يأكلوا مما غنموا وقوله تعالى ﴿إنَّ الله غفور رحيم﴾ غفور لمن تاب من عباده رحيم بالمؤمنين منهم.

سبب النزول: قال ابن عمر: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك حل سبيلهم، واستشار عمر فقال: اقتلهم. ففاداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا﴾ قال: فلقى النبى ﷺ عمر فقال: كاد أن يصيبنا فى خلافك بلاء.

معاني الكلمات:

تثقفنهم: تصادفنهم.

فشرد بهم: ففرق وندد.

فانبذ إليهم: فاطرح اليهم.

جنحوا للسلم: مالوا للمسالمة.

حسبك: كافيك.

يثخن: يبالغ فى القتل.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٠ ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ..﴾ هنا يلمس قلوب الأسرى لمسة فيها الرجاء وتطلق فيها الأمل وتشيع فيها النور وتعلقها بمستقبل خير من الماضي وبحياة أكرم مما كانوا فيه. ﴿يؤتكم خيرا﴾ هذا الخير معلق بأن تصلح قلوبهم فتتفتح لنور الإيمان فيعلم الله أن فيها خيرا... والخير هو الإيمان.

سبب النزول: قال الكلبي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقيه من الذهب وكان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت منه وأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي عشرين أوقية الذهب التي أخذها مني فداء، فأبى علي وقال: «أما شئ خرجت تستعين به علينا فلا» وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين اوقية من الفضة، فقلت له: تركتني والله أسأل قريشا بكفي والناس ما بقيت قال: «فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل قبل مخرجك إلى بدر وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم»؟ قال: قلت: وما يدريك؟ قال: «أخبرني الله بذلك» قال: أشهد أنك لصادق وإني قد دفعت إليها ذهباً ولم يطلع عليه أحد إلا الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال العباس: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني، كما قال: عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كثير مكان العشرين أوقية وأنا أرجو المغفرة من ربي.

٧١ ﴿وإن يريدوا خيانتك ..﴾ لقد خانوا الله فأشركوا به غيره، وهو قد أخذ العهد علي فطرتهم فخالفوا عهده ﴿والله عليم حكيم﴾.

٧٢ ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ..﴾ هؤلاء أولياء في النصرة وأولياء في الإرث وأولياء في الديات والتعويضات ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ والصنف الثالث من أصناف المؤمنين المذكور في قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا﴾ لم يهاجروا ورضوا بالبقاء ولم يلتحقوا بدار الهجرة فقال الله فيهم ﴿ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ فلا توارث ولاموالاة تقتضي النصرة والمحبة حتى يهاجروا إليكم ويلتحقوا بكم.

٧٣ ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ..﴾ يتناصرون ويتوارثون. وبناء علي هذا يقول تعالى: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ والفتنة: الشرك، والفساد: المعاصي.

٧٤ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ..﴾ هؤلاء هم المؤمنون حقا أي الكاملون في الإيمان لهم من عند الله تعالى ﴿مغفرة﴾ لذنوبهم في الآخرة ولهم في الدنيا ﴿ورزق كريم﴾ خالص عن الكدر، طيب مستلذ.

٧٥ ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم ..﴾ أي بعد نزول هذه الآيات ﴿فأولئك منكم﴾ أي من جملة المهاجرين والأنصار في استحقاق مااستحقوه من الموالاة والمناصرة ﴿وأولوا الأرحام﴾ المراد بهم: القرابات فيتناول كل قرابة. إن الإسلام لايحطم المشاعر الفطرية ولكنه يضبطها لتستقيم مع الحاجات العليا للوجود الإسلامي ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ هذه الجملة تحمل الوعد والوعيد الوعد لأهل الإيمان والطاعة، والوعيد لأهل الشرك والمعاصي.

معاني الكلمات:

فأمكن منهم: فأقدرك عليهم.

وأولوا الأرحام: ذووا القرابات.

المراجع

فى ظلال القرآن	سيد قطب
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
تفسير المنار	محمد رشيد رضا
نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم	محمد الغزالى
أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائرى
أسباب النزول	للنيسابورى

* * *

فهرس سورة النساء وبرنامج الحفظ ٣٥ يوماً

فهرس سورة المائدة وبرنامج الحفظ ٣٠ يوماً

فهرس سورة الأنعام وبرنامج الحفظ ٣٠ يوماً

فهرس سورة الأعراف وبرنامج الحفظ ٣١ يوماً

فهرس سورة الأنفال وبرنامج الحفظ ٣٥ يوماً